

شرح دعاء الافتتاح

تأليف
سماعة السعيد صبا الدين القناني

اعداد وتحقيق
السيد محمد الطالقاني

٢..... شرح دعاء الافتتاح

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

والحمد لله رب العالمين...

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين
الطاهرين.

وبعد..

فقد كان من توفيق الله تعالى لهذا العبد أن فتح لي فرصة اللقاء الليلي
مع عدد من طلابنا الافاضل في الحوزة العلمية عبر الفضاء المجازي -
لظروف جائحة كورونا- لتقديم رؤى وافكار مستلهمة من (دعاء
الافتتاح) الشريف الوارد عن الائمة الاطهار عليهم السلام.

الحقيقة أنني لست أهلاً لمثل هذا الموقف، وأشهد بأنني لم أستطع الا
الوقوف على أعتاب هذا الدعاء، فالغوص في أعماقه البعيدة ، واستشراف
معانيه الشريفة هو من شأن العلماء العارفين بالله تعالى ، السالكين سبل
الوصول اليه (جل جلاله)، وأناى لمثل هذا الحقير أن يصل الى تلك
المقامات الجليلة التي يختص بها الله تعالى أوليائه الصالحين.

٤..... شرح دعاء الافتتاح

ولأدري كيف أذنت لنفسي أن أقف هذا الموقف ، وأتقدم بخطوة
جسورة نحو شرح دعاء الافتتاح، وربما كان ذلك قلة أدب ، ونقص حياء
أن أضع نفسي في موضع هو فوق شأني وأسمى مني.

كان عليّ أن أقدم إعتذاري لسادتي الائمة الاطهار عليهم السلام عن
جلوسي على مائدتهم في ليالي شهر رمضان المبارك، ولولا كرمهم
وجودهم الغفير، وشمولهم بالعطف واللفظ لهذا العبد الفقير لما جاز لي
ذلك (والعذر عند كرام الناس مقبول).

وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه وشكره على ماتفضل به عليّ في
(شرح هذا الدعاء) لابد أن أتقدم بالشكر أيضاً للسادة الفضلاء الذين واكبوا
معي هذه المحاضرات ، ودفعوني لمواصلة الحديث خلال ليالي هذا الشهر
الكريم.

كما أتقدم بالشكر الخاص لولدنا العزيز وقرّة عيننا السيد محمد باقر
القبانجي على متابعته الليلية معنا في تسجيل هذه المحاضرات والاشراف
على بثها والتواصل مع مستمعيها ومعالجة المشاكل الفنية التي واكبت
محاضراتنا.

والشكر موصول لأخيना سماحة السيد محمد الطالقاني الذي بذل جهداً
كبيراً في تدوين هذه المحاضرات وتصحيحها، وتحقيقها وتدقيقها، وهو

شرح دعاء الافتتاح.....^٥

جُهدُ كلفه سَهر لِيالي طَوال دون أعياء أو ملال، فجزاه الله تعالى عني خير
الجزاء.

وختاماً لايفوتني أن أشكر أولادي الاعزاء في المكتب الاعلامي
الاستاذ (حيدر الرماحي) وولدنا العزيز زمن العابدي على جهودهم
وصبرهم الطويل في تسجيل وترتيب وبث هذه المحاضرات خلال ليالي
الشهر المبارك.

صدر الدين القبانجي

٦/ ذو القعدة / ١٤٤٢ هجرية

٦ شرح دعاء الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

النص الكامل لدعاء الافتتاح: (١)

يعتبر دعاء الافتتاح من أهم الأدعية المعروفة عند اتباع أهل البيت عليه السلام

والتي يتم الدعاء بها في شهر رمضان الكريم، وهو :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ، وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ، وَآيَقَنْتُ أَنْكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكَالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ. اللَّهُمَّ أَذْنَتْ لِي فِي دُعَائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي، وَأَجِبْ يَا رَحِيمُ دَعْوَتِي، وَأَقِلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَهَا، وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقْلَتْهَا، وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا، وَحَلَقَةٍ بَلَاءٍ قَدْ فَكَّكْتُهَا. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا، عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّهَا، أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ.

^١ ذكر دعاء الافتتاح الشيخ الطوسي في مصباح المتعبد (ص ٥٧٧)، والسيد بن طاووس في إقبال الأعمال (١٤١٧ق، ص ٣٢٥-٣٢٢)، والكفعمي في المصباح (١٤١٤ق، ص ٧٧٣-٧٧٠) والبلد الأمين (١٤١٨ق، ص ٢٧٤-٢٧١) والمجلسي في زاد المعاد (١٤٢٣ق، ص ٨٩-٨٦) والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان (١٣٦٩ش، ص ٣٢١). وينقل أن الراوي لهذا الدعاء هو محمد بن عثمان العمري أحد نواب الإمام الحجة عليه السلام (مهدي كنى، ترجمه و شرح دعاء افتتاح، ١٣٨٦ش، ص ٢). وإن كان هذا الدعاء حسب الظاهر لم ينقل من الإمام المعصوم عليه السلام، لكن نظرا إلى أن محمد بن عثمان العمري كان أحد النواب الخاصة للإمام المهدي عليه السلام وكان يداوم على هذا الدعاء، ونظرا أيضا إلى المضامين العالية للدعاء واعتماد السيد ابن طاووس عليه، فيمكن التأكيد على أن هذا الدعاء صدر عن الناحية المقدسة للإمام العصر عليه السلام أو وصل إلينا عن طريق أحد المعصومين، وهو من أدعية شهر رمضان المبارك، والذي يُدعى به في كل ليلة من ليالي هذا الشهر. يحتوي الدعاء على مضامين أخلاقية وروحية تُهمّ الداعي، كما يمكن استخلاص بعض المفاهيم العقائدية من الدعاء، ويتضمن الدعاء الصلاة على النبي وعلى أهل بيته فرداً فرداً. (المحقق).

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظَّاهِرُ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، الْبَاسِطُ بِالْجُودِ يَدُهُ، الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُوداً وَكَرَمًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ، مَعَ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ وَغِنَاكَ عَنْهُ قَدِيمٍ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي، وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي، وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي وَسِتْرَكَ عَنْ قَبِيحِ عَمَلِي، وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمي عِنْدَ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئِي وَعَمْدِي، أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرَيْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ، وَعَرَفْتَنِي مِنْ إِجَابَتِكَ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا، لَا خَائِفًا وَلَا وَجَلًا، مُدَلًّا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَثَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ، فَلَمْ أَرِ مَوْلاً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لُئِيمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَارَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُولِي عَنَّا، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي النُّطُولَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالنَّفْضِلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلُكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ أَنْاتِهِ فِي غَضَبِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ، فَهَرَّ بَعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ.

شرح دعاء الافتتاح.....٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ، وَيَسْتُرُنِي عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَعْصِيهِ، وَيُعْظِمُ النِّعَمَةَ عَلَيَّ فَلَا أُجَازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهَبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطَانِي، وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفَانِي، وَبَهْجَةٍ مُوْنِقَةٍ قَدْ أَرَانِي، فَأَتْنِي عَلَيْهِ حَامِداً، وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ، وَلَا يُغْلَقُ بَابُهُ، وَلَا يُرَدُّ سَائِلُهُ، وَلَا يُخَيَّبُ أَمَلُهُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ، وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ، مُدْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ صَرِيحِ الْمُسْتَصْرِخِينَ، مُوَضِّعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمِدِ الْمُؤْمِنِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرَعَدُ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا، وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ وَعِمَارُهَا، وَتَمْوُجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي غَمَرَاتِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَيَرْزُقْ وَلَا يَرْزُقْ، وَيُطْعِمْ وَلَا يُطْعَمْ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ، وَمُبْلَغِ رِسَالَاتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ، وَأَزْكَى وَأَنَمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ، وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ، وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وَصِفْوَتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ، وَآخِي رَسُولِكَ، وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَآيَتِكَ الْكُبْرَى، وَالنَّبَأِ الْعَظِيمِ، وَصَلِّ عَلَى الصَّدِيقَةِ الطَّاهِرَةِ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَى سِبْطِي الرَّحْمَةِ وَإِمَامِي الْهُدَى، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ

١٠..... شرح دعاء الافتتاح

الْجَنَّةِ، وَصَلِّ عَلَى أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ،
وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ،
وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالْخَلْفِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ، حُجَّكَ عَلَى
عِبَادِكَ، وَأَمْنَائِكَ فِي بِلَادِكَ صَلَاةً كَثِيرَةً دَائِمَةً.
اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّةِ
بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِ أَمْنًا يَعْْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا.
اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَاعْزِزْ بِهِ، وَأَنْصُرْهُ وَأَنْتَصِرْ بِهِ، وَأَنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا،
وَأَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا.
اللَّهُمَّ أَظْهَرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةً
أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةِ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا
النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ،
وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَا، وَمَا قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَا.
اللَّهُمَّ أَلْمَمْ بِهِ شَعْنَنَا، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا، وَارْتُقْ بِهِ فَتَقْنَا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنَا،
وَاعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنَا، وَاعْنِ بِهِ عَائِلَنَا، وَأَقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنَا، وَاجْبِرْ بِهِ فَقْرَنَا،
وَسُدِّ بِهِ خَلَّتَنَا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنَا، وَفُكِّ بِهِ أَسْرَنَا، وَأَنْجِ
بِهِ طَلِبَتَنَا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنَا،
وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ
الْمَسْئُولِينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، إِشْفِ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَذْهَبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنَا،
وَاهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ، وَأَنْصُرْنَا بِهِ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ.

شرح دعاء الافتتاح..... ١١

اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْكُو اِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا، وَكَثْرَةَ
عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا، فَصَلِّ عَلٰى
مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ، وَاَعِنَّا عَلٰى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ،
وَسُلْطَانٍ حَقٌّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تَجَلِّلُنَاهَا، وَعَافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُنَاهَا،
بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

١٢ شرح دعاء الافتتاح

الفصل الاول

١٤ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الاولى:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أفتَحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ)

*فصول الدعاء.

*سند الدعاء.

*معنى الحمد وفضله.

١٦ شرح دعاء الافتتاح

فصول الدعاء:

ان دعاء الافتتاح يتألف من ثلاثة فصول:

الفصل الاول:

عبارة عن الحمد والثناء لله تبارك وتعالى، حيث هنالك أكثر من خمسين مفردة وصفة من صفات الله ومحمدة من محامده تبارك وتعالى تذكر في هذا الفصل.

وبعبارة اخرى يمكن أن نقول ان هذا الفصل هو استعراض لصفات الجمال وصفات الجلال ، والمعاشية مع هذه الصفات.

مثل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءَ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ.....الخ)، وهكذا يستمر الدعاء في عرض المحامد الالهية.

الفصل الثاني:

الصلاة على النبي ﷺ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ.....) ثم الصلاة على الائمة الاطهار ﷺ فردا فردا.

(وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ، وَآخِي رَسُولِكَ..... صَلِّ عَلَى أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.....).

(حُجِّجْكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَأَمْنَانِكَ فِي بِلَادِكَ صَلَاةً كَثِيرَةً دَائِمَةً).

ثم الصلاة على امام العصر ﷺ.

(اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤْمَلِّ، وَالْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ، وَحَفَّهِ بِمَلَانِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَآيِدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

الفصل الثالث:

وهو فصل في غاية الاهمية، وهو يتضمن الدعاء الخاص بمستقبل خط الايمان، ومستقبل البشرية، وماذا نريد من الله تبارك وتعالى .
هذا الدعاء الذي يرد في هذا الفصل مخصص للمعايشة مع صاحب العصر والزمان عليه السلام، والاطلالة على المستقبل في زمن الغيبة، ومعاناتنا فيه، ومعالجة مشاكلنا في زمن الغيبة الصغرى او الكبرى.
سبب تسمية الدعاء:

ان تسميته بدعاء الافتتاح هي تسمية عرفية جاءت من وجود هذه الكلمة في مطلع الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَفْتَحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ). فهي ليست تسمية رسمية ، ونحن نعرف ان الادعية احيانا تسمى بأسم راويها، مثلا دعاء كميل^(١)، فالراوي له هو الصحابي كميل بن زياد^(٢) عن امير المؤمنين عليه السلام.

ودعاء ابي حمزة الثمالي^(٣)، والذي رواه ابو حمزة الثمالي^(٤) عن الامام زين العابدين عليه السلام.

^١ دعاء كميل، من الأدعية المروية عن الإمام علي عليه السلام. عُرف باسم راويه كميل بن زياد النخعي (رحمه الله). الدعاء فيه مضامين عقائدية توحيدية وعرفانية عالية، كما فيه أدب التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى. وهو من الأدعية التي يواظب الشيعة على قراءته في ليالي الجمعة وبعض المناسبات الدينية. قام عدة من الأعلام بشرحه وبيان أسرارهِ، واعتبره العلامة المجلسي من أفضل الأدعية (المحقق)

^٢ كميل بن زياد النخعي (١٢ - ٨٢ هـ)، ومن خواص الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، وكان في مقدمة الشيعة الذين بايعوا الإمام علي عليه السلام بالخلافة، وشهد معارك الإمام في عهده منها صفين، وكان كميل صاحب سر أمير المؤمنين عليه السلام أيضا (المحقق)

^٣ دعاء أبي حمزة الثمالي من الأدعية التي اشتهرت عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وهو مناجاته في ليالي شهر رمضان المبارك، ومنسوب إلى راويه أبي حمزة الثمالي، وهو يحتوى على مضامين عالية في الاعتقادات والسير والسلوك والأدب مع الله تعالى، وهناك شروح عديدة ألُفَت حول هذا الدعاء، منها: شرح محمد إبراهيم السيزاوري، وشرح محمد تقي بن حسين علي الهروي الأصفهاني، وشرح آية الله جوادى الآملی (المحقق).

^٤ أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي، المعروف بأبي حمزة الثمالي، محدث ومفسر ومن الرواة الشيعة في القرن الثاني للهجرة، وأحد أصحاب الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام. اشتهر بروايته لدعاء الإمام السجاد عليه السلام، والذي يُعرف بدعاء أبي حمزة الثمالي، والذي يُقرأ في ساعات السحر في شهر رمضان المبارك (المحقق).

لذا فان تسمية دعاء الافتتاح بهذه التسمية ليست ذات إلزام شرعي، وليست واردة في نص من نصوص الروايات، إنما هي تعارف على إطلاق اسم من احد هذه المناشئ، منشأ عرفي وليس منشأ شرعياً الزامياً، كما ورد في تسمية بعض السور، مثل سورة الكوثر، أو سورة النصر، أو سورة العصر، أو سورة الفيل، وهكذا، فهي تسمية تنتزع من خلال مجاء في ذلك الدعاء أو تلك السورة، رغم أن بعض السور القرآنية جاء النص الشريف على تسميتها.

مصدر الدعاء:

ان مصدر هذا الدعاء هو كتاب النائب الثاني لإمامنا صاحب العصر والزمان (عليه السلام)، وهو محمد بن عثمان العمري^(١) حيث اعطاه لمن سألته عن دعاء يدعو به في ليالي شهر رمضان، فأخرج له كتاباً فيه هذا الدعاء. تعلمون ان هنالك أربعة نواب^(٢) خاصين للإمام المنتظر (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغرى حيث كان الشيعة يرتبطون بهم وقد عينهم الامام المنتظر (عليه السلام) بشكل مباشر..

ومن الملفت للنظر ان هذا الدعاء لم ينسبه الراوي الى أي واحد من الأئمة (عليهم السلام)، فهل نستنتج استنتاجاً اولياً ان هذا الدعاء مروى عن صاحب الزمان (عليه السلام)، أو مأخوذ من الامام العسكري (عليه السلام) أو الامام الهادي (عليه السلام)، حيث أن محمد بن عثمان العمري كان معاصراً للإمامين العسكريين (عليهم السلام)، وقد ورد الثناء البالغ عليه من قبل الامام الحسن العسكري (عليه السلام)^(٣).

^١ محمد بن عثمان بن سعيد العمري، (ت ٣٠٥ هـ) المعروف بالخَلَّانِي والمُكَنَّى بأبي جعفر، هو السفير أو النائب الثاني من النواب الأربعة للإمام الثاني عشر المهدي (عليه السلام) (المحقق)

^٢ النواب الأربعة، هم السفراء الذين مثّلوا الواسطة بين الإمام المهدي (عليه السلام). وبين الشيعة إبان الغيبة الصغرى وكانوا من وجوه الطائفة وأصحاب الأئمة المعروفين والمعتمد عليهم، وقد تسّموا النياية الخاصة عن الإمام (عليه السلام). واحداً تلو الآخر، وكانوا على اتصال مع سائر وكلاء الإمام في شتى بقاع العالم الاسلامي يحملون إليهم رسائله وتوصياته المعروفة في الوسط الشيعي بالتوقيعات، وهم عثمان بن سعيد العمري، و محمد بن عثمان العمري، و الحسين بن روح، و علي بن محمد السمرّي (المحقق).

^٣ قال فيه الامام العسكري (عليه السلام): (العمري وابنه ثقتان، فما أدبنا إليك عني فعدني يوديان) (الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٣٣٠).

٢٠..... شرح دعاء الافتتاح

لكن الذي لاشك فيه ان هذا الدعاء صادر عن الامام المعصوم عليه افضل الصلاة والسلام، وهذا ليس اجتهدا شخصيا، وانما هو اعتماد على نقل النائب الثاني لهذا الدعاء في كتابه المخصص للدعية، وهو لا ينقل ادعيته الشخصية وانما يكتب وينقل الادعية التي وصلت اليه عن المعصومين عليه السلام، هذا فضلا عن عمل الاصحاب وكبار الفقهاء بهذا الدعاء والالتزام به، لذا فان هذا الدعاء لاشك في صدوره عن المعصومين عليهم افضل الصلاة والسلام.

ويمكن ان اقدم لكم شاهدا على ان هذا الدعاء صادر عن الامام صاحب العصر والزمان عليه السلام، وهي هذه الفقرة التي يقول فيها:
(اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةً وَلَيْنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهُرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا).

اذن هذا الدعاء صادر - ظاهراً - في زمن الغيبة، وليس في زمن الامام العسكري او الامام الهادي عليه السلام.

وهذه قرينة ايضا قد تؤيد ان هذا الدعاء صادر من الامام المنتظر عليه السلام، وفي زمن غيبته.

وقد رواه الشيخ الطوسي^(١) المتوفي في القرن الخامس في كتابه مصباح المتعبد.

كما رواه السيد ابن طاووس^(٢) المتوفى في القرن السابع في كتابه اقبال الاعمال.

^١ الشيخ الطوسي هو محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) المعروف بشيخ الطائفة. ومن كبار المتكلمين والمحدثين والمفسرين والفقهاء الشيعة. قدم إلى العراق من خراسان وتلمذ على يد العلماء هناك كالشيخ المفيد والسيد المرتضى. أسند إليه الخليفة العباسي كرام بغداد. وعندما احترقت مكتبة شاپور إثر هجوم طغرل بيك اضطر للهجرة إلى النجف فأسس الحوزة العلمية هناك. تسلم المرجعية بعد وفاة السيد المرتضى وقد خدم العالم الإسلامي لا سيما مذهب الإمامية خدمات جليلة من خلال تربية آلاف الطلاب وتأليف العشرات من الكتب العلمية الخالدة والتي لا تزال لها أثرها المشهود، (المحقق)

^٢ السيد رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس المعروف بالسيد بن طاووس من أحفاد الإمامين الحسينين عليه السلام ومن كبار علماء الشيعة، صاحب المصنفات الكثيرة ومنها: كشف المحجة لثمرات المهجة، مصباح الزائر، الملهوف على قتلى الطفوف ومهج الدعوات ومنهج العبادات. تلمذ على يديه كبار العلماء منهم العلامة الحلي ووالده الشيخ يوسف سديد الدين. لقب بجمال العارفين (المحقق).

شرح دعاء الافتتاح.....٢١

كما رواه ايضا العلامة المجلسي (١) في كتابه زاد المعاد.

سؤال:

قد يقول قائل اذا كان هذا الدعاء صادراً عن الامام صاحب الزمان (ع) فكيف يُعرف الامام بنفسه ويثني عليها في مفردات الدعاء، حيث يقول :
(اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ، وَحَقِّهِ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَآيِدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

الجواب:

اننا في كل صلاة نقول في التشهد : (اللهم صل على محمد وال محمد) ورسول الله (ص) كان يصلي ويقول ذلك أيضا بنفس التشهد، فكيف يصلي الرسول (ص) على نفسه؟

نعم يصح هذا الامر، ونحن أيضا في الصلاة نقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، فهذا الامر يعتبر نمطا من انماط التربية على هذه المفاهيم، وليس تعريفا بالشخص أو مدحا للأنبا.

نلاحظ هنا ايضا ان الائمة والانبياء (ص) لهم بعدان، البعد الاول هو البعد الذاتي، (اي الانبا)، والبعد الاخر هو (البعد الالهي) باعتبارهم رسل الله، وامناء الله .

وهم في البعد الاول أكثر الناس عبودية وذلاً بين يدي الله تعالى.

هذا أمير المؤمنين (ع) يقول في دعاء الصباح (٢):
(إلهي قَلْبِي مَحْجُوبٌ، وَنَفْسِي مَعْيُوبٌ، وَعَقْلِي مَغْلُوبٌ، وَهَوَائِي غَالِبٌ، وَطَاعَتِي قَلِيلٌ، وَمَعْصِيَتِي كَثِيرٌ، وَلِسَانِي مُقَرَّرٌ بِالذُّنُوبِ).

^١ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني، (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ) من محدثي الشيعة وفقهائهم المعروفين، صاحب المصنفات الكثيرة منها موسوعة «بحار الأنوار» والتي تعد أكبر دائرة معارف حديثة شيعية (المحقق).

^٢ دعاء الصباح، هو الدعاء الذي كان أمير المؤمنين (ع) يُعَقِّبُ به بعد صلاة الصبح، وهو يحتوي على مضامين حكمية وعرفانية وكلامية بينها في قالب ألفاظ وعبارات أدبية. ولما لهذا الدعاء من الأهمية فقد قام بعض الأعلام بشرحه والتعليق عليه (المحقق).

والامام السجاد عليه السلام في الدعاء الذي رواه ابو حمزة الثمالي وفي مجال البعد الذاتي يقول :

(أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتُهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتُهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتُهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتُهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَنْتُهُ).

وفي مورد اخر من هذا الدعاء يقول الامام زين العابدين عليه السلام :

(أَنَا يَارَبَّ الَّذِي لَمْ أَسْتَحِيكَ فِي الْخَلَاءِ، وَلَمْ أُرَاقِبْكَ فِي الْمَلَأِ ، أَنَا صَاحِبُ الدَّوَاهِي الْعُظْمَى، أَنَا الَّذِي عَلَى سَيِّدِهِ اجْتَرَى، أَنَا الَّذِي عَصَيْتُ جَبَّارَ السَّمَاءِ، أَنَا الَّذِي أُعْطِيتُ عَلَى مَعَاصِي الْجَلِيلِ الرُّشَا).

نعم، هو هكذا حينما ينظر الى بعده الذاتي.

ولكنه عليه السلام عندما يذهب للبعد الالهي يقول:

(أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنَى، أَنَا ابْنُ زَمْرَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرَّدَا)(١).

وهكذا نبي الله عيسى عليه السلام يقول :

(أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ)(٢).

نلاحظ هنا ان الهدف هو تركيز النظر على البعد الالهي، وليس قصة الانا والتعريف بالنفس، وانما بيان ان لهم موقعا خاصا في البشرية، خصهم الله تبارك وتعالى به.

اذن لا توجد مشكلة في ان يقول الامام صاحب العصر والزمان عليه السلام :

(اَللّٰهُمَّ وَصِّلْ عَلٰى وَلِيِّ اَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ، وَخَفِّهِ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَاَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

فالامام عليه السلام هنا يتحدث عن موقع الهي ويعطينا نوعا من التربية بهذا القول .

^١ من خطبة للامام السجاد عليه السلام في الشام بعد عودة السبايا وفي مجلس الطاغية يزيد (المحقق)

^٢ سورة مريم الآية ٣٠، و ٣١

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٣

معنى الحمد وفضله:

نلاحظ في المقطع الاول من هذا الدعاء قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَفْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ)، فنحن أمام مفردة (الحمد) حيث يتكرر ذلك في هذا الدعاء مرات عديدة، فماذا يعني الحمد؟
يجب ان نعرف ان هنالك ثلاث مفردات هي:

١-- الثناء.

٢- الحمد.

٣- الشكر .

لكل واحدة من هذه المفردات مدلول خاص بها في اللغة .
المفردة الاولى: وهي مفردة الثناء، معناه التوصيف بالمحاسن، وهناك رأي لغوي آخر يقول أن الثناء هو التوصيف بالصفات الحسنة أو القبيحة^(١).

اما المفردة الثانية: وهي مفردة الحمد فمعناه التقدير والاحترام للطرف الاخر، سواء كان في نعمة أنعمها، أو في شأن جميل من شؤونه، وصفة من صفات عظمته.

فالحمد هو المدح سواء على نعمة أنعم بها، أو صفة عظيمة اتصف بها، أو غير ذلك، اي أنك تبدي الرضا وتمجد الشخص على موقفه، سواء كان أحسن لك أو شدد عليك، ولهذا نقول (الحمد لله على كل حال) اذا اصابتنا مصيبة أو بلاء، فالحمد هو التمجيد والاحترام للطرف الاخر على كل خصاله وفعاله الكبرى.

ومن هنا استعرض هذا الدعاء أنواع المحامد الالهية، فقال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرَعَدُ السَّمَاوُتُ وَسُكَّانُهَا).

^١ انظر في ذلك لسان العرب/ لابن منظور

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُنَازَعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ).

وفي هذا العرض الجميل لم يقتصر الحمد على النعم الالهية على الانسان فحسب، وانما تناول جمال الصنع الالهي في الكون وقدرته تعالى، ووجدانيته.

بينما المفردة الاخيرة: وهي الشكر، فمعناه تقدير النعمة، واطهار المدح والثناء العاطر على الاحسان، ولا يقال الشكر في غير ذلك.

رواية في فضل الحمد لله:

ورد في كتاب ثواب الاعمال وعقاب الاعمال^(١) للشيخ الصدوق^(٢):
ثواب من قال الحمد لله كما هو اهله .

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

(من قال الحمد لله كما هو أهله شَغَلَ اللهُ كِتَابَ السَّمَاءِ.

قيل: وكيف يَشْغَلُ كِتَابَ السَّمَاءِ؟

قال: يقولون اللهم إنا لا نعلم الغيب.

فيقول: اكتبوها كما قالها عبدي وعليّ ثوابها)^(٣).

رواية في فضل الثناء:

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

^١ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، هو أحد كتب الحديث عند الشيعة، من تأليف المحدث والفقير الشيخ الصدوق. يحتوي الكتاب على قسمين: القسم الأول: مختص بالأحاديث التي وردت في (ثواب الأعمال)، والقسم الثاني: مختص بالأحاديث التي وردت في (عقاب الأعمال)، وهو مورد توجه علماء وفقهاء الشيعة، حيث اعتبروه من الأصول الروائية المهمة لديهم (المحقق).

^٢ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق من أعظم علماء القرن الرابع الهجري. ولد سنة ٣٠٥ هـ، وتوفي ٣٨١ هـ. ودفن في مدينة الري. ترك الصدوق ٣٠٠ أثر علمي، لكن الكثير من هذه المؤلفات فقدت، ولم يعثر عليها. من أهم مؤلفاته كتاب من لا يحضره الفقيه وهو من الكتب الأربعة المعتمدة لدى الشيعة وأيضاً الخصال وعلل الشرائع ومعاني الأخبار وعيون أخبار الرضا. ومن أبرز تلامذته السيد المرتضى والشيخ المفيد (المحقق).

^٣ ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق - الصفحة ١٣

(إياكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله عز وجل والمدح له والصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل الله حوائجه)(١).

رواية في فضل الشكر:

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

(كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً.

قال: وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى: (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)(٢).

قصة (يا بار يا واصل):

وفي قصة أخرى يرويها صاحب كتاب مستدرك سفينة البحار الشيخ علي النمازي الشاهرودي(٣):

أراد نبي الله موسى عليه السلام ذات مرة ان يتفقد الرعية، هبط عليه جبرئيل وأخذ بيده وقال له سوف ادلك على شخص من افضل العباد عندي.

أخذه الى قرية واذا برجل فقير كبير جالس على باب الدار وهو مقعد واعمى .

قال جبرئيل: يا موسى هذا افضل العباد.

إسمعه يقول: يا بار يا واصل (بار يعني صاحب البر، واصل يعني تصل لعبادك).

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٨٤ / باب الثناء قبل الدعاء / الحديث الاول

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٩٥ باب الشكر - الحديث السادس

^٣ الشيخ علي النمازي الشاهرودي (١٣٣٣ هـ - ١٤٠٢ هـ). عالم محدث كان من المهتمين بعلم الحديث الشيعي والمؤلفين الكثيرين في هذا المجال، وقد قال عنه جعفر السبحاني في ترجمته له: «اعتنى كثيراً بروايات وأخبار أئمة أهل البيت عليه السلام، ورواة حديثهم». كما ترجم له محمد رضا النصيري في اثر أفرينان واصفاً إيَّاه بقوله: «عالم ديني، فقيه، محدث، ومتكلم». وترجم له محمد شريف الرازي في كنجينه دانشمندان مثنياً عليه بالقول: «حجة الإسلام والمسلمين قدوة العلماء العاملين الحاج الشيخ علي بن العالم الكامل والعايد الزاهد آية الله الحاج الشيخ محمد المعروف بالنمازي الشاهرودي، من علماء مشهد المعاصرين وأئمة الجماعة (المحقق)

٢٦..... شرح دعاء الافتتاح

تعجب موسى من هذا الامر وقال له: ما الذي اعطاك الله حتى تقول هكذا وانت رجل أعمى مقعد؟.

قال: انا كنت شابا عندي ساقين اذهب بهما للمعاصي ، ثم ان الله تعالى بدل ان يعذبني اخذ العافية مني حتى لا اذهب للمعاصي.

وكان لدي عينان اعصي بهما الله، فأخذهما مني .

وازيدك ايضا ياهذا لا يوجد في هذه القرية أحد يؤمن بالله إلا انا، فالله تفضل عليّ بهذه النعمة العظيمة، فانا اقول (يا بار يا وصول).

فقال له موسى ﷺ: يا عبد الله اني رجل مجاب الدعوة فإن أحببت أن أدعو الله تعالى يرد عليك ما ذهب من جوارحك ويبريك من العلة فعلت؟.

فقال: لأريد شيئا من ذلك اختياريه لي أحب إلي من اختياري لنفسي، (وهذا هو الرضا المحض كما ترى).

فراح متعجبا وقال: هذا أعبد أهل الدنيا (١).

^١ مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٤ - الصفحة ١٥١

المحاضرة الثانية:

(وَ أَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ، وَ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ
أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ،
وَ أَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النَّكَالِ وَ النَّقْمَةِ)

- *التسديد الالهي.
- *الرحمة الالهية.
- *العقوبة الالهية.
- *نظرية (الاستحقاق الوجودي).
- *فلسفة الشر في العالم.

شرح دعاء الافتتاح	٢٨
-------------------------	----

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٩

ينتقل بنا الدعاء الى العبارة الاخرى وهي: (وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ).

أي أن السداد والصواب في المواقف والاقوال انما هو بفضل من الله تبارك وتعالى، فكل انسان لا يستغني عن الله تبارك وتعالى، ولا يمكن له بدون التسديد ان يهتدي..

الامام الجواد عليه السلام في حديث شريف يقول:
(المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه)(١).

وهذه من روائع ائمتنا عليه السلام، يمكن أن نسميها ثلاثيات الائمة.
أولها التوفيق من الله تعالى، حيث نرى القرآن الكريم يقول حاكيا عن نبي الله شعيب عليه السلام :
{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}(٢).

وهكذا يجب أن نطلب التوفيق في كل شيء، في الدرس، والتجارة، والطعام ، وفي كل مشروع ندخله.

فاذا كان عملنا بدون توفيق من الله فهو فاشل، ولهذا يهمننا دائما ان نطلب التسديد من الله ونقول: اللهم وفقنا لما تحب وترضى.
ولهذا نقرا في دعاء مكارم الاخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام(٣):

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ - الصفحة ٣٥٨

^٢ سورة هود الآية ٨٨

^٣ دعاء مكارم الأخلاق، واحد من الأدعية المعروفة المروية عن الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية ولأنه يحتوي على مضامين عالية ودروس أخلاقية ومعارف سلوكية تربوية وعرفانية، فقد حاز الأهمية لدى المحققين والعلماء وأهل الذكر والدعاء، وأصحاب السير والسلوك المعنوي، ولذا فقد قام مجموعة من المتقدمين والمتأخرين بشرحه وتفسيره. هذا الدعاء ناظر في أبعاده وجوانبه التربوية إلى حياة الفرد والمجتمع والجماعة، وتعليم القيم والقوانين الأخلاقية والتربوية. وهو ٣٠ فقرة ساقها الإمام عليه السلام وضمّن ٢٢ فقرة منها مسائل الأخلاق، وبدأ ٢٠ فقرة منها بالصلاة على محمد وآله وطلب كل ما فيه الخلق الحسن. ثم يختم بطلب التوفيق من الله تعالى لذلك(المحقق).

٣٠..... شرح دعاء الافتتاح

(اللهم وَقِّفْنِي إِذَا اسْتَكَلْتُ عَلَى الْأُمُورِ لَاهِدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتْ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتْ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا).

ولو تأملنا في دعاء مكارم الاخلاق لوجدنا فصلا خاصا عجيبا يستعرض فيه المواقف الاخلاقية المضادة لاستحقاق الطرف الاخر، حيث يقول:

(اللَّهُمَّ سَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ.

وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ.

وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ.

وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ.

وَأُخَالِفَ مَنْ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ.

وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ^(١)).

هذا كله يحتاج الى تسديد من الله تبارك وتعالى، فالنفس أمارة بالسوء، ونحن غير قادرين على النجاح في مواقفنا الاخلاقية والسلوكية، بدون تسديد الله تبارك وتعالى.

ولهذا نطلب التسديد في الكلمة، والتسديد في الموقف، والتسديد في النية، فتبدا من النية الى الكلمة الى الموقف.

هنالك فقرة من الدعاء بعد زيارة امير المؤمنين عليه السلام يقول فيها:

(اللهم إنا نعوذ بك من عثرة اللسان، وسوء المقام، وخفة الميزان)^(٢)).

فالتسديد الالهي هو الذي يحمي الانسان من زلة اللسان، وسوء المقام، وخفة الميزان يوم القيامة.

^١ الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي فصل زيارة امير المؤمنين عليه السلام

شرح دعاء الافتتاح..... ٣١

نموذج التسديد الالهي:

وهنا نذكر نموذجاً للتسديد الالهي:

وهو موقف الحر الرياحي^(١):

عندما أخذته الرعدة، فقال له المهاجر: إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟

فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت^(٢).

كلمة صائبة، ونية صحيحة تبعها موقف صحيح، حيث الالتحاق بركب الامام الحسين عليه السلام والعبور من النار الى الجنة.

نموذج الخذلان الالهي:

هو موقف عمر بن سعد^(٣) وخذلان الله له حيث قال:

فوالله ما أدري وإني لحائر	*	أفكر في أمرى على خطرين
أترك ملك الري والري منيتي	*	أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمى والحوادث جمة	*	ولكن لي في الري قرة عيني
يقولون إن الله خالق جنة	*	ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنني	*	أتوب إلى الرحمن من سنتين ^(٤)

^١ الحر بن يزيد الرياحي، أحد زعماء أهل الكوفة وساداتها، قد أرسله عبيد الله بن زياد ليسيير الحسين (عليه السلام)، ويراقب حركته، وقد ندم في اللحظات الأخيرة في يوم عاشوراء؛ فالتحق بالحسين عليه السلام، واستشهد معه بكربلاء سنة ٦١ هـ (المحقق)

^٢ العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) - الشيخ عبد الله البحراني - الصفحة ٢٥٤

^٣ عمر بن سعد بن أبي وقاص، المعروف بابن سعد كان أمير جيش عبيد الله بن زياد في واقعة كربلاء. توجه مع ٤ آلاف مقاتل لمقاتلة جيش الإمام الحسين (عليه السلام) طمعاً في حكم الري و كان له الدور البارز في تلك الواقعة وفي استشهاد عدد من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام). ورمى بأول سهم على الحسين (عليه السلام) وأنصاره معرباً عن عزمه الراسخ على قتالهم و بعد أن استشهد الحسين (عليه السلام) وأصحابه أمر بأن توطئ أجسادهم بالخيل. قتل ابن سعد سنة ٦٦ هـ على يد المختار الثقفي، ولم ينل حكم الري (المحقق).

^٤ اللهوف في قتلى الطفوف - السيد ابن طاووس - الصفحة ١٩٣

نعوذ بالله من سوء العاقبة.

ولهذا يجب دائما أن نطلب التسديد من الله تعالى ونقول: اللهم سدّدنا ولا تخذلنا، وإلا نغرق في أمواج البحار المتلاطمة.

فقوله ﷺ: (وَأَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ)، اي انت الذي تسدّدنا للصواب وللطريق الصحيح بفضلك ومنّك علينا .

يقول الله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} (١)، فذلك من الله تعالى وبفضله لمن اختار الله له الهدى وشرح صدره للإسلام .

كما منّ الله تعالى على الناس اذ بعث فيهم رسولا، حيث قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٢)، فذلك فضل من الله تعالى على البشرية أن بعث الرسول الاكرم ﷺ من أنفسهم.

وَأَيَقُنْتَ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ:

ثم ينتقل الدعاء الى فقرة اخرى وهي: (وَأَيَقُنْتَ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ).

هذه الفقرة تنقلنا للحديث عن (اليقين) وفضله.

فضل اليقين:

الروايات تقول عن الامام الباقر ﷺ: (ان الايمان فوق الاسلام بدرجة، واليقين فوق الايمان بدرجة) (٣)، يعني الايمان هو مرتبة متقدمة على الاسلام، واليقين مرتبة متقدمة على الايمان، فاليقين هو عبارة عن الايمان الواقعي العميق.

^١ سورة الانعام الآية ١٢٥

^٢ سورة ال عمران الآية ١٦٤

^٣ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٥٢

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٣

ففي الرواية عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: سألت أبا الحسن
الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام.
فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنما هو الاسلام، والايمان فوقه بدرجة
والتقوى فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين
الناس شئ أقل من اليقين.
قال: قلت فأى شيء اليقين؟
قال: التوكل على الله، والتسليم لله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى
الله.

قلت: فما تفسير ذلك؟

قال: هكذا قال أبو جعفر الباقر عليه السلام ^(١).
هناك ايمان سطحي شكلي وهو الذي نسميه الاسلام، وهو عبارة عن
إظهار الشهادتين باللسان.
وهناك ايمان واعتقاد بالشهادتين ولكنه لم يغمس القلب ولا يملكه، وهذا
هو (الايمان).

وهناك ايمان يصل الى مستوى اليقين فيملك المشاعر والاحاسيس
القلبية فتخشع له، وهذا هو المسمى بـ(اليقين)، وهو ما أشار اليه الحديث
الشريف: (خَفِيَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ^(٢).
هذه مرتبة عظيمة وهي مرتبة اليقين، ونحن المفروض علينا ان نصعد
من مرتبة الاسلام الى مرتبة الايمان، ثم الى مرتبة اليقين، حيث يقول
تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} ^(٣).

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٥٢

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٦٨ (عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: "يَا إِسْحَاقُ،
خَفِيَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَاكَ فَقَدْ كَفَرْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ
يَرَاكَ ثُمَّ بَرَزْتَ لَهُ بِالْمَعْصِيَةِ فَقَدْ جَعَلْتَهُ مِنْ أَهْوَنِ النَّاطِرِينَ عَلَيْكَ)

^٣ سورة الحجر الآية ٩٩

الامام علي عليه السلام يقول لولده الحسن عليه السلام: (أَحْيِي قُلُوبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِّنْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ) (١).
اليقين بحاكمية الله، والتسليم لقرار الله، واليقين بقدرة الله، وانك تعيش في ظل الله ابدًا، (ولاحول ولاقوة إلا بالله).
قصة ابراهيم الخليل عليه السلام:

حينما ألقى ابراهيم عليه السلام بالمنجنيق الى النار، جاءه جبرئيل عليه السلام وهو في الفضاء قبل أن يسقط الى النار، فقال: هل لك حاجة؟
فأجابه ابراهيم عليه السلام: أما إليك فلا.
فقال: سل الله.
فأجابه ابراهيم عليه السلام: (علمه بحالي يغنيه عن سؤالي) (٢).
هذا نموذج من اليقين الراسخ بالله تعالى (٣).
الامام علي عليه السلام يقول: (أما والله لو كُشِفَ لِي الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا) (٤).
ثلاث صفات الهيبة:
الدعاء هنا يقول:

(وَأَيَّقْنِي أَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدَّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النُّكَالِ وَالنَّقِمَةِ، وَأَعْظَمَ الْمُتَجَبِّرِينَ فِي مَوْضِعِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ).
هنا ثلاث صفات لله تعالى، كيف نجعلها وقد يبدو للوهلة الاولى أنها متناقضة:

الصفة الاولى وهي : أرحم الراحمين.
الصفة الثانية وهي : أشد المعاقبين.

^١ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٥٣٨

^٢ رواه في تفسير البغوي/ معالم التنزيل / ج ٣/ ص ٣٤٧

^٣ للمزيد مراجعة ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٦٥٨

^٤ الروضة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣٥ ، لأبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي، المعروف بابن شاذان القمي، المتوفى بحدود سنة: ٦٠٠ هجرية، طبعة مكتبة الامين، قم/إيران.

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٥

الصفة الثالثة وهي: أعظم المتجبرين.
فهو أرحم الراحمين، وبنفس الوقت هو أشد المعاقبين، كيف تجتمع هذه الصفات مع بعضها؟
الجواب هو ماشرحه لنا الدعاء نفسه، وهو اختلاف الصفة الإلهية باختلاف الموضوع.

فهناك موضوع يستحق الرحمة فهو(أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، وهناك موضوع يستحق النعمة، فهو(أَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ)، وموضوع آخر وهو العظمة والربوبية فهو(أَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرِينَ)، فكل صفة يجب أن ننظر إليها من زاوية معينة غير الصفة الأخرى، وبهذا ينحل التناقض.

فهنا نجد ثلاث صفات لله تبارك وتعالى، مع تغير الموضوع الخارجي، فإله تبارك أرحم الراحمين لمن؟
الجواب هو قوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (١).

وقوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (٢).

فإله سبحانه وتعالى ينشر رحمته يوم القيامة حتى يطمع إبليس فيها، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:
(إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته) (٣).

^١ سورة طه الآية ٨٢

^٢ سورة الاعراف الآية ١٥٦

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠٨ - الصفحة ١٠٤

والله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (١)، هذه الرحمة العامة للناس، اما الرحمة الخاصة فقد قال تعالى: {فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (٢).

قصة داوود والشاب ومَلِك الموت:

روي انه بينما كان داود ﷺ جالساً وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده وبطيل الصمت .

جاء ملك الموت يوما الى داود فسلم عليه وجلس عنده واخذ يمد النظر الى الشاب ، فقال داود ﷺ: نظرت الى هذا ؟

فقال: نعم ، اني امرت بقبض روحه الى سبعة ايام في هذا الموضع .
فرحمه داود فقال : يا شاب هل لك امرأة ؟

قال: لا وما تزوجت قط .

قال داود ﷺ: فأنت فلانا - رجلا عظيم القدر من بني اسرائيل - فقل له :
ان داود يأمرك ان تزوجني ابنتك ، وتدخلها الليلة ، وخذ من النفقة ما تحتاج اليه وكن عندها، فاذا مضت سبعة ايام فوافني في هذا الموضع .
فمضى الشاب برسالة داود ﷺ فزوجه الرجل ابنته وادخلوها عليه، واقام عندها سبعة ايام، ثم وافى داود يوم الثامن، فقال له داود ﷺ: يا شاب كيف رايت ماكنت فيه ؟

قال: ماكنت في نعمة ولا سرور قط اعظم مما كنت فيه .

قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر ان يقبض روحه، فلما طال قال :
انصرف الى منزلك فكن مع اهلك، فاذا كان يوم الثامن فوافني ههنا .

^١ سورة الاعراف الاية ١٥٦

^٢ سورة الاعراف الاية ١٥٦

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٧

فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف اسبوعاً آخر ثم اتاه وجلس، فجاء ملك الموت الى داود عليه السلام فقال داود عليه السلام: أليست حدثتني بانك امرت بقبض روح هذا الشاب الى سبعة ايام؟ قال: بلى.

فقال: فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية.

قال: يا داود ان الله تعالى رحمه برحمتك له فأخر في اجله ثلاثين سنة^(١).

الرواية تقول:

(جعل الله الرحمة مائة جزءاً، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)^(٢). وجاء في دعاء الجوشن الكبير^(٣):

(يَا رَاحِمَ مَنْ اسْتَرْحَمَهُ، يَا غَافِرَ مَنْ اسْتَغْفَرَهُ، يَا نَاصِرَ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ، يَا حَافِظَ مَنْ اسْتَحْفَظَهُ، يَا مُكْرِمَ مَنْ اسْتَكْرَمَهُ، يَا مُرْشِدَ مَنْ اسْتَرْشَدَهُ، يَا صَرِيحَ مَنْ اسْتَصْرَحَهُ، يَا مُعِينَ مَنْ اسْتَعَانَهُ، يَا مُغِيثَ مَنْ اسْتَعَاثَهُ)^(٤). وفي المقابل هنالك وصف (أَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ) حيث يقول الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَاتَّرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} ^(٥). وقال: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ} ^(٦).

^١ البحار : ج ١٤ ص ٣٨.

^٢ رياض الصالحين - يحيى بن شرف النووي - الصفحة ٢٤٣

^٣ دعاء الجوشن الكبير، أحد الأدعية المنقولة عن النبي ﷺ وهو مئة فصل وكل فصل عشرة أسماء، وهذا الدعاء -وبحسب الروايات- نزل به جبرائيل على رسول الله ﷺ كُتِبَ عليه عدة شروح من بعض العلماء قديماً وحديثاً. يقرأ هذا الدعاء في ليالي شهر رمضان خاصة ليالي القدر.

^٤ مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي

^٥ سورة النازعات الآية ٣٧

^٦ سورة الفجر الآية ٢٥ و ٢٦

٣٨..... شرح دعاء الافتتاح

اذن هنا الموضوع قد اختلف والدعاء يسير بكل انسيابية، فالعقوبة هي لمن طغى، والرحمة هي لمن تاب.
لماذا يعذب الله البشر؟

وقد يرد سؤال فلسفي هنا، لماذا يعذب الله البشر؟
هل هو ثأر نفسي؟
حاشا لله ان يكون هكذا، اذن لماذا العذاب؟
وكيف نفسر العذاب من الله تعالى للعباد؟
الجواب على ذلك:

هو نظرية (الاستحقاق الوجودي)، فان {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} (١)، فهذا استحقاقه الوجودي هو نار جهنم، وذلك استحقاقه الوجودي هو الجنة، كل ذلك نتيجة الاعمال، وهذه الاعمال هي انعكاس عن الذات، والعقوبة او الجنة هي انعكاس عن الاعمال.

فالله تعالى يقول في كتابه الكريم:

{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (٢).
فالعقوبة اذن هي نتيجة العمل، او بتعبير اصح هي نفس العمل، يتجسد، كما قال تعالى: {لْيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ} (٣).

وهذا مانسميه بنظرية (الاستحقاق الوجودي) (٤)، ومعناها هو العدل الالهي في ان يعطي كل شيء بمقدار استحقاقه الذاتي، فالشوك له استعداد وجودي ان يكون شوكاً فكان شوكاً، والعقرب عقرباً، والورد ورداً والانسان انساناً ومثل ذلك الوليد السليم اعطاه الله بقدر استحقاقه، والاعمى من بطن امه لم يكن قادراً على الوجود مبصراً فمنحه الله الوجود اعمى،

^١ سورة المدثر الاية ٣٨

^٢ سورة ال عمران الاية ٣٠

^٣ سورة الزلزلة الاية ٨

^٤ للمزيد مراجعة كتاب دفاع عن العقيدة / لسماحة السيد صدر الدين القبانجي / ص ١٦٠ نظرية العرفاء.

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩

وليس في ذلك ظلم انما هو إعطاء كل ذي حق حقه، ثم تأتي بعد ذلك قضية التعويض الالهي يوم القيامة.

الفيض الالهي انما هو حيث يوجد استعداد، فاذا انتهى الاستعداد فلا فيض، وهذا لا يتنافى مع العدالة الالهية، بل هو محض العدالة الالهية، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (١).

وعلى هذا الاساس فان نظرية (الاستحقاق الوجودي) ترى ان الله تعالى يعطي كل ذي حق حقه في الوجود، فاذا انتهى الاستعداد الوجودي فلا فيض اذن .

مشكلة وجود الشر في العالم:

وبهذا الفهم أيضاً تنحل مشكلة وجود الشر في العالم بمختلف صورته واشكاله، لان ذلك هو طبيعة الاستحقاق الوجودي للعالم المادي، حيث لا يمكن ان يوجد بدون زلازل وفيضانات وامراض وموت وحياة وفقر وغنى وماشاكل ذلك..

الله تبارك وتعالى هو فياض الوجود حيث يوجد الاستحقاق والامكانية، فانه يفيض الوجود على كل شيء قابل للوجود، وان كان هناك مشكلة فإنما هي بالقابل وليس بالفاعل حسب تعبير الفلاسفة، فالفاعل هو الله تعالى، والقابل هو المخلوق، وحيث كان المخلوق بإمكانيات وجودية خاصة أفاض الله تعالى عليه الوجود بحسب تلك الامكانية {كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} (٢).

رواية التسليم الى الله تعالى:

عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.
قال: ما أنتم؟

^١ سورة فصلت الآية ٤٦

^٢ سورة الاسراء الآية ٢٠

قالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله.

قال: فما حقيقة إيمانكم؟

قالوا: الرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله.

فقال رسول الله ﷺ: (علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء،

فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون)(١).

دعاء يوسف في البئر:

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا اسْتَقَرَّ يُوسُفُ ﷺ فِي قَعْرِ الْجُبِّ سَالِمًا وَاطْمَآنًا مِنَ الْمُؤَذِّيَّاتِ، جَعَلَ يُنَادِي إِخْوَتَهُ:

«إِنَّ لِكُلِّ مَيِّتٍ وَصِيَّةً، وَوَصِيَّتِي إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ فَأَذْكُرُوا وَحَدَّثِي، وَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا وَحَشَّتِي، وَإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَذْكُرُوا جَوْعَتِي، وَإِذَا شَرِبْتُمْ فَأَذْكُرُوا عَطَشِي، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَابًا فَأَذْكُرُوا شَبَابِي».

فَقَالَ لَهُ جَبْرِئِيلُ ﷺ: يَا يُوسُفُ، أَمْسِكْ عَنْ هَذَا، وَاشْتَغِلْ بِالدُّعَاءِ، وَقُلْ:

يَا كَاشِفَ كُلِّ كُرْبَةٍ، وَيَا مُجِيبَ كُلِّ دَعْوَةٍ، وَيَا جَابِرَ كُلِّ كَسِيرٍ، وَيَا حَاضِرَ كُلِّ بَلَوٍ، وَيَا مُؤْنِسَ كُلِّ وَحِيدٍ، وَيَا صَاحِبَ كُلِّ غَرِيبٍ، وَيَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَأَنْ تَجْعَلَ فِي قَلْبِي حُبَّكَ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي هَمٌّ وَشُغْلٌ سِوَاكَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، نَسْمَعُ صَوْتًا وَدُعَاءً، أَمَّا الصَّوْتُ فَصَوْتُ نَبِيٍّ، وَأَمَّا الدُّعَاءُ فَدُعَاءُ نَبِيٍّ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ: هُوَ نَبِيِّي يُوسُفُ، وَ أَوْحَى تَعَالَى إِلَى جَبْرِئِيلَ: أَنْ اهْبِطْ عَلَى يُوسُفَ، وَقُلْ لَهُ: { لَنُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (٢)(٣).

^١ المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - الصفحة ٢٢٦

^٢ سورة يوسف الآية ١٥

^٣ البرهان في تفسير القرآن المؤلف: البحراني، السيد هاشم الجزء: ٣ صفحة: ١٥٩

المحاضرة الثالثة:

(اللَّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعَائِكَ وَ مَسْأَلَتِكَ فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي
وَ اجِبْ يَا رَحِيمُ دَعْوَتِي، وَ أَقِلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ
كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا وَ هُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَهَا، وَ عَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَهَا، وَ رَحْمَةٍ
قَدْ نَشَرْتَهَا، وَ حَلَقَةٍ بَلَاءٍ قَدْ فَكَّكْتُهَا).

- * قصة الاذن الالهي
- * أقسام الاذن الالهي
- * رباعية الامام علي عليه السلام
- * أدعية السيد الخوئي (قدس سره)
- * الحسن البصري والامام السجاد عليه السلام

٤٢ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٤٣

هذا المقطع من الدعاء يصور لنا العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وعبد، حيث نرى ربّ العزة والجلال المستغرق في جلاله وكماله، والذي بيده مقاليد السماوات والأرض، يطلب من عبده أن يتحدث معه، وأن يتودد إليه !

فالله سبحانه وتعالى أذن لعبده بالدعاء والمسألة، وهذا الاذن الالهي من أعظم نعم الله تبارك وتعالى على العباد، كما يقول الامام زين العابدين (عليه السلام) في مناجاة الذاكرين وهي أحد المناجاة الخمسة عشر التي الحقت بالصحيفة السجادية^(١) :
(وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرَيَانُ ذِكْرِكَ عَلَيَّ أَلَسِّنَتْنَا، وَإِذْنُكَ لَنَا بِدُعَائِكَ وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ)^(٢).

لذا فان من اعظم النعم علينا أن سمح الله تعالى لنا بمكالمته ودعائه ومناجاته، وهنا لنا وقفة عند هذه الفقرة، فقرة الاذن من الله لنا بالدعاء، كيف يكون ذلك ؟

شرف الاذن الالهي بمخاطبته:

نحن نعرف ان كل الكائنات تعرف الله، وان كل الكائنات تسبح الله {وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} (٣).

^١ الصحيفة السجادية، كتاب يشتمل على ٥٤ دعاء ومناجاة للإمام السجاد (عليه السلام) رابع أئمة أهل البيت (عليه السلام)، ويحظى بمكانة عظيمة بين الشيعة، ويأتي بالمرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة، ويُعرف باسم "زبور آل محمد" و"إنجيل أهل البيت (عليه السلام) لقد بين الإمام السجاد (عليه السلام) في طيات أدعيته كثيراً من المعارف، منها: معرفة الله، ومعرفة الكون، ومعرفة الإنسان، وعالم الغيب، والملائكة، ورسالة الأنبياء، ومكانة الأنبياء وأهل البيت (عليه السلام) والإمامة، والفضائل الأخلاقية، والأمور الاجتماعية والاقتصادية، وإشارات تاريخية، ونعم الله، وآداب الدعاء، وتلاوة القرآن، والصلاة، وغيرها من المعارف الدينية. وأشهر أدعية الصحيفة هو دعاء مكارم الأخلاق. إضافة لمكانته عند الشيعة، لقد مدح بعض علماء أهل السنة فصاحة الكتاب وبلاغته أيضاً. يذكر الأغا بزرك الطهراني في الذريعة ما يقارب ٥٠ شرحاً للصحيفة، من أشهرها: رياض السالكين لابن معصوم المدني. تُرجمت الصحيفة للغات عدة، منها الفارسية، والإنجليزية والفرنسية، والتركية، والإسبانية، والأردو وغيرها من اللغات (المحقق).

^٢ الصحيفة السجادية (ابطحي) - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - الصفحة ٤١٨

^٣ سورة الاسراء الآية ٤٤

فالجبال والبحار والحيوانات، وكل ما في الارض والسماء تسبح لله تبارك وتعالى، ولكن الانسان له امتياز آخر فضَّله الله تعالى به على كثير من المخلوقات وهذا الامتياز هو إستخلافه على الارض، وحمل الرسالة الالهية، وتكريمه بها، والتواصل المباشر معه {أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (١)، وهذا الذكر المتبادل من خلال الدعاء والسؤال هو مرتبة اكبر تكاملا وتقدما من مجرد التسبيح، ولذا قال تعالى: {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٢).

يا لهذه العلاقة الحميمة بين العبد وربه !.. العبد يدعو ربه، والرب يسمع دعاءه ويقضي حاجته، ولكن قد يؤخر عنه الإجابة، لأنه يحب أن يسمع صوته (٣).

عن الامام الباقر (عليه السلام) قال:

(إن المؤمن ليسأل الله حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حبا لصوته واستماع نحيبه، ثم قال: والله ما أخر الله عن المؤمنين ما يطلبون في هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم فيها، وأي شئ الدنيا) (٤).
كما جاء عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

(إن العبد ليدعو فيقول الله عز وجل للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته، فإني أحب أن أسمع صوته، وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى: عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته) (٥).

ان نعمة الاذن بالتواصل المباشر مع الله تعالى، والتي منحها الله تعالى للكائنات العاقلة، تعتبر من اعظم النعم علينا، وان الاذن من الله

^١ سورة البقرة الآية ١٥٢

^٢ سورة الاسراء الآية ٧٠

^٣ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٧٢ (عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف ولم يحجب عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إن ذا الصوت لا نعرفه) (المحقق)

^٤ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٨٨

^٥ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٨٩

شرح دعاء الافتتاح..... ٤٥

بالدعاء هو تشريف عظيم وهو نقطة كمال للانسان، فهو تواصل مباشر بين طرفين، وخط ساخن مفتوح لا ينقطع، {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (١)، و {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٢).

فهناك ارادة، وتكامل، وتواصل مع الله سبحانه وتعالى منحها الله للانسان وشرفه بها.

الامام زين العابدين عليه السلام يقول في دعاء عرفة:
(وَأَنَا بَعْدُ أَقَلُّ الْأَقْلِيَّةِ، وَأَذَلُّ الْأَذَلِّيْنَ، وَمِثْلُ الذَّرَّةِ أَوْ دُونَهَا) (٣).
ولكن مع هذا الحجم الضئيل الحقير للانسان، فقد أذن الله تعالى بمكالمته ومناجاته ودعائه.

فضل التواصل مع الله تعالى:

ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

(إن الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكا يقال: له الداعي، فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كل ليلة منه إلى الصباح: طوبى للذاكرين، طوبى للطائعين.
ويقول الله تعالى:

(أنا جليس من جالسيني، ومطيع من أطاعني، وغافر من استغفرني، الشهر شهري، والعبد عبدي، والرحمة رحمتي، فمن دعاني في هذا الشهر أجبتة، ومن سألني أعطيته ومن استهداني هديته، وجعلت هذا الشهر حبلا بيني وبين عبادي، فمن اعتصم به وصل إلي) (٤).

^١ سورة البقرة الآية ١٥٢

^٢ سورة غافر الآية ٦٠

^٣ الصحيفة السجادية ، دعاء رقم (٤٧)

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٥ - الصفحة ٣٧٧

٤٦ شرح دعاء الافتتاح

ومثل هذا ورد أيضا في ليلة الجمعة حيث ينادي الملك من أول الليل (الا هل من مستغفر فاغفر له) (١).

هذه هي منزلة الانسان، التواصل مع جبار السموات والارض، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٢).

هذه اعظم النعم، بحيث ان الانسان يحب الله، والله يحب الانسان، (يَا أَحَبَّ مِنْ كُلِّ حَبِيبٍ)، (يَا أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ)، (يَا حَبِيبَ مَنْ لَا حَبِيبَ لَهُ) (٣).

هذا الحب المتبادل، والحديث المتواصل غير موجود عند سائر الكائنات.

ونرى الامام زين العابدين عليه السلام في دعائه يقول:
(ادْعُوكَ يَا سَيِّدِي بِلِسَانٍ قَدْ أَخْرَسَهُ ذَنْبُهُ، رَبِّ أَنَا جِيكَ بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ) (٤).

فهذا الانسان مسموح له ان يفتح خطأ ساخناً بينه وبين الله تعالى، وهذه كرامة عظيمة، لهذا يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ أَذْنَتَ لِي فِي دُعَائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ).
فالدعاء هو النداء، وأما المسألة فتأتي بعد الدعاء، فالمرحلة الاولى هي الدعاء عندما تقول الهي، ثم تأتي المسألة بقولك اكرمني، شافني وعافني، وغير ذلك من المسائل التي تطلبها من الله تعالى.

^١ وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٧ - الصفحة ٣٨٩ (عن الامام الرضا عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكا " إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة في أول الليل، فيأمر فينادي: هل من سائل فاعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء) (المحقق)
^٢ سورة الاسراء الآية ٧٠

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي (دعاء الجوشن الكبير)

^٤ من دعاء أبي حمزة الثمالي للمزيد من الشرح راجع كتاب شرح أبي حمزة الثمالي لسماحة السيد صدر الدين القبانجي (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح.....٤٧

فالمرحلة الاولى هي طرق الباب ونداء الحبيب، وبعد فتح الباب تأتي
المسألة وعرض الحاجات.

اقسام الأذن:

الاذن من الله تعالى ثلاثة اقسام:

١-الاذن التكويني.

٢-الاذن التشريعي.

٣-الاذن التعاطفي.

الاذن التكويني:

هو ان يكون كل شيء باذن الله، فلا يطير الطير الا باذنه، وهو الذي
يمسك السماء فلا تقع على الارض الا باذنه، ولا تمطر السماء الا باذنه،
ولا تسير الافلاك الا باذنه، وهو الذي {يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ} (١)، و{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} (٢)، فكل
شيء من مصيبة ونعمة لا تكون الا باذنه .

ولهذا توجد رواية للشيخ الكليني (٣) في اصول الكافي (٤):

عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال:

^١ سورة الحج الايو ٦٥

^٢ سورة فاطر الاية ٤١

^٣ أبوجعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المعروف بثقة الإسلام الكليني من كبار محدثي الشيعة
الإمامية ومؤلف كتاب الكافي الذي يعدّ من أهم المصادر الحديثية الأربعة عند الشيعة. ولد في عصر الغيبة
الصغرى ولقى بعض المحدثين الذين سمعوا الحديث مباشرة من الإمام الهادي أو الإمام العسكري عليه السلام. وصفه
الرجاليون بالدقة والضبط في نقل الحديث (المحقق).

^٤ الكافي من مصادر الحديث لدى الشيعة وأكثر الكتب الأربعة اعتباراً، وهو من تأليف محمد بن يعقوب بن
إسحاق المشهور بثقة الإسلام الكليني. ويشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام: أصول الكافي، وفروع الكافي،
وروضة الكافي، ويعد من أهم المصادر لدى العلماء. وكان الضابط لدى الكليني في جمع الأحاديث عدم
معارضتها للقرآن و موافقتها للإجماع. نقل الكليني أحاديث هذا الكتاب بأقل الوسائط؛ وذلك بسبب علاقته
بأصحاب الأئمة وأن الأصول الأربعمئة كانت في متناول يده. واعتقد بعض العلماء الشيعة بصحة جميع
الروايات الموجودة في الكافي، واعترف البعض الآخر بوجود أحاديث ضعاف فيه. وقيل إن تسمية الكتاب
بالكافي مأخوذة من رواية منسوبة إلى الإمام المهدي عليه السلام إلا أن الكثير من العلماء خالفوا هذا
الإدعاء (المحقق).

(لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشئئة وكتاب وأجل وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله، أو رد على الله عز وجل)(١).

اذن لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبع، الاذن من الله، المشئئة من الله تعالى، الارادة من الله تعالى، القضاء الالهي، القدر الالهي، الاجل الالهي، الكتاب الالهي.

هذه سبعة امور لا يحدث شيء في السماء ولا في الأرض الا بهذه السبعة والقران الكريم يؤيد ذلك حيث يقول:

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ}(٢)، ويقول: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}(٣)، ويقول: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}(٤)، ويقول: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ}(٥).

هذا هو الاذن التكويني، حيث لا يحدث شيء في الوجود الا باذنه تعالى.

الاذن التشريعي:

الاذن التشريعي هو ان الله تبارك وتعالى شرع ذلك العمل وأجازه، مثل {أَنْ لِّلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيٌّ مِّنْ اللَّهِ} (٦)، فالقتال والجهاد ماذون به شرعا.

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}(٧).

الاذن التعاطفي:

الانسان في علاقته مع الله تعالى يمتاز بشي اخر وهو الاذن التعاطفي المليء بالمودة والمحبة، حيث أذن الله ان تدعوه وتتقرب اليه، فهذا اذن

١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٥٠

٢ سورة الاعراف الاية ٥٨

٣ سورة التغابن الاية ١١

٤ سورة يونس الاية ١٠٠

٥ سورة ال عمران الاية ١٦٦

٦ سورة الحج الاية ٣٩

٧ سورة يونس الاية ٥٩

شرح دعاء الافتتاح.....٤٩

محفوظ بالمحبة، وليس مجرد اذن تشريعي، كما يقول تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (١)، ويقول تعالى: {فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (٢)، ويقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٣).

رباعية الامام علي عليه السلام:

في احاديث اهل البيت عليه السلام هنالك ثنائيات وثلاثيات ورباعيات وخماسيات، وارقام اخرى تتحدث عن حكم ومواظ، وقد جمعها الشيخ الصدوق في كتابه (الخصال) (٤)، منها رباعية للإمام علي عليه السلام والتي يقول فيها:

(مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا،
مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةُ،
وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولُ،
وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةُ،
وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةُ) (٥).

فقوله عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةُ، هو ماجاء في كتاب الله تعالى حيث قال: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٦).

وفي شهر رمضان المبارك هنالك خصوصية لاستجابة الدعاء فالرواية تقول: (إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً عِنْدَ إِفْطَارِهِ، إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي دُنْيَاهُ، أَوْ يُدَّخَرَ لَهُ فِي آخِرَتِهِ) (٧).

^١ سورة البقرة الآية ١٥٢

^٢ سورة البقرة الآية ١٨٦

^٣ سورة غافر الآية ٦٠

^٤ الخصال، كتاب ألفه محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المشهور بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، وهو أحد أشهر فقهاء ومحدثي الشيعة. يشتمل كتاب الخصال على روايات أخلاقية وعقائدية وفق ترتيب ونظام عددي متدرج. ولم يسبق للمحدثين أن استفادوا من هذا النظام في ترتيب الروايات قبل الشيخ الصدوق. (المحقق)

^٥ شرح نهج البلاغة ج ١٨ - ابن أبي الحديد

^٦ سورة غافر الآية ٦٠

^٧ راجع كتاب بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - الصفحة ٣٦٠ ورد فيها احاديث في استجابة الدعاء للصائم (المحقق)

وقوله: (مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولُ)، لان الله تعالى من اسماءه (قابل التوبة)، وقال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (١)، فنحن امام رحمة الهية واسعة في استجابة الدعاء وقبول التوبة، وغفران الذنوب، وزيادة النعم، خاصة في شهر رمضان المبارك. واما قوله ﷺ: (وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةُ)، فهو اشارة الى قوله تعالى في كتابه الكريم: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا} (٢).

انواع المغفرة:

المغفرة شاملة للجميع، ولكن هنالك مغفرتان :

الاولى : المغفرة المأمولة.

الثانية: المغفرة الحتمية.

اما المغفرة المأمولة، فهي المرجوة للجميع، قد يحصل عليها الانسان المذنب وقد لا يحصل، مثل المطر فانه للجميع لكن قد يذهب هدرًا اذا لم تكن مستعدا لاستقباله، هذا في المغفرة الواسعة الشاملة للجميع. اما المغفرة الحتمية فهي ليست مطلقة للجميع، وانما لمن يشاء الله تعالى.

فالقران الكريم يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (٣)، اذن فهي مغفرة مكتوبة لمن يشاء الله تعالى وحسب شروط الاستحقاق.

^١ سورة النساء الآية ١٧

^٢ سورة النساء الآية ١١٠

^٣ سورة النساء الآية ٤٨

شرح دعاء الافتتاح..... ٥١

واما قوله ﷺ: (وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةُ)، فهو مصداق لقوله تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (١).

قصة السيد الخوئي (٢) واستجابة الدعاء:

في حديث لمرجع الطائفة السيد ابو القاسم الخوئي قدس الله سره وبعد انتهاء بحثه في جامع الخضراء (٣) المجاور للصحن العلوي الشريف في النجف الاشرف، وكعادته يجالس طلبته في مكتبه، وكنت اصغر طلابه في البحث الخارج، وقد حدثني بذلك شخصياً حين قال:

(اني سألت الله ثلاث مسائل: سألت الله ان يجعلني كاتباً، وان يجعلني استاذاً، وسألت الله ان يختم لي بالشهادة).

هذا الحديث عرضته على سماحة المرجع اية الله الشيخ محمد اسحق الفياض، فقال: نعم، كان يقول ذلك، وفي المطلب الاخير قال: وسألت الله ان يختم لي بالشهادة بعد عمر طويل.

وقد حقق الله تعالى له امنيته، واستجاب له دعائه .

فأما الاولى (سألت الله ان يجعلني كاتباً)، فقد أَلَّفَ السيد الخوئي العديد من المؤلفات أشهرها كتاب (البيان في تفسير القرآن)، وموسوعة (معجم رجال الحديث).

واما الثانية (وان يجعلني استاذاً)، فكان أستاذاً بارزاً في الحوزة العلمية، وتعدّ نظرياته الأصولية والفقهية والرجالية والتفسيرية من النتاجات

^١ سورة ابراهيم الاية ٧

^٢ السيد أبو القاسم الخوئي (١٥ رجب ١٣١٧ هـ - ٨ صفر ١٤١٣ هـ) من أبرز فقهاء الشيعة ومراجع التقليد في القرن الرابع عشر الهجري. تتلمذ على يد كبار العلماء في النجف الأشرف من أمثال الميرزا النائيني والأغا ضياء العراقي، والشيخ الكمباني، تعلم السيد الخوئي الكثير من العلوم الراجحة في الحوزة العلمية، تصدّى آية الله الخوئي الى مقام مرجعية الشيعة العامة لسنتين عديدة، وصبّ جل اهتمامه خلالها على نشر الشريعة الإسلامية في سائر بقاع المعمورة، كما تأسست الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية والخدمية، في شتى بلدان العالم تحت إشرافه (المحقق)

^٣ مسجد الخضراء من المساجد القديمة في مدينة النجف، وهو الآن ضمن حدود حرم أمير المؤمنين ﷺ ، وكان السيد الخوئي يُدرّس فيه، ودُفن الى جوار المسجد بعد وفاته. (المحقق)

الفكرية التي يشار إليها بالبَنان، وقد تخرج على يديه الكثير من الأعلام والشخصيات العلمية، فكان بحق أستاذ الفقهاء والمجتهدين.
واما الثالثة (وسالت الله ان يختم لي بالشهادة)، فقد ختم الله عمره بالشهادة – فيما أحسب- على يد جلاوزة البعث.
قصة السجين عبد الخالق العوادي:

كان معنا في السجن عام ١٩٧٩م شاب من طلبة العلوم الدينية، يدعى (عبد الخالق العوادي)، وقد حكم عليه وعلينا بالاعدام، كان كثير الدعاء والتضرع والبكاء، بحيث لانتمكن من النوم من شدة دعائه، كان ذلك في العشرة الاولى من شهر شعبان، كان يقول في دعائه: (الهي اريد ان ازور الامام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان لقاء مباشرا وجهها لوجه).
وفي عصر يوم الرابع عشر من شعبان سنة ١٩٧٩م، دعوه مع جمع من المؤمنين لتنفيذ حكم الاعدام، وكان صائما، فارتقت روحه الى السماء لتلتقي مع سيد الشهداء عليه السلام على يمين العرش، لقاء مباشراً كما كان يسأل الله تعالى ذلك.

من هاتين القصتين نعرف معنى (من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة)، فيجب علينا ان ندعو الدعاء الذي يوصلنا الى مافيه الصلاح في الدنيا والاخرة، ونستغل فرص استجابة الدعاء بذلك.

ثلاث دعوات ذهبت هباءً:

وفي رواية يرويها الراوندي^(١) في كتاب الدعوات يقول :
روي أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء في الزمن الأول: أن لرجل من أمته ثلاث دعوات مستجابات، فأخبر ذلك الرجل به، فأنصرف من عنده إلى بيته، وأخبر زوجته بذلك، فألحت عليه أن يجعل هذه الدعوات لها فرضي بذلك.

^١ قطب الدين سعيد بن عبد الله الراوندي، (متوفى ٥٧٣ هـ) المعروف بالقطب الراوندي محدث ومفسر ومتكلم وفقه و مؤرخ شيعي في القرن السادس الهجري. كان من تلامذة الشيخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان، وله مؤلفات عديدة أشهرها كتاب الخرائج والجرائح، ومن أبرز تلامذته ابن شهر آشوب المازندراني والشيخ منتجب الدين الرازي.(المحقق)

شرح دعاء الافتتاح.....٥٣

فقالت في الدعاء الاول: اسأل الله أن يجعلني أجمل نساء ذلك الزمان.
فدعا الرجل فصارت كذلك أجمل امرأة في قومها، ثم إنها لما رأت رغبة
الملوك والشبان (المتنعمين) فيها متوفرة زهدت في زوجها (الشيخ الفقير)
وجعلت تغالظه وتخاشنه وهو يداريها، ولا يكاد يطيق نشوزها.
فدعا الله أن يجعلها (قبيحة) كلبة فصارت كذلك، ثم اجتمع أولادها
يقولون: يا أبت إن الناس يعيرون بنا أن أمنا (قبيحة) كلبة، وجعلوا يبيكون
ويسألونه أن يدعو الله أن يجعلها كما كانت، فدعا الله تعالى فصيرها مثل
الذي كانت في الحالة الأولى، فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً^(١).
ثقافة الامل بالله تعالى:

كان هناك احد التابعين^(٢) اسمه الحسن البصري^(٣) وهو فقيه في زمن
الامام زين العابدين عليه السلام يقول:
(ليس العجب ممن هلك كيف هلك؟
وإنما العجب ممن نجا كيف نجا).
وصل خبر هذه المقالة للامام زين العابدين عليه السلام عن قول الحسن البصري،
فقال عليه السلام: أنا أقول:
(ليس العجب ممن نجا كيف نجا ؟
بل العجب كل العجب ممن هلك كيف هلك؟ مع سعة رحمة الله)^(٤).
هذه هي ثقافة اهل البيت عليهم السلام المعتدلة .

^١ الدعوات - قطب الدين الراوندي - الصفحة ٣٨

^٢ التابعي وهو الشخص الذي لاقى أحد صحابة الرسول محمد عليه السلام سواء كان مميزاً أم لا، وسمع منه أو لا، وقد اشترط فيه العلماء عدة شروط، ومنها: طول ملازمته للصحابي، أو صحة السماع منه.(المحقق)
^٣ الحسن بن يسار البصري (٢١ - ١١٠ هـ) إمام وقاضي ومحدث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم.تنقل الحسن البصري بين أكثر من مدينة حيث كان مسقط رأسه في المدينة المنورة ونشأته إلى أن سافر إلى كابل عندما اتجهوا إلى فتحها، كما عمل كاتباً للربيع في خراسان وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، بعدها استقر في البصرة حتى حصل علي لقبه البصري وأصبح يعرف باسم "الحسن البصري"(المحقق).
^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ - الصفحة ١٥٣

٥٤ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الرابعة:

(فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي، وَ أَجِبْ يَا رَحِيمُ دَعْوَتِي،
وَ أَقِلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتِي، فَكَمْ يَا إِلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَجْتَهَا
وَ هُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَهَا، وَ عَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَهَا، وَ رَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا،
وَ حَلَقَةٍ بَلَاءٍ قَدْ فَكَّكْتُهَا).

- *ثلاثة امور في الدعاء
- *قصة عجز بني اسرائيل
- *نظرية البداء
- *من اداب الدعاء

٥٦ شرح دعاء الافتتاح

ثلاثة امور في الدعاء:

يجب ان نعرف ان هناك ثلاثة امور في الدعاء هي:

١- أدب الدعاء.

٢- مضمون الدعاء.

٣- قلب الداعي.

لذا فان ثقافة الدعاء هي (فن) فيه ادب الدعاء، وفيه مضمون الدعاء، وفيه قلب الداعي .

ورسول الله ﷺ يقول: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفْتَحَةٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، بِنِّيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، أَنْ لَا يُعَلِّقَهَا عَنْكُمْ^(١).

اذن المطلوب هو القلب الطاهر، والنية الصادقة، وهذا شرط في الدعاء كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ^(٢) }، يؤتون مآتوا من الاعمال الصالحة وقلوبهم وجلة وخاشعة وخائفة من خشية الله، وهل ان هذا العمل مقبول، او غير مقبول ؟

وهناك مجموعة أداب للدعاء ذكرها الشيخ الكليني في كتابه اصول الكافي الجزء الاول، منها ان يبدا الداعي بالثناء، ويبدأ بالحمد، ويغلب عليه الخشوع والبكاء، وان يبدا بذكر صفات الله تعالى، ثم الصلاة على النبي ﷺ وآله ﺍﻟﻪ ﺍﻟﻪ .

لاحظوا في هذا المقطع من الدعاء هنالك ترابط وانسجام بين الاسم الالهي الذي ندعو به، وبين الحاجة التي ندعو اليها ونطلبها .

فهنا ترتيب منسجم، عندما نقول (فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي)، لانه تعالى هو السميع، وعندما نقول (وَأَجِبْ يَا رَحِيمُ دَعْوَتِي)، لانه تعالى هو الرحيم،

^١ وسائل الشريعة (تفصيل وسائل الشريعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) : ١٠ / ٣١٣ ، حديث رقم : ١٣٤٩٤ ،
لحر العاملي خطبة الرسول الاعظم ﷺ بمناسبة شهر رمضان المبارك

^٢ سورة المؤمنون الآية ٦٠

وعندما تقول (وَأَقِلْ يَا غَفُورٌ عَثْرَتِي)، لانه هو الغفور، فنحن نتوسل بإسم (سميع) و(رحيم) و(غفور) ونطلب من الله تعالى بإسمائه الكريمة هذه أن يسمع مدحتنا، ويجيب دعوتنا، ويغفر عثرتنا.

اما في مضمون الدعاء: فقد اعطى الاسلام والقران الكريم ورسول الله ﷺ، واهل البيت ، مضامين رائعة من الدعاء، لان الدعاء هو عروج الى الله تعالى، والدعاء يسمى (القرآن الصاعد)، قبال القرآن الكريم الذي يسمى (القرآن النازل).

فالصحيفة السجادية، وكل ادعية ائمتنا ، تعتبر (القرآن الصاعد)، ونحن نحتاج أن نتعلم من تلك الادعية المضامين الصحيحة، وبدون ذلك قد تكون دعواتنا سطحية، بل احيانا تكون مضاميننا خاطئة، ولهذا يعلمنا القرآن الكريم كيف ندعو حين يقول: {فَمَنْ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ} (١)، {وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢).

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}. وقوله: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ} (٣). هكذا يعلمنا الاسلام ماهو الدعاء الصحيح، وقد ترك لنا ائمتنا  خزانة بمضامين رائعة جدا للدعاء، مضامين معرفية في العروج الى الله تعالى.

سؤال:

ورب سائل يسأل ويقول أليس قلب الداعي اذا كان خاشعا يغني عن هذه الادعية المطولة التي قد لايفهم معناها؟

الجواب: الصحيح هو الجمع بينها، بين القلب الخاشع وبين المضامين الصحيحة في الدعاء، لان ثقافة الدعاء في الاسلام تقول لا بد من قلب، وأدب، ومضمون.

^١ سورة البقرة الآية ٢٠٠

^٢ سورة البقرة الآية ٢٠١

^٣ سورة الفرقان الآية ٧٤

شرح دعاء الافتتاح..... ٥٩

فالقلب الخاشع الصادق مطلوب، ولكن مضمون الدعاء هو الآخر مطلوب أيضاً.

يقول القرآن الكريم في ذلك: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَفُجُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} (١).

وقوله تعالى: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} (٢).

وفي دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة يقول: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ كَأَنِّي أَرَاكَ).

هذه هي مضامين الدعاء الصحيحة، فليس كل دعاء صحيح، وهذه المضامين العرفانية الراقية من اين يعرفها سائر الناس؟ الدعاء ليس فقط ان نطلب من الله تعالى، بل المطلوب أولاً المناجاة، والعشق، والمحبة، واللقاء ثم طلب الحاجة الصحيحة فان الانسان كما يقول القرآن الكريم: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} (٣).

سؤال وجواب:

رب سائل يسأل ويقول: هل الدعاء مشروط بوجود المحنة؟
الجواب: لا، قد يكون منشأ الدعاء هو المحنة، وقد يكون منشأ الدعاء هو طلب المنّة.

^١ سورة ال عمران الآية ١٩٠ الى الآية ١٩٤

^٢ سورة النمل الآية ١٩

^٣ سورة الاسراء الآية ١١

٦٠ شرح دعاء الافتتاح

فأئمتنا عليه السلام عندما يدعون، انما يدعون لجلب المنّة ولمزيد من الرقي في الدنيا أو الرقي في الآخرة، فضلاً عن الدعاء لكشف البلاء والمحنة. لاحظوا هذا الدعاء ومضامينه العالية:

(اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ فِي الصَّالِحِينَ فَأَدْخِلْنَا، وَفِي عِلِّيِّينَ فَارْفَعْنَا، وَبِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ فَاسْقِنَا، وَمِنْ الْخُورِ الْعَيْنِ بِرَحْمَتِكَ فَرَوِّجْنَا، وَمِنْ الْوِلْدَانِ الْمُخْلَدِينَ كَأَنَّهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ فَأَخْذِمْنَا، وَمِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَلُحُومِ الطَّيْرِ فَأَطْعِمْنَا، وَمِنْ ثِيَابِ السُّنْدُسِ وَالْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ فَأَلْبِسْنَا، وَلِيْلَةِ الْقَدْرِ وَحَجِّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَقَتْلًا فِي سَبِيلِكَ فَوْقَ لَنَا^(١)).

لم يكن هذا الدعاء لدفع محنة معينة، بل لكسب منّة من الله تبارك وتعالى.

اما في دعاء الافتتاح عندما يقول الامام عليه السلام :

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبِئْنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا).

هنا نلاحظ دعاء الامام عليه السلام هو لدفع محنة، حيث ان الامام عليه السلام يعيش في محنة عظيمة، فهو حجة الله في الارض، ويرى مأساة البشرية، وما يجري على الناس والمسلمين والشيعة، والامام عليه السلام يطلب منا ان ندعو له بالفرج من محنته، محنة البشرية ومحنة امته.

وقد يكون الدعاء لكسب مزيد من الفضل والمنّة من الله: مثل قول الامام عليه السلام:

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعْزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

^١ مفاتيح الجنان / للشيخ عباس القمي / من ادعية ليالي شهر رمضان المبارك

شرح دعاء الافتتاح.....٦١

الدعاء لتعجيل الفرج:

قد يسأل سائل فيقول: إذا كان القرار الإلهي بتأجيل الفرج، إذن لماذا ندعو بتعجيل الفرج؟

الجواب: إن من روائع الثقافة الإسلامية الدينية، هي قضية تغيير القرار الإلهي، حيث إن التقدير الإلهي في اللوح المحفوظ قابل للتغيير، كما قال تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (١).

الرسول الأكرم ﷺ والأعرابي:

جاء في الرواية عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (إن رسول الله ﷺ كان نزل على رجل بالطائف قبل الإسلام فأكرمه فلما أن بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس قيل للرجل: أتدري من الذي أرسله الله عز وجل إلى الناس؟ قال: لا.

قالوا له: هو محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب وهو الذي كان نزل بك بالطائف يوم كذا وكذا فأكرمته.

قال: فقدم الرجل على رسول الله ﷺ فسلم عليه وأسلم، ثم قال له: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: ومن أنت؟

قال: أنا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا وكذا فأكرمتك فقال له رسول الله ﷺ: مرحبا بك سل حاجتك. فقال: أسألك مائتي شاة برعاتها.

فأمر له رسول الله ﷺ بما سأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى (عليه السلام) (٢). فقيل لرسول الله ﷺ وما هو سؤال عجوز بني إسرائيل؟

^١ سورة الرعد الآية ٣٩

^٢ شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ١٢ - الصفحة ١٧١

فنقل لهم رسول الله ﷺ هذه القصة الآتية:

قصة عجوز بني اسرائيل :

في رواية صحيحة السند إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ﷺ أن يحمل عظام يوسف ﷺ، فسأل عن قبره فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعلم ففلانة.

فأرسل إليها فجاءت فقال: أتعلمين موضع قبر يوسف ﷺ؟

فقالت: نعم.

قال: فدليني عليه ولك الجنة.

قالت: لا، والله لا أدلك عليه إلا أن تحكمني.

قال: ولك الجنة.

قالت: لا، والله لا أدلك عليه حتى تحكمني.

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ما يعظم عليك أن تحكّمها؟

قال: فلك حكمك.

قالت: أحكم عليك أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها.^(١)

نظرية البداء:

رب سائل يسأل، اذا كانت الامور مقدرة في لوح محفوظ فما معنى الدعاء؟

الرواية تقول ان الدعاء يرد القضاء المبرم الحتمي، فقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ قال لزرارة: ألا أدلك على شئ لم يستثن فيه رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى.

قال: الدعاء يرد القضاء، وقد ابرم إبراهيم - وضم أصابعه^(٢).

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ - الصفحة ٢٩٣

^٢ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ٨٧٠

شرح دعاء الافتتاح.....٦٣

الامام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة يقول: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ كَأَنِّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ، وَلَا تُشَقِّقْنِي بِمَعْصِيَتِكَ، وَخِرْ لِي فِي قَضَائِكَ)(١).
ثم رفع يده بصره إلى السماء وقال برفيع صوته: (يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، يَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).
سؤال:

عندما يقول الداعي (أعطني كذا وكذا)، كيف يصدر الأمر من العبد الى الله تبارك وتعالى؟
الجواب: في اللغة العربية اذا كان الكلام موجهاً من العالي الى الداني فهو أمر وفرض.

واذا كان الكلام الموجه من الداني الى العالي فهو رجاء والتماس.
اذن جميع فقرات الادعية هي التماس ورجاء من الله تعالى، وليست أمراً عليه.

وفي ادعية الصباح نقرا قوله عليه السلام :
(وَإِنْ كُنْتُ عِنْدَكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ شَقِيًّا فَاجْعَلْنِي سَعِيدًا، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُنْبِتُ، وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ)(٢).

هذه هي النظرية الرائعة وهي تغيير التقدير الالهي.
اذن التقدير الالهي يخضع للتغيير بشروط، مثل الدعاء، ودعاء الابوين، او عمل صالح، او الصدقة كما قال تعالى: {وَيَذْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ}(٣).

وهذا مانسميه بنظرية البداء(٤)، والمعروفة عند الشيعة والتي تعني تغيير القرار الالهي.

^١ شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ١٠ - الصفحة ٤٥٠

^٢ مفاتيح الجنان المؤلف : القمي، الشيخ عباس - صفحة : ٧٦٣

^٣ سورة الرعد الآية ٢٢

^٤ راجع شرح هذه النظرية في كتاب (دفاع عن العقيدة) للمؤلف ص ٢٢٤

قصة المرأة العقيم:

جاءت امرأة لنبي الله موسى ﷺ ومن المعروف أن النبي الوحيد الذي
كلّمه الله هو موسى ﷺ، لهذا كان يسمى (كليم الله).
فقالت: يا موسى كلّم ربك أن يرزقني أبناء.
فوعدها سيدنا موسى ﷺ وكلّم الله تعالى ودعا لها وقال يا ربي إن فلانة إبنة
فلان ليس لديها أبناء وأنا ادعوك أن ترزقها.
فجاء الجواب من الله تعالى: أن يا موسى (لقد كتبتها عقيماً).
اي أن الله كتب باللوح المحفوظ أنها لن تلد ولن يكون لديها أبناء، وكلنا
نعلم أن المكتوب في اللوح المحفوظ لا يتغير!
ورجع لها موسى ﷺ وقال لها:
لقد كتب الله لك بالعقم وأنتك لن تلدين.
ثم رجعت بعد فترة ولم تستسلم وقالت كلّم الله يا موسى أن يرزقني ولو
بطفل واحد.
وكلّم موسى ﷺ ربه وكان الرد ان يا موسى لاتسألني .. فقد(كتبتها عقيم)
ولن تلد ابداً.
ورجع موسى ﷺ وقال لها ما سمعه من الله.
وبعد سنة أو أكثر رآها موسى ﷺ وببدها رضيع !! وقال لها من هذا؟؟
قالت إبني!!
فتعجب نبي الله موسى وراح يكلم ربه وقال: يا الهي سألتك مرتين ان تهب
فلانة الأبناء وقلت لي أنها عقيم .. ولقد رأيتها اليوم ببدها إبنها!!

شرح دعاء الافتتاح.....٦٥

فقال الله تعالى: (يا موسى .. كلما كتبتها عقيم.... قالت يا رحيم) فسبقت رحمتي ما كتبت لها (١).

من آداب الدعاء:

من آداب الدعاء التي نتعلمها من ائمتنا عليهم السلام هي عرض الصفات الالهية أولاً، ثم عرض حاجتنا بعد ذلك، وهذه الآداب، وهذه الادعية هي كنز يفنقر اليه غيرنا نحن اتباع اهل البيت عليهم السلام.

وقد ورد في الرواية: صوتان يرتفعان للسماء صوت نكروه وصوت نعرفه.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: صوت معروف ولم يحجب عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء، وقالت الملائكة: إن ذا الصوت لا نعرفه) (٢).

ونقرأ في آداب الدعاء استحباب الاعتراف بالفضل الالهي أمام حقارة الانسان، لاحظ ماورد عن الامام زين العابدين عليه السلام قوله:

(أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتُهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتُهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتُهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتُهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَنْتُهُ، وَالْجَائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتُهُ، وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرَوَيْتُهُ، وَالْعَارِي الَّذِي كَسَوْتُهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتُهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتُهُ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتُهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتُهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتُهُ، وَالْمُذْنِبُ الَّذِي سَتَرْتُهُ، وَالْخَاطِئُ الَّذِي أَقْلَنْتُهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتُهُ، وَالْمُسْتَضَعْفُ الَّذِي نَصَرْتُهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي أَوْيَيْتُهُ) (٣).

وهكذا من آداب الدعاء الاعتراف بكثير النعم الالهية التي لانحصيها.

^١ قصص الأنبياء لابن كثير/الجزء الثاني -

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٧٢

^٣ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٢٢٣

٦٦ شرح دعاء الافتتاح

والامام الحسين عليه السلام يقول في دعاء عرفة:
وَمَا دَرَأْتَ عَنِّي اللَّهُمَّ مِنَ الضُّرِّ وَالضَّرَّاءِ، أَكْثَرَ مِمَّا ظَهَرَ لِي مِنَ الْعَافِيَةِ
وَالسَّرَّاءِ^(١).

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٤ - الصفحة ٣١٦

المحاضرة الخامسة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا،
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ،
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا).

*الله تعالى هو الوجود المطلق
*الحمد من آداب الدعاء
*الملك الحقيقي والملك الاعتباري
*ولاية الفضل لا ولاية الذل

٦٨ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح.....٦٩

في هذا المقطع من الدعاء نجد نفيًا لمجموعة أمور عن الله تبارك وتعالى، صاحبة، الولد، والشريك في الملك، والولي من الذل. لماذا نفيت هذه الأمور الأربعة عن الله تعالى؟

الوحدانية ومضاداتها:

الجواب: ان اعظم صفة لله تبارك وتعالى هي الوحدانية، وهي منطلق لجميع صفات الجمال والكمال، فكل الصفات الالهية مثل قوي، وعزيز، وحديد، ومجيد، وقادر، وغيرها هي اشتقاقات من الوحدانية. فان الله تبارك وتعالى حينما يكون هو الواحد، حينئذ هذا الواحد تجتمع فيه كل صفات الجمال، وصفات الجلال، فهذه الصفات الالهية مشتقة من الوحدانية.

فاذا كان الله تبارك وتعالى واحداً، اذن لديه مطلق القوة والعلم، اذن لديه مطلق العزة والعظمة، فكل صفات الجمال والكمال تنطلق من الوحدانية، وتطرّد ماعداها من صفات الحاجة، والفقر، والذل، وأمثالها.

الوجود المطلق:

ان من اعظم الصفات الالهية هي الوحدانية، وقد جاءت الاشارة اليها في القرآن الكريم بشكل استثنائي وممتاز، من ذلك قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (١). وقوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} (٢). وقوله تعالى: {وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (٣).

^١ سورة البقرة الآية ٢٥٦

^٢ سورة الحشر الآية ٢٣

^٣ سورة الرعد الآية ١٦

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا:

كل هذه الايات الشريفة تدل على ان الوجدانية لله تعالى فقط، فهو لا يحتاج الى صاحبة ولا الى ولد، ولا الى أسرة، ولا الى وارث، فهو غني عن نظام الأسرة والتكاثر، فهو الوجود المطلق الذي لا تكاثر فيه، لانه لا ينقصه شيء ولا يحدّه شيء، وانما الذي يحتاج الى صاحبة والولد هو المخلوق المحدود الناقص الذي يحتاج الى تكاثر عبر صاحبة والولد. ان الكون والمخلوقات وما ينتج عنها من تكاثر وتوسعة، كما يقول تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (١)، هذا كله تكاثر في المخلوقات وليس تكاثراً في الوجود الالهي المطلق، بل هي ماهيات لبست ثوب الوجود من الواحد المطلق، والذي هو الوجود الواسع العريض الذي لانهاية له.

فهذا الكون الذي يحتوي على المجرات التي يقدرها بعض علماء الفلك ٢٠٠ مليار مجرة، وكل مجرة فيها مائة مليار نجم، هذه كلها تسير بتوسع يشهده الكون وإنبثاقات لمجرات جديدة، ولكن كل هذا هو تكاثر في المخلوقات، لا في أصل الوجود.

فلا تكاثر في الوجود الالهي، لان الوجود الالهي حقيقة بسيطة منذ الازل، والى الابد، بل التكاثر يكون في المخلوقات. لاحظوا في هذا المقطع من الدعاء يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ).

بدأ الدعاء بمسألة الحمد، ثم ذكر مسألة الوجدانية، هذا يعتبر من آداب الدعاء ان تفتتح دعائك بالحمد لله تعالى.

الحمد من اداب الدعاء:

وهذا ما أكدّه الامام الصادق عليه السلام في الرواية المروية عنه بقوله:
(إذا طلب أحدكم الحاجة فليشئ على ربه وليمدحه فان الرجل إذا طلب
الحاجة من السلطان هياً له من الكلام أحسن ما يقدر عليه فإذا طلبتم
الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه واثنوا عليه)^(١).
والامام علي عليه السلام يقول:

(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِّيقِ بِهِ
تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ
عَنْهُ)^(٢).

ولكننا مهما حمدنا الله تبارك وتعالى، فانا لانصل الى حق حمده.
هنالك دعاء عظيم عصر الجمعة يسمى دعاء العشرات^(٣) وهو في
غاية الاعتبار من الناحية السنيّة، وهومن الخزائن العلمية يستعرض فيه
الامام عليه السلام صنوف الحمد لله، فيقول:

(وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ أَوْزَانِ مِيَاهِ الْبَحَارِ.
وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ أَوْزَانِ الْأَشْجَارِ.
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا تَضَعُ لَكَ السَّمَاءُ كَنْفِيهَا.
وَتُسَبِّحُ لَكَ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْه)^(٤).

^١ وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٤ - الصفحة ١١٢٦

^٢ نهج البلاغة : ٣٩ ، طبعة صبحي الصالح .

^٣ دعاء العشرات تعتبر من الأدعية المعتبرة بل في غاية الإعتبار، وفي نسخ رواياته اختلاف، ذكرته كتب
الأدعية المعروفة، وقد علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسين عليه السلام . وقد أكدت الروايات على قراءته صباحاً
ومساءً وخاصة يوم الجمعة. هذا الدعاء يحتوي على مضامين أخلاقية واعتقادية كالإقرار بالتوحيد والنبوة
والإمامة. وسمي بالعشرات لأن فقراته الأخيرة تتكرر. بمعنى أن كلّ واحدة من فقراتها تكرر عشر
مرّات.(المحقق)

^٤ مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي

وفي دعاء الافتتاح ايضا نرى استعراض صنوف الحمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا، عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّهَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، الْبَاسِطِ بِالْجُودِ يَدُهُ، الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُودًا وَكَرَمًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ). وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ:

في مفهوم الملك هنالك ملكيتان، الاولى ملكية اعتبارية مجازية، والثانية ملكية حقيقية.

مثلا انت الان تملك داراً من الناحية الشرعية والقانونية، كما تملك الولاية على الابن الصغير.... وهكذا.

هذه كلها عبارة عن ملكيات اعتبارية، يعني مجرد فرضيات تعارف وتوافق عليها الناس، وأقرها الشارع والقانون، فهي ليست ملكية حقيقية، الملكية الحقيقية فقط لله تعالى تبارك فهو وحده الذي بيده الملك. وهذا ما أكدته القران الكريم بقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١)، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢).

صحيح أنا أملك الدار التي اسكنها، ولكن بقاءها وسلامتها ليست بيدي، فلا استطيع ان أطيل بعمرها، او امنعها من الكوارث . صحيح انت تملك امر ابنك الصغير، لكن ليس بيدك عافيته ولامستقبله، ولاحياته ولاموته.

^١ سورة الملك الآية ١

^٢ سورة ال عمران الآية ٢٦

شرح دعاء الافتتاح..... ٧٣

نحن نملك اليد، والبصر، والقلب، والعقل، ولكن لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .
ولو كانت الامور كلها بيد البشر، لكان الطغاة دفعوا عن انفسهم الموت والامراض، ولكن الانسان ملكيته اعتبارية، والمالك الحقيقي هو الله تبارك وتعالى.

الملكية الالهية:

هنالك مالك حقيقي لكل هذا الوجود وهو الله تعالى، وهو وحده الذي يتصرف بنا في نومنا ويقظتنا، ومرضنا وعافيتنا، وحياتنا ومماتنا، ولهذا يقول الامام علي عليه السلام في دعاء الصباح: (يَا مَنْ أَرْقَدَنِي فِي مِهَادِ أَمْنِهِ وَأَمَانِهِ وَأَيْقَظَنِي إِلَى مَا مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَكَفَّ أَوْفَى السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسَلَّطَانِهِ).

فالرقود هو من عند الله تبارك وتعالى، واليقظة هي من عند الله تبارك وتعالى.

ولهذا الامام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية يقول: (لَكَ الْحَمْدُ أَنْ بَعَثْتَنِي مِنْ مَرْقَدِي وَلَوْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ سَرْمَداً).

هذه نعم الهية يكون فيها المالك الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، ولهذا نقول في دعاء الافتتاح: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُنَازِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ).

وقد جاء في الدعاء: (يَا مَنْ لَا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ إِلَّا هُوَ)، فهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ

قد نتخذ نحن ولياً يرعانا ويدبر أمورنا، وقد نتخذ صديقاً لحاجتنا ووحشتنا، وقد نتخذ خادماً لخدمنا، نعم، كل ذلك ناشئ من فقرنا الوجودي، وضعفنا وذلنا، ولولا ذلك لما كنّا بحاجة الى وليّ نتخذه لانفسنا.

^١ مفاتيح الجنان ويليهِ الباقيات الصالحات/ الشيخ عباس القمي/ - الصفحة ١٦٢

أما الله تعالى فإنه يتخذ لنفسه أولياء وأحباء واصفياء فهم (أولياء الله)، لكن ذلك تكريماً لهم وليس لحاجة الله اليهم، فلا ولي من الدن، بل الجميع محتاج إليه وهو الغني عنهم.

ومن أجل ذلك نقرأ في الدعاء:

(اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ جُنْدِكَ فَإِنَّ جُنْدَكَ هُمُ الْغَالِبُونَ وَاجْعَلْنِي مِنْ حِزْبِكَ فَإِنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيَائِكَ فَإِنَّ أَوْلِيَاءَكَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(١).

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء يوم الثلاثاء

المحاضرة السادسة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مُنَارِعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ).

*العداء بين الله وابلis
*استحقاق نظام الارادة والحرية
*القوانين الطبيعية خاضعة لارادة الله تعالى
*الاسماء الالهية

٧٦	شرح دعاء الافتتاح
----	-------------------------

لا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ:

هنا يريد الامام عليه السلام ان يوضح لنا حقيقة أخرى وهي ان الله تبارك وتعالى قهار، جبار، لا احد يضاده في ملكه، ولا احد ينازعه في امره، ولا يشاركه في خلقه، ولا احد يشابهه في عظمته.

العداء بين إبليس والله تعالى:

قد يقول قائل: كيف نفسّر تمرد إبليس على الله تعالى؟

أليس هو خروج على ارادة الله تبارك وتعالى؟

هنالك معركة بين إبليس وبين الله تعالى، عندما خلق الله تعالى ادم عليه السلام طلب من الملائكة السجود له فسجدوا جميعا الا إبليس، قال له تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} (١).

قال إبليس: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (٢).
قال تعالى: {فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} (٣).

قال إبليس: {أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (٤).

قال تعالى: {إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} (٥).

قال إبليس: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} (٦).
قال تعالى: {اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لِّمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (٧).

هذه معركة كبرى بين الله تبارك وتعالى، وبين إبليس.

اليس هذا خروج عن ارادة الله تعالى؟

^١ سورة الاعراف الاية ١٢

^٢ سورة الاعراف الاية ١٢

^٣ سورة الاعراف الاية ١٣

^٤ سورة الاعراف الاية ١٤

^٥ سورة الاعراف الاية ١٥

^٦ سورة الاعراف الاية ١٦

^٧ سورة الاعراف الاية ١٨

ليس هذا منازعة في امر الله؟
بينما الدعاء يقول: لا مُنَازِعَ لَهُ في أَمْرِهِ.
هذا هو إبليس والكفار معه يَنَازِعُونَ الله فكيف نفسّر ذلك؟
هناك جوابان:

الجواب الاول: ان هذا كله بإذن الله ومشئته، إبليس بإرادة الله ومشئته
خرج عن امر الله، فالخروج عن ارادة الله إنما هو ايضا في دائرة إرادة
الله، {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (١).
ان الله تبارك وتعالى أعطى بإرادته لإبليس خيارين، خيار السجود لادم
وخيار عدم السجود، فبالسجود يسلك طريقه الى الجنة وبعد السجود يسلك
طريقه الى النار.

كذلك العبد الكافر حينما يعصي الله تعالى، {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَأِمَّا كَفُورًا} (٢)، و {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} (٣)، و {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا*
لِلطَّاغِينَ مَابَأْ} (٤).

يقول الله تعالى: ياأيها الانسان انت مخير بين هذين الطريقين، انا اريد لك
الجنة، فاذا اخترت المعصية، فإرادتي ذلك ايضا، فالكل هنا تحت هيمنة
الله تبارك وتعالى لانه محيط بكل شيء.

هذا الجواب الاول.

والجواب الثاني: ان المقصود بقوله (وَلَا مُنَازِعَ لَهُ في أَمْرِهِ) هو الأمر
التكويني، وليس الأمر التشريعي، ففي الأمر التكويني وقرارات الخلقة
الالهية ونظام الكون لا أحد يَنَازِعُ الله فيها، أمّا في الأمر التشريعي وهو

^١ سورة التكويد الآية ٢٩

^٢ سورة الانسان الآية ٣

^٣ سورة النبا الآية ٣١

^٤ سورة النبا الآية ٢١ و٢٢

شرح دعاء الافتتاح.....٧٩

الواجبات والمحرمات فالانسان والجان قد يعصون الله تعالى، وينازعوه ويجادلوه في أمره {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} (١).

ماهي فلسفة خلق إبليس ؟

إن خلق إبليس لم يكن من أجل عقوبة البشرية وتوريثها بالمعصية، حاشا لله تعالى الذي يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر كما قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (٢)، بل من أجل تكامل البشرية، وشأنه شأن الغرائز والشهوات لدى الانسان، فهي عناصر لتكامل الانسان، ولولاها لم يتكامل الانسان.

وهكذا، لولا التضاد بين عناصر التكامل لدى الانسان مع ابليس لم يتكامل بنو الانسان.

مثل ذلك ما يقوله العلم الحديث أن هنالك بكتريا ضارة، وبكتريا نافعة في جسم الانسان تقدر بمائة ترليون خلية، وهناك أكثر من خمسمائة نوع من البكتريا (٣)، وان وجود هذين النوعين من البكتريا هو لإجل تكامل بدن الانسان، والاثنتان موجودات من أجل التكامل البشري.

وهكذا التكامل الاخلاقي لدى الانسان، فإبليس هو بمثابة البكتريا الضارة ، والملائكة هم بمثابة البكتريا النافعة، ولولا هذا الصراع بينهما لم يتكامل البشر .

استحقاق نظام الارادة:

الله تبارك وتعالى أسس قانوناً هو قانون (استحقاق نظام الارادة والحرية)، وهنا نرى وفق هذا القانون أن إبليس والملائكة تعرضوا لامتحان الالهي حينما أمرهم الله بالسجود لآدم، الاول هو إبليس، والثاني هم الملائكة، فرسب إبليس في الامتحان ونجحت الملائكة.

^١ سورة الكهف الآية ٥٤

^٢ سورة البقرة الآية ١٨٥

^٣ مواقع الكترونية

فالله تعالى قال للملائكة: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (١).
 اجابوه: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
 وَنُقَدِّسُ لَكَ} (٢)، وذلك على سبيل الاستفهام الاستعلامي.
 قال تعالى: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣).
 فاعتذر الملائكة قالوا: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} (٤) وخرجوا
 سجداً لآدم.

بينما إبليس اعترض بقوله: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن
 طِينٍ} (٥) وأبى واستكبر ولم يسجد لآدم.
 إذن كان هناك امتحان واحد نجح فيه الملائكة، وفشل فيه إبليس، ذلك
 كله تحت إرادة ومشيئة الله وتصميمه، هذا نسميه (استحقاق نظام الإرادة)،
(استحقاق قانون الحرية).

الله تعالى هو الذي أسس قانون إرادة الإنسان وإرادة الجان. وقد فشل
إبليس- وهو من الجان- في الامتحان، وأصر على الفشل حين قال:
{لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (٦)، كما فشل آدم في الامتحان أيضاً حين نهاه الله أن
يأكل من الشجرة قائلاً له ولحواء: {لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} (٧)، لكن آدم
استغفر وتاب وندم فتاب الله عليه، وفرض عليه امتحاناً في الدور الثاني
حين أمره بالهبوط الى الارض لاستكمال مسيرته التكاملية.

^١ سورة البقرة الآية ٣٠

^٢ سورة البقرة الآية ٣٠

^٣ سورة البقرة الآية ٣٠

^٤ سورة البقرة الآية ٣٢

^٥ سورة الاعراف الآية ١٢

^٦ سورة الحجر الآية ٣٩

^٧ سورة البقرة الآية ٣٥٤

وهنا قال تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} (١)، وقال: {فُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٢).

القوانين الطبيعية خاضعة:

كل قوانين الطبيعة خاضعة لإرادة الله تعالى، وهي خلق من خلق الله تعالى، ولو شاء تعالى توقفت كل هذه القوانين، كما في معاجز الانبياء. النبي عيسى عليه السلام كان يمتلك القدرة على عبور القوانين الطبيعية فهو يقول: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} (٣). لكن هذا الامر ليس شراكة مع الله تبارك وتعالى في خلقه، وانما هو بإذن الله وقدرته وتعليمه.

كذلك التقنيات الحديثة ليست هي شراكة مع الله، وانما العقل البشري يوظف هذه القوانين لتحقيق المزيد من التطور.

فهي توظيف للقوانين، وليس عبوراً لها ولا شراكة مع الله تعالى، و(لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ).

(وَلَا مُنَازَعَ لَهُ فِي أَمْرِهِ):

ماهو الأمر؟

الله تعالى لا منازع له في الاوامر التكوينية الخلقية، وامور الخلق كلها بيد الله تبارك وتعالى، ولا ينازع احد في تقديراته في كل هذا الوجود. لذا يقول القران الكريم: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (٤)، ويقول: {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ} (٥).

^١ سورة البقرة الاية ٣٧

^٢ سورة البقرة الاية ٣٨

^٣ سورة ال عمران الاية ٤٩

^٤ سورة القمر الاية ٤٩

^٥ سورة القدر الاية ٤

فالامر والتقدير لكل الوجود بيد الله تبارك وتعالى، انما نحن نتصرف في داخل هذا التقدير الالهي فننتقل من حالة الى حالة وكلها مقدرة. القرآن الكريم يعطينا مفهوما اخر يقول: {لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} (١)، فالخلق معناه أصل الایجاد، واما الأمر فهو تقديراته وتحركاته وتطوراته، فالخطوة الاولى هي الایجاد، والخطوة الثانية هي التقدير. الله {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (٢)، اي له الخلق وله الامر، ولذا يقول القرآن الكريم: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} (٣).

ويقول: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٤).

فهنا عملية خلق، ثم تأتي بعدها عملية السير التكاملي لهذا الخلق، وهو المعبر عنه في القرآن بكلمة (هَدَى) {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (٥)، فالله تعالى لامنازع له في أمره التكويني، وانما يعصيه العاصون في أمره التشريعي كما تقدم.

لا شريك له في خلقه:

الخلق الحقيقي والخلق المجازي:

يوجد عندنا خلق حقيقي، وخلق مجازي، فانا عندما اتكلم الان، فإن الذي انطقني هو الله تبارك وتعالى، وهكذا حين أكل الطعام وأشرب الماء، {الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} (٦).

فالخلق الحقيقي من الله تعالى الذي بيده كل شيء، اما التصرفات من حس وشم ونطق التي يقوم بها الانسان أو الحيوان، فكلها خلق مجازي، أو

^١ سورة الاعراف الآية ٥٤

^٢ سورة طه الآية ٥٠

^٣ سورة الواقعة الآية ٥٩

^٤ سورة المؤمنون الآية ١٤

^٥ سورة طه الآية ٥٠

^٦ سورة الشعراء الآية ٨١، ٨٠، ٧٩

شرح دعاء الافتتاح..... ٨٣

بعبارة اخرى هي أدوات يستخدمها الانسان لكنها خاضعة الى المالك الحقيقي وهو الله تعالى، وهو الذي يتصرف بها، أما نحن فإنما نمارس عملية تمرير إرادة الانسان من خلال تلك القوانين الالهية، {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (١).

(وَلَا شَيْبَةَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ):

عظمة الله تعالى:

ان كل عظمة في الكون هي ترشح من عظمة الله تعالى، حيث (انقأ كل شيء لإمره) (٢) تبارك وتعالى .

فالعظمة الالهية ممتدة في كل شيء، في السموات، وفي الارضين، وان جميع الاشياء هي ذليلة لعظمة الله تبارك وتعالى.

(يَا أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ) (٣) الجبل عظيم، السموات عظيمة، لكن أعظم الاعظمين هو الله تعالى، بل كل عظمة في الكون هي ترشح من عظمة الله.

وقد اكدت الآيات القرآنية، وادعية اهل البيت عليه السلام على عظمة الله تعالى وصورتها بأجمل الصور .

يقول الله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٤).

في دعاء كميل نقراً: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (٥)، وهكذا نجد أن العظمة الالهية ماثلة في كل شيء.

^١ سورة الانسان الآية ٣٠

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء الجوشن الكبير

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء الجوشن الكبير

^٤ سورة الحشر الآية ٢٤

^٥ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء كميل بن زياد

الاسماء الالهية:

من أعظم الاسماء الالهية (الواحد)، وبعده (الحي)، (القيوم)، والعلماء يقولون ان جميع الاسماء الالهية مشتقة من (الحياة المطلقة)، و(القيومية المطلقة) لله تعالى الواحد (١) .

لاحظوا ذلك في القرآن الكريم حينما يقول: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (٢)، فالوحدانية أولاً، ثم الحياة، ثم القيومية.

فكل ماسوى الله ليس له حياة مطلقة، ولا قدرة مطلقة، بل ليس له حياة، ولا قدرة ، انما هي حياة الله تعالى وقدرته، وهذا هو ماأكده الامام علي بن الحسين (عليه السلام) في مناجاته حينما يقول: (مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ إِلَّا الْحَيُّ).

نموذج من عظمة الخلق الالهي:

وتتجسد عظمة الله في جسم الانسان حيث نرى دم الانسان يتألف من أربعة مكونات هي: كريات الدم الحمراء، وكريات الدم البيضاء، وصفائح الدم، وبلازما الدم .

ولكل منها لها وظيفتها الخاصة بها فان اخلت بوظيفتها هلك الانسان. علماء الطب يقولون ان الكريات الدم الحمراء تقدر بخمسة ملايين كرية في كل ملتر مكعب، بينما يبلغ مجموع الكريات الحمراء في البدن عشرين ترليون كرية، ووظيفة هذه الكريات هي بمثابة اسطول بحري ناقل للمواد الغذائية والاكسجين.

أما الكريات الدموية البيضاء فهي بمعدل ثلاثة الاف كرية في كل ملم متر مكعب، ووظيفتها هي حماية الكريات الحمراء، فهي قوارب نجاة

^١ انظر محمد حسين الطباطبائي/ الرسائل التوحيدية، حين يقول: (سيطرة الاسمين الحي القيوم واقعة على جميع الاسماء الثبوتية غير الوحدة، قال تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم) فبالتوحيد في الآية يتم شمولها لجميع الاسماء الثبوتية) ص ٤٦ طبعة قم.

^٢ سورة البقرة الآية ٢٥٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٨٥

حول الاسطول، وهي الجهاز المناعي في البدن لمواجهة المخاطر وانواع الفيروسات والبكتريا الضارة..

اما الصفائح الدموية فوظيفتها سد الجرح اذا حدث في بدن الانسان، حيث تلتصق الصفائح بعضها ببعض وتمنع من تسرب الدم للخارج، ولكنها اذا كثرت فانه ستصيب الانسان جلطة دموية^(١).

هذا نموذج بسيط من عظمة صنع الله تعالى، والسؤال هو:

هل يخضع هذا الامر لإرادة الانسان؟

كلا فالانسان لايمكنه ان يقوم بهذه المهمة العظيمة، بل هي تتحرك لأداء وظيفتها بدون وعي الانسان وارادته وهي تتحرك وتؤدي وظائفها حتى في نوم الانسان.

نظرية الوعي الكوني:

وهذه هي النظرية الدينية، (نظرية الوعي الكوني) والتي سنتحدث عنها ان شاء الله تعالى، وهي تعني ان كل شيء يسير بدون فوضى واضطراب، بل بوعي تام ونظام رائع .

وهذا على عكس ماتقوله النظرية المادية(الحتمية الطبيعية)، والتي ترى أن العالم يسير أتوماتيكيا، أو بدون وعي .

لكن الاسلام يقول ان كل شيء يسبح بحمد ربّه، وكل شيء يسير وفق منهج تكاملي ودقيق وفق حسابات مضبوطة، {وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (٢).

فكل ذرة من ذرات هذا الكون تحمد الله تعالى وعندها وعي كوني، والقران الكريم يتحدث عن ان كل المخلوقات لها وعي وحياة، وتتحرك في داخل دائرة الامر الالهي.

^١ مواقع الكترونية

^٢ سورة الاسراء الاية ٤٤

٨٦ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة السابعة:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَحَمْدُهُ، الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ،
الْبَاسِطِ بِالْجُودِ يَدُهُ، الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ،
وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُودًا وَكَرَمًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ)

*الامر الالهي

*نظرية الفيض الالهي

*نظرية الخلق المستمر

شرح دعاء الافتتاح	٨٨
-------------------	----

(الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ):

معناه المنتشر، الواضح، الظاهر في الخلق تقديره وتدبيره، فكل الكون يسير وفق مخطط مرسوم له {كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} (١)، فالامر هنا ليس مقابل النهي وجمعه (أوامر)، بل بمعنى شأنه وتقديره وجمعه (امور)، كما تقول لأحد (كيف امورك)، و(الى اين وصل امرك)، هذا هو المفهوم من قوله (الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ) بمعنى المبتوث في كل الوجود تدبيره وقراره.

الْخَزَائِنُ الْإِلَهِيَّةُ :

في المقطع الاخر من الدعاء يقول: (الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، الْبَاسِطِ بِالْجُودِ يَدُهُ)، حيث نرى تصويراً رائعاً لسعة الخزائن الالهية وديمومة الفيض الالهي، حيث يقول الدعاء: (الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ، وَلَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْعَطَاءِ إِلَّا جُوداً وَكَرَمًا).

لاحظوا هذا الدعاء وهو في مقام الاسترحام، والاستعطاف، والسؤال، عادة يبدأ بذكر الرحمة والكرم والجود.

فانت حينما تريد ان تستعطف شخصا ما تذكره بكرمه واياديه الكريمة، لذلك نقول في الدعاء (الْحَمْدُ لِلَّهِ الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ)، ياالهي انت مجدك ظاهر بكرمك، وليس فقط بجبروتك وعظمتك، مجدك وشرفك العظيم ظاهر بالكرم، ويدك مبسوطة بالجود والعطاء.

الاسلام يقول ان الله تبارك وتعالى كريم، وظاهر مجده بالكرم، وباسط بالجود يده .

بينما اليهود المعروفين بصفة البخل الذميمة، ينسبون هذه الصفة الى الله تعالى، كما ورد في القران الكريم في قوله تعالى:

^١ سورة الانبياء الاية ٣٣

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} (١)، فيجيبهم القرآن الكريم بقوله: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} (٢).
الَّذِي لَا تَنْقُصُ خَزَائِنُهُ:

ماهي خزائن الله؟

القرآن الكريم يقول عن خزائن الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ} (٣).
فمن ظاهر الآية نستكشف ان كل الموجودات لها خزائن عند الله تعالى، والله تعالى له خزائن السموات والارض، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم حيث قال: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٤).
فالجبال والبحار والكواكب والاشجار والحيوانات، والانس، والجن كلها لها خزائن في السماء، ومن تلك الخزائن تنزل الموجودات.
هذا المفهوم له تفسيران:

التفسير الاول: وهو التفسير الظاهري بمعنى أن هناك خزائن ومنابع لكل هذه الموجودات في عالم السماء وعند الله تبارك وتعالى .
التفسير الاخر: التفسير التاويلي، بمعنى خزائن القدرة، يعني الله قادر على ان يواصل العطاء وان خزائن قدرته لاتنتهي .
ولكن الصحيح ان نبقي مع التفسير الظاهري ولا حاجة الى تأويل، ولكن قد تقول كيف نتصور ان هذه الجبال لها أضعاف أضعافها في السماء، وهذه المجرات لها خزائن مجرّاتية في السماء .

الجواب: يمكن أن نوضح ذلك بمثال بسيط، القرص المدمج الذي نستعمله اليوم في اجهزتنا الكمبيوترية يحتوي على اكثر من خمسين الف قطعة مخزونة، ونحن نتقبل هذا الامر ولانجد فيه مشكلة، فمثل ذلك نقول

^١ سورة المائدة الآية ٦٤

^٢ سورة المائدة الآية ٦٤

^٣ سورة الحجر الآية ٢١

^٤ سورة المنافقون الآية ٧

ان كل هذه الموجودات لها خزائنها عند الله تعالى، ولكن ليس بالضرورة أن تكون بنفس الشكل الوجودي، بل ربّما بشكل آخر ومرتبة أخرى من الوجود .

يقول العلامة الطباطبائي^(١): (قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ})^(٢) تدل بعمومها على أن لجميع موجودات عالمنا هذا وجودات مخزونة عنده تعالى ذات سعة غير محدودة ولامقدّرة.

وبعبارة أخرى أن في كل شيء وجهاً الهيئاً، ووجهاً كونياً خلقياً، وهذا الوجه حيث أنه بمقدار فهو محدود مثالي، وقد أفاد قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ})^(٣) وجهاً آخر غير محدود ولامقدّر^(٤).

لماذا لا نقبل ان كل هذا الكون موجود بكلمة، ولهذا نقرا في دعاء السمات^(٥): (وَبِكَلِمَتِكَ الَّتِي خَلَقْتَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ).

هذه (الكلمة) هي خزانة جميع الموجودات، فلا يغرنّا حجم الجبال والمجرات والكون، فالكل مخزون في حرف في اسم الله الاعظم، فهذا الوجود كله هو ترشح من كلمة من كلمات الله تبارك وتعالى، كما نقرأ في

^١ السيد محمد حسين الطباطبائي، المعروف بالعلامة الطباطبائي (١٣٢١ - ١٤٠٢ هـ)، مفسّر، ومتكلم، وفقه، وأصولي، وعارف. من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري. ومن الشخصيات الشيعية الكبيرة التي تركت بصمات واضحة على الساحة العلمية والفكرية في إيران وفي العالم الإسلامي. خطّ قلمه الكثير من المصنفات، ويقع في مقدمتها موسوعته التفسيرية الميزان في تفسير القرآن، فضلاً عن الكتب الفلسفية كبداية الحكمة ونهاية الحكمة وكتابه المعروف أصول الفلسفة والمنهج الواقعي الذي تصدى الشهيد المطهري لشرحه والتعليق عليه (المحقق).

^٢ سورة الحجر الآية ٢١

^٣ سورة الحجر الآية ٢١

^٤ رسائل توحيدية/ الطباطبائي/ ص ١٠٩-١١٠

^٥ دعاء السمات، ويسمى أيضاً (دعاء الشبور) كما قال الكفعمي، وهو دعاء عظيم المنزل، يقرأه الشيعة في آخر ساعة من يوم الجمعة، ولهم في تعظيم هذا الدعاء مستند ودليل، ومنه: رواية الإمام الباقر عليه السلام أنه فيه الاسم الأعظم، وقد قام عدّة من الأعلام بشرح هذا الدعاء لما له من الأهميّة والمكانة. (المحقق)

الدعاء: (وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَأُضَاءَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأُظْلِمَ) (١).

نظرية الفيض الالهي:

أن أية خزانة من الخزانات عندنا في الدنيا، كلما تأخذ منها تنقص، فكيف لا تنقص خزائن الله تعالى مهما أعطى منها بل تزداد أكثر فاكثراً. تأتي هنا (نظرية الفيض الدائم)، حيث يقول الدعاء: (يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقُطُ أَبَدًا) (٢).

والامام زين العابدين عليه السلام يقول: (وامتلأت بفيض جودك أوعية الطلبات) (٣). نظرية الفيض تعني ان الله تبارك وتعالى هو فيض وعطاء دائم، وهذا الفيض الالهي له اربع صفات هي:

الاولى: ذاتي.

الثانية: دائم.

الثالثة: لا ينقص.

الرابعة: يزداد.

ومن أجل توضيح ذلك نقول: اذا اخذنا كرم الانسان مثل (حاتم الطائي) فان كرمه ليس ذاتياً، بل هو صفة قد ورثها وأكتسبها، فليست هي جزء من وجوده وذاته، كما أن كرمه ينقطع وينتهي حينما ينتهي ماله من مخزون مالي، ويبدأ بالتراجع تدريجياً الى ان ينتهي كل ماله، أما الله تعالى فان فيضه ذاتي لم يأخذه وراثته من أحد، ولا اكتسبه من غيره، وليس من اجل الشهرة، بل ذاته هي الفيض والكرم، وهذا الكرم لا ينقطع ولا ينقص بل

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء شهر رجب

^٢ المصباح - الكفعمي - الصفحة ٢٩٥ روى أن ملك الموت عليه السلام علم يعقوب عليه السلام هذا الدعاء فدعا به فلم

يطلع الفجر حتى أتى بقميص يوسف عليه السلام

^٣ الصحيفة السجادية الكاملة - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٢٣٨

شرح دعاء الافتتاح.....٩٣

يزداد كلما وجد محطةً للعطاء والفيض، فهو يزداد بازدياد الموجودات والمخلوقات والفقراء.

هذه هي (نظرية الفيض الالهي).

نظرية الخلق المستمر:

هذا الكون هل ينتهي؟

او ان الخلق الالهي دائم ومستمر كلما انتهى كون حدث كون آخر؟

الجواب:

هذا الكون قد ينتهي، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} (١)، وقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٢)، وقوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} (٣)، وقوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} (٤).

نعم، هنالك نظرية علمية تقول ان هذا الكون سينتهي يوما ما، بنهاية الطاقة الحرارية حيث تصل النجوم فيه الى برود، ونحن الان لسنا بصدد نقاش هذه النظرية وهي لا تتنافى مع نظرية (الخلق الدائم)، لانها انما تتحدث عن هذا العالم ولا تتحدث عن عوالم اخرى قد تخلق فيما بعد، فالنظرية في احسن حالاتها تقول ان هذا الكون سوف يتلاشى .

ولكن، هل سينتهي الوجود، أم سيكون هناك وجود ثاتي، وثالث الى مالانهاية، لان الله هو (الفيض الذاتي) وفيضه لا يقف عند حد؟

هذا مالا نتحدث عنه النظرية العلمية ولا تنفيه، ونحن حينما نعتقد بان الله تعالى فياض الوجود، وان فيضه ذاتي، إذن فالخلق مستمر كونا بعد كون، من كرمه الدائم، وعطائه المستمر، ووجوده اللامتناهي.

^١ سورة الرحمن الآية ٢٦

^٢ سورة القصص الآية ٨٢

^٣ سورة ابراهيم الآية ٤٨

^٤ سورة فاطر الآية ١٦

يعقوب (عليه السلام) وملك الموت :

ورد في الرواية ان ملك الموت تجسد الى نبي الله يعقوب (عليه السلام) فقال له: انت تقبض الارواح، هل ان ابني يوسف موجود عندك فيمن قبضت روحه؟ قال له: لا.

هنا اطمأن يعقوب (عليه السلام) بأن يوسف مازال حيا. ثم هبط عليه جبرئيل قال: يايعقوب اذا ارت دعاءً سريع الاجابة فقل: (يَاذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا). فما زال يعقوب (عليه السلام) يكررها فما أن طلع الفجر حتى جاؤا بقميص يوسف القي على يعقوب (عليه السلام) (١).

وهكذا نستنتج ان كل هذا الوجود، ومابعده من الوجودات، هو ترشح لكلمة من كلمات الله تعالى، وان الفضل والعطاء والمعروف الالهي لاينقطع ابداً.

الرزق نوعان:

ان هذا العطاء الالهي الذي يقول فيه الامام السجاد (عليه السلام) يوم الفطر اذ انصرف من صلاته: (وَأَمْتَلَأْتُ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَةَ الطَّلِبَاتِ) (٢). هذا الجود والرزق والكرم الالهي هو على نوعين: رزق تطلبه، ورزق يطلبك.

الله جعل المنهج الطبيعي هو ان تبحث انت عن الرزق من أجل تكامل المسيرة البشرية، لا ان تكون نائماً في فراشك وتريد أن تأتيك الارزاق المقدرة.

ومن هنا جاء في رواية شريفة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال:

^١ المصباح - الكفعمي - الصفحة ٢٩٥

^٢ الصحيفة السجادية للامام زين العابدين (عليه السلام)

شرح دعاء الافتتاح..... ٩٥

(أربعة لا يستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته، يقول: يا رب ارزقني فيقول له: ألم أمرك بالطلب؟

ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك؟
ورجل كان له مال فأفسده فيقول: يارب ارزقني فيقول له: ألم أمرك
بالاقتصاد ألم أمرك بالاصلاح؟

ثم قرأ: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} (١).
ورجل كان له مال فأداناه بغير بينة فيقول: ألم أمرك بالشهادة) (٢).

هذا كله من سنن التكامل الاجتماعي، العمل، والانتاج، والعطاء.
وقد يأتيك رزقك من غير طلب، بل بفعل عوامل أخرى خارجة عنك.

قصة الرسول ﷺ مع الرجل المستعطي:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

(اِسْتَدَّتْ حَالُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتَهُ.

فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ مَنْ سَأَلْنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمِنْ اسْتَعْنَى
أَغْنَاهُ اللَّهُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا يَعْني غَيْرِي.

وَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَعْلَمَهَا بِمَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ
فَأَعْلَمُهُ بِحَالِكَ وَحَاجَتِكَ وَفَقْرِكَ.

فَاتَّاهُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَادَرَ قَائِلًا: مَنْ سَأَلْنَا أَعْطَيْنَاهُ وَمِنْ
اسْتَعْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ.

فانسحب الرجل قائلاً: ان رسول الله ﷺ يعنيني بهذا الكلام.

لكنه عاد الى رسول الله ﷺ مرة ثالثة ليسأله فالتفت رسول الله ﷺ وقال
نفس مقالته، فذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل فصعدَه فَقَطَعَ حَطْباً

^١ سورة الفرقان الآية ٦٧

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٠ - الصفحة ٣٦٠

ثُمَّ جَاءَ بِهِ فَبَاعَهُ بِنِصْفِ مُدٍّ مِنْ دَقِيقٍ فَرَجَعَ بِهِ فَأَكَلَهُ ثُمَّ ذَهَبَ مِنَ الْعَدِّ فَجَاءَ
بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَبَاعَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ وَ يَجْمَعُ حَتَّى اشْتَرَى مِعْوَلًا ثُمَّ جَمَعَ
حَتَّى اشْتَرَى بَكْرَيْنِ^(١) - مِنَ الْإِبِلِ - وَغُلَامًا ثُمَّ أَتَرَى - صَارَ غَنِيًّا - حَتَّى
أَيْسَرَ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْلَمَهُ كَيْفَ جَاءَ يَسْأَلُهُ وَكَيْفَ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ .
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قُلْتُ لَكَ مَنْ سَأَلَنَا أُعْطِينَاهُ وَمَنْ اسْتَعْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ^(٢) .

^١ البكر بالفتح من الإبل بمنزلة الغلام من الناس والأنثى: بكرة. (الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة

(١٣٩)

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٣٩، و بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠ - الصفحة

١٧٧

المحاضرة الثامنة:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ، مَعَ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ
وَ غِنَاكَ عَنْهُ قَدِيمٌ، وَ هُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ، وَ هُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ).

* لماذا السؤال من الله تعالى؟

* مستويات السؤال.

* قصة الاعرابي والاسم الاعظم.

* رؤية صاحب الزمان (عجته).

لماذا السؤال من الله ؟

يقول المعصوم عليه السلام في مقطع آخر من دعاء الافتتاح :
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ، مَعَ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ عَظِيمَةٍ وَغِنَاكَ عَنْهُ قَدِيمٌ، وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ).

إذا كان الله تبارك وتعالى عالماً بحاجتنا، وهو الرحمة المطلقة، وهو الفيض المطلق، إذن لماذا يجب ان نتوجه بسؤاله والطلب منه؟
أليس نحن نقرا في الدعاء: (يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تُحَنُّنًا مِنْهُ وَرَحْمَةً^(١)).
فإذا كان العطاء الالهي ذاتياً، إذن لماذا السؤال من الله تبارك وتعالى، وإذا كان الانسان مستحقاً للرحمة الالهية، ومحتاجاً لها، إذن لماذا لا يفيض الله عليه هذه الرحمة بدون سؤال؟.

لماذا نحتاج الى سؤال؟

ولماذا نسأل الله تعالى؟

إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم، فان المطر سيهطل منها على الارض، ان سألت، أم لم تسأل، فلماذا علينا السؤال؟
ولماذا يقول القران الكريم: {وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً^(٢)}.
يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام في منظومته^(٣) :

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا تَبَارَكَتْ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
فصاحب الجود لا يحتاج الى سؤال، فلماذا نسأله تعالى؟
الجواب: هنالك عاملان تدعونا للسؤال من الله تعالى:
العامل الاول: هو التعرض الى رحمة الله تبارك وتعالى.

^١ بحار الأنوار: ٩٥ / ٣٩٠ ، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، من ادعية شهر رجب

^٢ سورة النساء الآية ٣٢

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ المناجاة المنظومة لامير المؤمنين عليه السلام

١٠٠..... شرح دعاء الافتتاح

فأشعة الشمس تملأ السماء، وسطح الارض، لكن حينما تكون في داخل الغرفة فانها لاتصل اليك، فالمشكلة اذن ليست في أشعة الشمس، وانما انت الذي احتجبت عنها، هكذا في الرحمة الالهية، والعطاء الالهي، يجب أن نستقبله ونتعرض اليه.

لذا نقرأ في الدعاء في ليلة النصف من شعبان (إِلَهِی تَعَرَّضْ لَكَ فِي هَذَا اللَّيْلِ الْمُتَعَرِّضُونَ وَقَصَدَكَ الْقَاصِدُونَ وَأَمَّلَ فَضْلَكَ وَمَعَرُوفَكَ الطَّالِبُونَ)(١).

ويقول رسول الله ﷺ في الحديث المروي عنه: (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبد)(٢).

اذن فلسفة السؤال هي ضرورة التعرض وكشف النفس لامواج الرحمة الالهية الهائلة من السماء، هذا هو العامل الاول.

العامل الثاني: الذي يدعونا لان نسال الله تبارك وتعالى، هو عبارة عن ضرورة المعاشة مع الله تعالى، والانس بمجالسته ومناجاته، والتقدم خطوة في طريق التكامل بهذه المناجاة.

هنا سيكون الله تبارك وتعالى من خلال السؤال (جليس من سألته)، فانت تريد ان تلتقي مع مولاك الكريم من خلال السؤال والتضرع. ولهذا يقول الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال:

(إن الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكا يقال له: الداعي، فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كل ليلة منه إلى الصباح: طوبى للذاكرين، طوبى للطائعين، ويقول الله تعالى:

أنا جليس من جالسنني، ومطيع من أطاعني، وغافر من إستغفرني، الشهر شهري، والعبد عبدي، والرحمة رحمتي، فمن دعاني في هذا الشهر أجبتة،

^١ مفتاح الفلاح - البهائي العاملي - الصفحة ٢٥٣ من ادعية شهر شعبان

^٢ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - الصفحة ١٠٥١

شرح دعاء الافتتاح..... ١٠١

ومن سألني أعطيته، ومن استهداني هديته، وجعلت هذا الشهر حبلا بيني وبين عبادي فمن اعتصم به وصل إلي^(١).

اذن نحن حينما نسال الله فان الهدف من ذلك هو ان نكسب القرب اليه تعالى ، والمجالسة معه، اضافة الى ان نأخذ حاجتنا منه.

مستويات السؤال:

يقول العرفاء أن هناك ثلاث مستويات للسؤال :

السؤال بلسان الحال، او بلسان القال، او بلسان الاستعداد.

يقول الامام الخميني في كتابه (شرح دعاء السحر):

(قول الداعي)(أسالك)، السؤال بلسان الاستعداد غير مردود، والدعاء به مقبول مستجاب، لان الفاعل تام وفوق التمام، والفيض كامل وفوق الكمال، وعدم ظهور الفيض والافاضة من قبل نقصان الاستعداد، فاذا استعد القابل لقبوله يفاض عليه من الخزائن التي لا تبديد ولا تنفذ...فينبغي للداعي ان يبالغ في تنزيه باطنه وتخليه قلبه من الارجاس والملكات الرذيلة حتى يسري دعاء قاله الى حاله، وحاله الى استعداده، وعلنه الى سرّه ، يستجاب دعاؤه ويصل الى مناه)^(٢).

امامنا الان ثلاثة مستويات للسؤال والدعاء:

المستوى الاول: السؤال باللسان

وفيه يقول الدعاء: (وَاجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجًا)^(٣)، وهذا هو لسان القال، والحديث يقول: عن رسول الله ﷺ:

(من قال: لا إله إلا الله، غرست له شجرة في الجنة من ياقوتة حمراء، منبتها في مسك أبيض، أحلى من العسل وأشد بياضا من الثلج وأطيب ريحا من المسك)^(٤).

^١ إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ٣ - الصفحة ١٧٤

^٢ شرح دعاء السحر / الامام الخميني/ ص ٩٠-١١٠

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء كميل بن زياد

^٤ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٥١٧

١٠٢ شرح دعاء الافتتاح

وهذا هو ادنى مستويات السؤال، ان تحرك لسانك مع الله وتناجي وتطلب.

المستوى الثاني: السؤال بالحال

ثم تحاول ان تصعد الى مستوى اعلى في السؤال وهو مايسمى بلسان الحال، اي يكون حالك ومشاعرك وقلبك هو الذي يناجي ويسأل وليس اللسان وحده.

وفي دعاء ابي حمزة الثمالي يقول: (أناجيك يارب بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ، ادْعُوكَ يَا رَبَّ رَاهِباً رَاغِباً، رَاجِئاً خَائِفاً، إِذَا رَأَيْتُ مَوْلَايَ ذُنُوبِي فَزِعْتُ، وَإِذَا رَأَيْتُ كَرَمَكَ طَمِعْتُ)^(١). هذا هو المعبر عنه بـ(لسان الحال).

كما نقرا ايضا في دعاء كميل: (يا إلهي أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ، وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي وَأُورَادِي كُلُّهَا وَرِداً وَاحِداً، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً)^(٢).

فحالنا يجب أن يكون منسجماً مع مقالنا ومتطابقاً معه.

اذن هنا مستويان للسؤال هما السؤال بلسان القول، والسؤال بلسان الحال.

المستوى الثالث: لسان الاستعداد

ثم نصل الى المرحلة الاخيرة من السؤال، وهي مرحلة العمق، (ومرحلة الاستعداد)^(٣) حسب مايسمىها العرفاء .

انها مرحلة اللياقة بان تكون مؤهلاً، لان تنزل عليك الرحمة، ويستجاب فيها الدعاء، وهي مرحلة الاستعداد لتحمل هذه العطية الالهية.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/دعاء كميل

^٣ انظر شرح دعاء السحر / الامام الخميني («شرح دعاء السحر» أول كتاب نجح الإمام الخميني في تأليفه حينما كان له من العمر سبعة وعشرون عاماً).

هذا الكتاب الشريف و اللطيف كان من جملة الآثار العرفانية للإمام الخميني و قد نوه فيه باسم استاذة آية الله الشيخ محمد علي الشاه آبادي- طاب ثراه- مراراً وجاء بأنظاره كراراً؛ ونظراً إلى أن سماحة الإمام نال مصاحبة آية الله الشاه آبادي وكان قد بدأ بتأليف الكتاب قبل ذلك الوقت، وكان في منتصف تأليفه تقريباً، فذلك نشاهد أنه يأتي بأنظار استاذة من الصفحة ١٠٥ فما بعد في المتن وقبله في الهامش)(المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ١٠٣

وهذا مانراه في قصة النبي يونس عليه السلام عندما وصل الى مرحلة الاستعداد لنزول النجاة الالهية، واصبح مهيناً لان ينصره الله تبارك وتعالى وينقذه. فهو في داخل ظلمات بطن الحوت قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (١).

فاستجاب الله له من غير أن يسأل النجاة بلسان القول ولا بلسان الحال، بل بلسان الاستعداد واللياقة، فهو لم يقل الهي انقذني، بل قال: {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فجاءت الاستجابة الالهية {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} (٢).

هذه النجاة ليست ليونس عليه السلام وحده، بل لعموم المؤمنين حينما يصلوا الى هذا المستوى.

لذلك اذا لم تصل الى مرحلة الاستعداد، لاتكون الاجابة واجبة، بينما اذا وصلنا الى مرحلة الاستعداد، حينئذ تكون الاجابة حتمية، لان الله تبارك وتعالى هو فيض مطلق لكل موضوع توفرت فيه شروط الاهلية واللياقة للاستجابة.

فالله تعالى وجود مطلق، يفيض هذا الوجود على كل من يستحق الوجود، فاي ماهية استحققت الفيض الالهي، حتما سوف ينزل عليها الفيض الالهي.

وفي قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام عندما قال ابراهيم عليه السلام: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} (٣). قال له اسماعيل عليه السلام: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} (٤).

^١ سورة الانبياء الآية ٨٧

^٢ سورة الانبياء الآية ٨٨

^٣ سورة الصافات الآية ١٠٢

^٤ سورة الصافات الآية ١٠٢

هنا لياقة واستعداد لنزول الرحمة الالهية ،فهنا قلب عظيم، ولياقة
لنزول الرحمة، حيث يستجيب ابراهيم عليه السلام للطلب الالهي، واسماعيل عليه السلام
يستجيب للرؤيا، فنزلت الرحمة الالهية {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} (١).
نحن اذن نريد نزول الرحمة الالهية، فيجب ان تكون عندنا اللياقة،
فعندما نريد النصر يجب ان تكون لدينا لياقة النصر، وعندما نريد الرزق،
يجب ان تكون عندنا لياقة الرزق، وعندما نريد التوفيق، يجب ان تكون
عندنا لياقة التوفيق... وهكذا .

قصة الاعرابي والاسم الاعظم:

في رواية رواها لي سماحة اية الله الشيخ حسن الجواهري الكبير الذي
توفي في قم قبل حوالي ثلاثين سنة، حيث كنت ازوره في كل اسبوع
واستمع الى مواعظه واطلب منه قصصا تربوية، فذكر لي ذات مرة هذه
القصة:

انه جاء اعرابي للإمام الصادق عليه السلام قال له: يابن رسول الله علمني الاسم
الاعظم.

قال له الامام: أنت لاتطبق ذلك.

فأصر عليه الاعرابي أن يعلمه الاسم الاعظم، ففتح له الامام عليه السلام فرصة
وقال: غداً قف على باب الجسر ولا تتحرك ولا تتحدث بشيء، بل فقط
شاهد ما يحدث، ثم تنقل لي ماذا رأيت، وحينئذ قد أعلمك الاسم الاعظم.
فاصبح الصباح، وذهب الاعرابي ووقف على باب الجسر، واذا هو بحمال
فقير الحال رث الثياب يحمل حزمة حطب ويصعد الجسر بصعوبة .

بينما هو كذلك جاء فارس من البلاط الحاكم يومئذ ورأى الحمال يوازيه
على الجسر فدفعه وألقاه في النهر، وذهب الفارس دون أن يكثرث بما
حدث.

^١ سورة الصافات الآية ١٠٧

شرح دعاء الافتتاح..... ١٠٥

ولكن هذا الرجل الحمال سبح في الماء ووصل الى الجرف ويسحب معه رزمة الحطب، وهو يقول (لا الله الا الله)، ثم جمع حطبه مرة اخرى، وجفّ ملابسه، وبدأ مرة اخرى بعبور الجسر. وعاد الاعرابي الى الامام عليه السلام، سأله الامام عليه السلام عما رأى، فقصّ عليه قصة هذا الفقير الحمال صاحب الحطب.

فقال له الامام عليه السلام: ماذا قال حامل الحطب عندما القاه الفارس في الماء؟

قال: قال (لا الله الا الله) ولم يتكلم بشيء آخر.

قال عليه السلام: هذا حامل الحطب لديه الاسم الاعظم، ولو اراد ان يدعو على ذلك الفارس بكلمة واحدة لأحرقه بالمكان، لكن رأيت كيف تمالك وتماسك وضبط نفسه، ولم يدعو بالاسم الاعظم. الان انت اذا علمت اسم الاعظم هل مستعد لتحمل والصبر مثل ذلك الفقير صاحب الحطب؟

قال الاعرابي: لا ليس لدي القدرة.

هكذا نحن بحاجة الى لياقة النصر، ولياقة الغنى، ولياقة العافية، ولياقة التوفيق، حتى نصل الى مرحلة الاستعداد ونعبر مرحلة القال والحال، (حتى تكون أعمالنا وأورادنا كلها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً^(١)).

رؤية الامام المهدي عليه السلام:

هناك سيد من العرفاء، واستاذ من اساتذة اهل المعرفة في مدينة النجف الاشرف يدعى السيد علي القاضي^(٢) والمدفون في مقبرة وادي السلام في

^١ دعاء كميل بن زياد

^٢ السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي، عارف وفيلسوف وأستاذ أخلاق في حوزة النجف الاشرف العلمية. ولد سنة ١٢٨٢ هـ في مدينة تبريز. تتلمذ على يده العديد من العلماء، وكان يُشير من بينهم إلى السيد محمد حسين الطباطبائي والسيد هاشم الموسوي الحداد، والشيخ محمد تقي بهجت. هاجر إلى النجف وحصل على درجة الاجتهاد، واتبع بطريقته العرفانية طريقة الملا حسين قلي الهمداني. نُقل أنّ له كرامات عديدة، كما له مؤلفات، منها: تفسير القرآن الكريم، وقصائد شعرية باللغة العربية والفارسية. توفي سنة ١٣٦٦ هـ، ودفن في مقبرة وادي السلام (المحقق).

١٠٦ شرح دعاء الافتتاح

النجم الأشرف ويسمى شيخ العرفاء، له قصة مع احد تلاميذه كما حدثني بها سماحة الشيخ نجابت^(١) من علماء العرفان في شیراز يقول فيها:
جاء تلميذ للسيد علي القاضي قال له: اريد ان ارى صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.
قال: لاتستطيع.

قال: اريد ، واصر على ذلك.

فقال له: سادعو لك من اجل ان تراه.

وفي ليلة الجمعة بدء هذا التلميذ بقراءة دعاء كميل في غرفة مظلمة، الى ان وصل الى مقطع (يانور ياقدوس)، واصبح يكررها مراراً، واذا من زاوية الغرفة يتقدم له وهج ونور، فأسرع بالفرار، وصاح (ارجوك حتى لو كنت صاحب الزمان اذهب عني) ثم لاذ بالفرار .
فهذا الرجل لم يكن لديه استعداد ولياقة لتحمل هذا الامر فلاذ بالفرار، لذلك عندما نطلب من الله أمراً يجب ان نرى كيفية استعدادنا لتلك النعمة التي نطلبها وتوظيفها الوظيفة الصحيحة لنتعامل معها كما يجب.

^١ الشيخ حسن علي نجابت ولد في شیراز وتوفي فيها سنة ١٤١٠ ودفن في حرم السيد محمد بن موسى الكاظم (عليه السلام)، درس في النجم الأشرف على السيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد أبو القاسم الخوئي. وأخذ دروس الحكمة عن الشيخ محمد علي البروجردی والعرفان عن السيد علي القاضي والاقا محمد جواد الأنصاري الهمداني. وفي سنة ١٣٢٨ عاد إلى إيران فأسس في شیراز حوزة علمية وبنى مدرسة كبيرة سماها باسم ابنة الذي استشهد في جبهة عبادان. له من المؤلفات كتاب البصائر أو القرآن وأهل البيت، وشرح الزيارة الرجبية، والكلمة الطيبة، والبشارة وغير ذلك. (المحقق)

المحاضرة التاسعة:

(اللَّهُمَّ إِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذُنُوبِي، وَ تَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي،
وَ صَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي، وَ سِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي،
وَ جَلَمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمي عِنْدَ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئِي وَعَمْدِي،
أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ الَّذِي رَزَقْتَنِي
مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرَيْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ، وَ عَرَفْتَنِي مِنْ إِجَابَتِكَ،
فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا، وَ أَسْأَلُكَ مُسْتَأْنَسًا، لَا خَافًا وَ لَا وَجَلًا،
مُدْلًا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي
عَلَيْكَ، وَ لَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ)

*مبررات الانفتاح على الله بالدعاء

*قصة الاعرابي

*جدلية الـ(أنا) والـ(انت)

*نظرية عدم الاستحقاق

*صبر ايوب (عليه السلام)

١٠٨ شرح دعاء الافتتاح

في هذا المقطع من الدعاء توجد ثلاثة محاور:

١- مبررات المواجهة بالدعاء.

٢- لذة المناجاة.

٣- عدم الاستحقاق.

المحور الأول: ما هي المبررات التي تسمح لنا بالدعاء؟

ما هي المبررات التي تسمح لنا أن نواجه بها الله سبحانه وتعالى بالدعاء، مع كثرة ذنوبنا وخطايانا وحقارة حججنا وضلالة قدرنا.

عندما نتحدث مع الله سبحانه وتعالى وكأننا لسنا أصحاب الذنوب والخطايا، كيف نسمح لأنفسنا أن نتحدث مع الله ونستعرض حاجاتنا أولاً، وثانياً، وثالثاً، وأريد كذا، وكذا وبكل جرأة..

هذا الخطاب الحر المفتوح مع الله تبارك وتعالى ما هي مبرراته؟

هنا نجد أن الإمام عليه السلام يستعرض بشكل سريع، ويعرض أدبي رائع خمسة مبررات تسمح لنا بهذا الانفتاح على الله تعالى، اسمعوا ماذا يقول، يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ).

ثم يبدأ باستعراض مبررات السؤال وهي:

أولاً: عَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي.

نقرأ في ادعية شهر رجب: (يَا مَنْ أَمَرَ بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ، وَضَمَّنَ نَفْسَهُ الْعَفْوَ وَالتَّجَاوُزَ، يَا مَنْ عَفَا وَتَجَاوَزَ، أَعْفُ عَنِّي وَتَجَاوَزْ يَا كَرِيمُ)(١).

ونقرأ في ادعية شهر رمضان: (إلهي، لَوْ ارَدْتُ هَوَانِي لَمْ تَهْدِنِي، وَلَوْ ارَدْتُ فَضِيحَتِي لَمْ تُعَافِنِي)(٢)، اذن فعفوك عني هو الذي يسمح لي ان أتجراً بالحديث معك.

اي انك ستار العيوب، لذلك أتجراً بالحديث معك .

^١ مصباح المتجهد - الشيخ الطوسي - الصفحة ٨١٤

^٢ المناجاة الشعبانية بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩١ - الصفحة

١١٠ شرح دعاء الافتتاح

ثانياً: تجاوزك عن خطيئتي، فطالما أخطأنا في حياتنا مع الله تعالى سواء كان بذنوب، أو بغير ذنب لكنه تعالى تجاوز عن خطايانا ولم يحاسبنا بها.
ثالثاً: صفحك عن ظلمي .

يعني أنا ظالم بيني وبينك، وأنا ظلمت نفسي لكن أنت يا إلهي طول هذا العمر لم تعاقبني وطالما قد صفحت عني .

رابعاً: وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي، فهو تعالى قد ستر غلي سوء أعمالنا في الدنيا ولم يفضحنا بها.

الله ساتر علينا، والدعاء يقول: (الهي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوباً فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَخْوَجُ إِلَى سِتْرِهَا عَلَيَّ مِنْكَ فِي الْآخِرَةِ وَقَدْ أَحْسَنْتِ إِلَيَّ، إِذْ لَمْ تُظْهِرْهَا لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ فَلَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ)(١).

خامساً: وَجَلَمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمي، فلم يسرع لمعاقبتنا، بل أمهلنا طويلاً عسى أن نعود إليه.

حينئذ هذه مجموعة مبررات تدفعنا للسؤال، وتفتح الباب أمامنا.
الأمام عليه السلام بطريقة الدعاء، لكنه يطرح علينا هذه المفاهيم، وهي المبررات التي تسمح لنا بالحديث الجريء مع الله تعالى.
وفي نهاية المطاف يعطينا الإمام عليه السلام النتيجة وهي:
(أَطْمَعَنِي فِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا اسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ...).
كل هذه المبررات جعلتني أطمع في أن أسألك بعد ان فتحت لي نوافذ السؤال.

وبهذا المعنى جاءت فقرات الدعاء الرائع للامام زين العابدين عليه السلام المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي حين يقول:
(حُجَّتِي يَا اللَّهُ فِي جُرْأَتِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ، مَعَ إِتْيَانِي مَا تَكْرَهُ جُودُكَ وَكَرْمُكَ).

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩١ - الصفحة

ويقول قبل ذلك :

(وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِينَ بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ، وَلِلْمَلْهُوفِينَ بِمَرْصَدِ إِغَاثَةٍ، وَأَنَّ فِي
اللَّهْفِ إِلَى جُودِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ عِوَضاً مِنْ مَنَعِ الْبَاخِلِينَ، وَمَنْدُوحَةً
عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأَثِّرِينَ، وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ
عَنْ خَلْقِكَ إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ، وَقَدْ قَصَدْتُ إِلَيْكَ بِطَلِبَتِي،
وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَتِي، وَجَعَلْتُ بِكَ اسْتِغَاثَتِي، وَبَدُعَائِكَ تَوْسُلِي مِنْ غَيْرِ
اسْتِحْقَاقٍ لِاسْتِمَاعِكَ مِنِّي، وَلَا اسْتِجَابٍ لِعَفْوِكَ عَنِّي، بَلْ لِنِقْتِي بِكَرَمِكَ،
وَسُكُونِي إِلَى صِدْقِ وَعْدِكَ، وَلِجَانِي إِلَى الْإِيمَانِ بِتَوْحِيدِكَ، وَيَقِينِي
بِمَعْرِفَتِكَ مِنِّي أَنْ لَا رَبَّ لِي غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ
لَكَ)(١).

قصة الاعرابي:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، مَنْ يحاسب الخلق
يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ: الله.

فقال الأعرابي: بنفسه؟

فقال النبي ﷺ: بنفسه.

فضحك الأعرابي وقال: اللهم لك الحمد.

فقال النبي ﷺ: لِمَ الابتسام يا أعرابي؟

فقال: يا رسول الله، إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح! (٢)

فهذه سجية من سجايا الكرماء، الله تعالى كريم، والكريم متى ما تمكن من
خصمه يعفو عنه.

المحور الثاني: لذة المناجاة

(فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا) .

هنا نلاحظ في هذا المقطع توجد فقرة مهمة وهي ان الله تعالى بعد ان
فتح لنا النافذة أصبحنا ندعوه بكل لذة وأمان واستيناس.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي

^٢ كشف الخفاء - العجلوني - ج ٢ - الصفحة ١١٠

١١٢ شرح دعاء الافتتاح

(فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمَنًا وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا)، اي فانا الان بتمام أنس اللقاء وأنس المناجات، أتقدم نحوك يا الهي وانا جيك (لا خائفاً ولا وجلًا).
قد تقول ما هي فلسفة الأمان؟

لان بعض الادعية تقول: (أَدْعُوكَ يَا رَبَّ رَاهِبًا رَاغِبًا خَائِفًا رَاجِيًا)^(١).
وفي دعاء أبي حمزة الثمالي يقول: (إِذَا رَأَيْتُ مَوْلَايَ ذُنُوبِي فَرَعْتُ، وَإِذَا رَأَيْتُ كَرَمَكَ طَمَعْتُ)^(٢).

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} ^(٣).

ونحن نرى الامام زين العابدين عليه السلام أنه كان اذا قام إلى الصلاة تارة يصفر وجهه، وتارة اخرى يحمر وجهه من خشية الله تعالى^(٤).

اذن كيف نقول الآن في الدعاء: (فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمَنًا وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا)، في حين علينا ان نقول خائفاً، ومرتعشاً، وراهباً.

الامام عليه السلام اعطانا صورة ببضاء بقوله: (فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمَنًا وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا).

كيف نفسر هذا الامر مع وجود مفاهيم ومضامين في القرآن الكريم تدعو للخوف والقلق مثل قوله تعالى: {تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} ^(٥).

جدلية الـ(أنا) والـ(انت):

الجواب: هو ان هناك جدلية بين الانا وانت، فأنت يا الهي فتحت الباب، واللقاء معك هو لقاء مع أكرم الأكرمين، وارحم الراحمين.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة

^٣ سورة المؤمنون الآية ٦٠

^٤ الكافي/ الكليني/ باب الخشوع في الصلاة، ص ٣٠٠. (ورد انه (عليه السلام) كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)

^٥ سورة المائدة الآية ٨٣

شرح دعاء الافتتاح..... ١١٣

إن يجب أن استبشر، ويجب أن أفرح، ويجب أن ابتهج بلذة هذا اللقاء، رغم اني لاستحق هذا التكريم، بل انا المذنب الخاطيء المليء بالخل..

الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء ابي حمزة الثماني يقول:
(مَوْلَايَ بِذِكْرِكَ عَاشَ قَلْبِي، وَبِمُنَاجَاتِكَ بَرَدْتُ أَلَمَ الْخَوْفِ عَنِّي)^(١)،
معنى ذلك ان المناجاة بلذتها يزول معها كل خوف، مع أكرم الأكرمين،
ومع ستار العيوب، ومع غفار الذنوب، كالمريض إذا التقى مع طبيب
خبير، فانه سوف يطمئن، والجائع اذا وصل الى مضيف الكريم سوف
يطمئن، كما قال الامام علي عليه السلام: (مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ)^(٢)، فكيف لانفرح
ونبتهج ونأمن وقد وفدنا على أكرم الأكرمين.

ولهذا يقول الأمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته :
(الْهِيَ مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذِي
أَنَسَ بِقُرْبِكَ فَأَبْتَغَى عَنْكَ حَوْلًا)^(٣).

معناه يا الهي ان الذي يذوق طعم المحبة لا يرغب بغيرك ابدا.
هذا من طرف الـ(انت)، وهو الله تعالى، لكن نأتي إلى الجدلية في
الطرف الثاني وهو (الانا)، حيث هنا يجب ان اكون خائفا، راهبا ، باكيا،
خجلانا، مستحيا.

نعم، هو هكذا، إذا ذكرت ذنوبي (هذا الانا) فزعت، واذا ذكرت كرمك
(هذا الانت) طمعت، ولهذا يقول الإمام عليه السلام هنا في دعاء الافتتاح: (أَطْمَعَنِي
فِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَرَيْتَنِي مِنْ
قُدْرَتِكَ، وَعَرَّفْتَنِي مِنْ إِبَابَتِكَ، فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا)،
لماذا؟

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة

^٢ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١ - الصفحة ٢١١ من خطبة للإمام علي عليه السلام

^٣ مناجاة المحبين الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٤١٣

١١٤ شرح دعاء الافتتاح

لان الحديث مع (الأنث) وهو الله سبحانه وتعالى (فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا، وَ أَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا، لَا خَائِفًا وَلَا وَجَلًا).

ولكن الخوف حينما أتحدث عن الصفحة الثانية وهي (الانا). وفي الرواية:

ورد عن مالك بن أنس قال: حجبت مع الصادق عليه السلام سنة، فلما استوت به راحلته عند الإحرام كان كلما همَّ بالتلبية (لبيك اللهم لبيك) انقطع الصوت في حلقه، وكاد يخر من راحلته، فقلت: قل يا بن رسول الله! ولا بد لك من أن تقول.

فقال عليه السلام: يا بن أبي عامر! كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك! ^(١).

هذه من صفحة (الانا)، حيث يقول: الامام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي يقول:

(وَقَدْ نَزَلْتُ مَنَزِلَةَ الْأَيْسِينَ مِنْ خَيْرِي، فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنِّي إِنْ أَنَا نُقِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَالِي إِلَى قَبْرِي، لَمْ أُمَهِّدْ لِرَفْدَتِي، وَلَمْ أَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِضَجْعَتِي) ^(٢).

ليس من جانبك، وانما أيسين من جانب الانا، نعم، الانسان يجب أن يكون يائسا من نفسه لابد من رحمة ربه .

اذن (فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِنًا، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِسًا، لَا خَائِفًا وَلَا وَجَلًا، مُدِلًّا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ) .
مُدِلًّا عَلَيْكَ:

و(المدلّ) مشتق من الدلال ^(٣) بمعنى أدعوك وانا اتدلّل عليك وأتوقع منك الاستجابة، وافترض ان ذلك هو حقي عليك وكأني أنا صاحب الحق

^١ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٥٣٨

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء أبي حمزة

^٣ الدلال في اللغة هو النعومة والتمايل والاغراء

وانت المدين لي، (مُدِلًّا عَلَيْكَ فِيمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ).

المحور الثالث: نظرية عدم الاستحقاق على الله:

هذا محور ثالث نقف عنده في هذا المقطع من الدعاء، هو نظرية عدم الاستحقاق على الله، نحن العباد مهما كنا صالحين فرضاً، لكن نحن لانستحق على الله العفو والمغفرة والجنة والتوفيق والعافية، أصلاً لانستحق على الله شيئاً، ومعناه انه لا يوجد شيء واجب على الله سبحانه وتعالى تجاهنا.

وفي دعاء ابي حمزة الثمالي يقول: (مَنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لِاسْتِمَاعِكَ مِنِّي، وَلَا اسْتِجَابٍ لِعَفْوِكَ عَنِّي، بَلْ لِيَقْنِي بِكَرَمِكَ)(١).

أيوب يحاكم الله!!

تقول الرواية أن أيوب عليه السلام بعد ان مرَّ عليه اربعون عاماً في المرض وابتعد عنه أهله وولده وألقوه خارج القرية فلا أحد يسلم عليه، مليء بالمرض وربما كانت أمراضاً معدية، والناس أصبحوا يعزفون عنه ويبتعدون منه.

حينئذ بعد اربعين عاماً من القطيعة والمرض والابتلاء وهجران الاهل والاحبة، طلب ايوب التحاور مع الله تعالى بشرط ان يكون أيوب عليه السلام هو الحاكم والقاضي فاذن له الله تعالى بذلك.

فقال له الله: لك ذلك ياأيوب فقل .

تقول الرواية:

(قال أيوب عليه السلام : يا رب، لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتي.

فبعث الله إليه غمامة وأظلمته، فقال: يا أيوب، أدل بحجتك، فقد أقعدتك مقعد الحكم، وها أنا ذا قريب، ولم أزل.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة

فقال: يا رب، إنك لتعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما لك طاعة إلا أخذت بأشدهما على نفسي، ألم أحمدك، ألم أشكرك، ألم أسبحك؟» .
قال: فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيوب، من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون، و تحمده، وتسبحه، وتكبره، والناس عنه غافلون، أتمن على الله بما لله فيه المنّة عليك؟
قال: فأخذ أيوب التراب، فوضعه في فيه، ثم قال: لك العتبي يا رب، أنت فعلت ذلك بي.

فأنزل الله عليه ملكا فركض برجله، فخرج الماء، فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان، وأطراً، وأنبت الله عليه روضة خضراء، ورد عليه أهله، وماله، وولده، وزرعه^(١).

معنى هذه القصة إنا لانستحق على الله سبحانه وتعالى أي شيء من اللطاف الإلهية، وإنما هو فضل ومنّة تعالى.

عتب الله على يوسف ﷺ:

تقول الرواية عن الامام الصادق ﷺ:

(أوحى الله إلى يوسف حين قال لصاحبه: اذكرني عند ربك (الملك) ونسي ذكر الله تعالى، يا يوسف، من أراك الرؤيا التي رأيتها؟

فقال: أنت يا رب.

قال: فمن حبيبك إلى أبيك؟

قال: أنت يا رب.

قال: فمن وجه السيارة إليك؟

فقال: أنت يا رب.

قال: فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعل لك من الجب فرجا؟

قال: أنت يا رب.

^١ البرهان في تفسير القرآن - ج ٤ - السيد هاشم البحراني/ تفسير سورة ص/ ص ٥١

قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟

قال: أنت يا رب.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟

قال: أنت يا رب.

قال: فكيف استعنت بغيري، ولم تستغث بي وتسالني أن أخرجك من السجن، واستعنت وأملت عبداً من عبادي، ليذكرك إلى مخلوق من خلقي، في قبضتي، ولم تفزع إلي؟! البت في السجن بذنبك بضع سنين، بإرسالك عبداً إلى عبد(١).

هذه القصة تعرفنا أن موقع الإنسان هو موقع التقصير والقصور وليس موقع الاستحقاق على الله تبارك وتعالى.

ولكن الدعاء يعلمنا ثقافة أخرى وهي الثقة بتقدير الله تعالى وحسن الظن به فيقول: (وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِّي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ).

قصة ذي النمرة:

عن الامام الصادق عليه السلام قال:

كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له: ذو النمرة، وكان من أقبح الناس، وإنما سمي ذا النمرة من قبحه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني ما فرض الله عز وجل عليّ؟

فقال له رسول الله ﷺ فرض الله عليك سبعة عشر ركعة في اليوم والليلة، وصوم شهر رمضان إذا أدركته، والحج إذا استطعت إليه سبيلاً، والزكاة وفسرها له.

فقال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً ما أزيد ربي على ما فرض علي شيئاً.

فقال له النبي ﷺ: ولم يا ذا النمرة؟

فقال: لما خلقتني قبيحاً.

^١ البرهان في تفسير القرآن - ج ٣ - السيد هاشم البحراني ص ١٧٦

١١٨ شرح دعاء الافتتاح

قال: فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تبلغ ذا النمرة عنه السلام وتقول له: يقول لك ربك تبارك وتعالى: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل عليه السلام يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ: يا ذا النمرة هذا جبرئيل يأمرني أن أبلغك السلام، ويقول لك ربك: أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل؟ فقال ذو النمرة: فإني قد رضيت يا رب، فوعزت لك لأزيدنك حتى ترضى^(١).

ماهي الفكرة هنا؟

الفكرة هي (وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِّي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ)، فنحن لاندري ماهي المصالح الالهية، فيجب ان نرضى بما كتبه الله لنا.

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢ - الصفحة ١٤١

المحاضرة العاشرة:

(فَلَمْ أَرِ مَوْلَى كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَنِيْمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ،
إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُولِي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ إِلَيْكَ،
وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبِلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ،
فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ،
وَالْتَفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ،
فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ).

*الكرم الالهي واللؤم البشري
*الرحمة الالهية وموانعها
*جهل الانسان.

١٢٠ شرح دعاء الافتتاح

وتستمر بنا سفينة دعاء الافتتاح حتى تصل الى قوله ﷺ:
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَصْبَرَكُمْ عَلَىٰ عَبْدٍ لَّنِيْمٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ يَا رَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي
فَأُولِي عَنكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبِعْضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبِلُ مِنْكَ، كَانَ
لِي النَّطَوُّ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ،
وَالْتَفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَأَرْحَمَ عَبْدَكَ الْجَاهِلِ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ
إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ).

في هذا المقطع من الدعاء لدينا مجموعة مفاهيم، حيث ان الادعية مليئة
بالمفاهيم والعرفان الاسلامي .

منها، (التناثنية بين الكريم واللئيم)، (الكرم الالهي ولؤم العبد).
ومنها (موانع الرحمة الالهية بيد الانسان).
ومنها: (رؤية الانسان لنفسه)، (فَارْحَمَ عَبْدَكَ الْجَاهِلِ)، وكيف نفسر
صدور هذه المقولة من الاثمة الاطهار؟

اذن امامنا ثلاثة محاور في هذا المقطع من الدعاء :

المحور الاول : الكرم الالهي، واللؤم البشري

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَصْبَرَكُمْ عَلَىٰ عَبْدٍ لَّنِيْمٍ مِنْكُمْ عَلَىٰ يَا رَبِّ)،
كَيْفَ نَفْسَر هَذِهِ الْمَقَالَةَ ؟

الكرم الالهي واللؤم الانساني، هذا المفهوم يتكرر عدة مرات في القرآن
الكريم، والاحاديث الشريفة ان الانسان امام الله تعالى هو الحقير اللئيم .
القرآن يقول: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعًا} (١)، ويقول: {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٢)، ويقول: {قَتَلَ الْإِنْسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ} (٣).

^١ سورة المعارج الاية ١٩ الى ٢١

^٢ سورة الاحزاب الاية ٧٢

^٣ سورة عبس الاية ١٧

١٢٢ شرح دعاء الافتتاح

والادعية مليئة بهذا المفهوم، فالامام الحسين عليه السلام يقول في دعاء عرفة: (إِلَهِیْ مَنْی مَا یَلِیقُ بِلُؤْمِی وَمِنْكَ مَا یَلِیقُ بِكَرَمِی) (١).
الامام زين العابدين عليه السلام في دعاء ابي حمزة الثمالي يقول: (لَئِنْ طَالَبْتَنِي بِلُؤْمِی لِأَطْلَبَنَّكَ بِكَرَمِی) (٢).
وفي دعاء عرفة يقول الامام الحسين عليه السلام: (إِلَهِیْ اِنْ ظَهَرْتَ اَلْمَحَاسِنُ مِنْی فَبِفَضْلِكَ، وَلَکَ الْمِنَّةُ عَلَیَّ، وَاِنْ ظَهَرْتَ اَلْمَسَاوِی مِنْی فَبِعِذْلِكَ، وَلَکَ الْحُجَّةُ عَلَیَّ) (٣).

هذا الامر كيف نفسره ؟

كيف تفسر اعتراف الامام المعصوم على نفسه باللؤم؟
الجواب: ان القضية هنا هي قضية نسبية، من ناحية يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (٤)، فاکرم الخلائق هو الانسان المؤمن طبعاً، ومن ناحية أخرى يرى {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٥).
والدعاء يقول: (إِلَهِیْ مَنْی مَا یَلِیقُ بِلُؤْمِی وَمِنْكَ مَا یَلِیقُ بِكَرَمِی) (٦).
اذن القضية نسبية، اکرم المخلوقات هو الانسان بالنسبة الى سائر المخلوقات، لكنه حقير لئيم، صغير جاهل، بالنسبة الى الله تعالى، الانسان لئيم وفي غاية الحقارة بالنسبة الى جبار السموات والارض.
منشأ اللؤم الانساني :
اللؤم الانساني الذي يشير اليه في الدعاء (مَنْی مَا یَلِیقُ بِلُؤْمِی) (٧)، ناشئ من امرين هما:

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء يوم عرفة.

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي دعاء ابي حمزة

^٣ من دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة/راجع مفاتيح الجنان للشيخ القمي

^٤ سورة الاسراء الاية ٧٠

^٥ سورة الاحزاب الاية ٧٢

^٦ من دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة/راجع مفاتيح الجنان للشيخ القمي

^٧ من دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة/راجع مفاتيح الجنان للشيخ القمي

شرح دعاء الافتتاح..... ١٢٣

الامر الاول : الفقر {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ} (١).

فالانسان هو الفقر المطلق، {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (٢).

الامر الثاني: الجهل، {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} (٣).
الانسان جاهل، ومع ذلك فقد تحمّل الامانة الالهية فكان بذلك ظلوماً،
والدعاء يقول: (إلهي أَنَا الْجَاهِلُ فِي عِلْمِي فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي؟) (٤).

يعني يا إلهي حينما اكون عالماً، فانا في منتهى الجهل، فكيف حين اكون جاهلاً؟

(إلهي أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي؟) (٥).
اذن هنالك عاملان للوم الانسان، العامل الاول هو فقر الانسان،
والعامل الثاني هو جهل الانسان.

هذه هي الرؤية الدينية الرائعة للانسان تجاه الله تعالى.
ولهذا قالت الملائكة عندما خلق الله ادم وقال لهم: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (٦).

قالوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (٧).
قال: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٨).

^١ سورة فاطر الاية ١٥

^٢ سورة الاعراف الاية ١٨٨

^٣ سورة الاحزاب الاية ٧٢

^٤ من دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة/راجع مفاتيح الجنان للشيخ القمي

^٥ من دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة/راجع مفاتيح الجنان للشيخ القمي

^٦ سورة البقرة الاية ٣٠

^٧ سورة البقرة الاية ٣٠

^٨ سورة البقرة الاية ٣٠

اذن فالانسان مليئ بالجهالة والفقر، وهنا تأتي التربية الاسلامية من خلال الدعاء لاستشعار حالة التقصير دائما {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (١)، ابدا لا يحق لنا ان نستشعر بالرفعة والعزة امام الله . وهناك بيت شعر جميل يقول:

انا جاهل انا مذنب انا جافي هو راحم هو غافر هو كافي
قابلتهن ثلاثة بثلاثة وستغلبن اوصافه اوصافي
ثلاث صفات عند الله وثلاثة عند العبد، هذه هي تربية الدعاء ان نستشعر دائما التقصير والذنب، (سَيِّدِي اَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتَهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَنْتَهُ، وَالْجَائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ، وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرَوَيْتَهُ، وَالْعَارِي الَّذِي كَسَوْتَهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتَهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتَهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ، وَالْمُذْنِبُ الَّذِي سَتَرْتَهُ، وَالْخَاطِئُ الَّذِي أَقْلَنْتَهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي كَثَّرْتَهُ، وَالْمُسْتَضْعَفُ الَّذِي نَصَرْتَهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي أَوَيْتَهُ) (٢)، هذا هو التعامل الصحيح مع الله تعالى تعالى كما يعلمنا الامام زين العابدين (عليه السلام).

وهنا يقول دعاء الافتتاح: (إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأَوْلِيْ عَنكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبِعْضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَانَ لِي التَّطَوُّلُ عَلَيْكَ).
الله الكريم يبدي لك المحبة وانت تبدي له البغض حتى كأنك انت المتفضل على الله تعالى، هذا هو صورة اللؤم البشري!! .

الامام السجاد (عليه السلام) في دعاء ابي حمزة يقول:
(خَيْرُكَ إِلَيْنَا نَازِلٌ، وَشُرُنَا إِلَيْكَ صَاعِدٌ، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالْ مَلَكُ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ عَنَّا بِعَمَلٍ قَبِيحٍ، فَلَا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَحُوطَنَا بِنِعَمِكَ، وَتَنْفَضِّلَ

^١ سورة الانبياء الاية ٨٧

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي

شرح دعاء الافتتاح..... ١٢٥

عَلَيْنَا بِإِلَافِكَ، فَسُبْحَانَكَ مَا أَحْلَمَكَ وَأَعْظَمَكَ وَأَكْرَمَكَ مُبْدِئاً وَمُعِيداً، تَقَدَّسَتْ
أَسْمَاؤُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَكُرِّمَ صَنَائِعُكَ وَفِعَالُكَ^(١).

اي انك (تتودد الينا بالنعم ونحن نقابلك بالذنوب)، كما جاء في دعاء
الافتتاح .

الرحمة الالهية وموانعها:

(فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالتَّقْصُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ
وَكُرْمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ).

علماء المعرفة الاسلامية(العرفاء)، يقولون الرحمان في الدنيا،
والرحيم في الآخرة .

كما قالوا أيضاً في تفسير (الرحمن الرحيم): الرحمن في أصل خلق
الانسان ووجوده حيث انبسطت رحمانيته تعالى فأوجد العباد، ثم يأتي
التكامل ويأتي النمو ويأتي العطاء المستمر حيث انبسطت الرحمة الالهية
في كمال الوجود، وذلك هو (الرحيم)، فاصبح الله الرحمن في أصل الخلق
والايجاد، ثم الرحيم في تواتر النعم حتى نتكامل، فالرحمن في أصل
الايجاد، والرحيم في تكامل الوجود.

نعم هذه الرحمة الالهية الواسعة، {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} (٢).

ولكن هنالك موانع للرحمة ، ماهي تلك الموانع من الرحمة؟

هنالك مانع واحد من الرحمة وهو الشرك والكفر بالله تعالى ، هذا هو
المانع من رحمة الله.

القرآن يقول على لسان يعقوب عليه السلام : {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ} (٣).

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي

^٢ سورة الاعراف الآية ١٥٦

^٣ سورة يوسف الآية ٨٧

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١).

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (٢).

هذه هي موانع الرحمة الالهية، أما المعاصي الاخرى فانها لاتمنع من شمول المذنبين العصاة بالرحمة كما قال الدعاء: (فَلَمْ يَمْنَعَكَ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بِي، وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ).
فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ:

ان وصف العبد بالجاهل هذا هو أمر طبيعي، ولكن الانبياء ﷺ كيف يصدر منهم هذا الوصف، وكذا من الامام المعصوم ﷺ فيقول: (فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ)؟

رسول الله ﷺ الذي {كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ} (٣)، وعنده علم الاولين والاخرين فكيف يوصف (بالعبد الجاهل).

الامام علي ﷺ يقول: (لقد علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب) (٤).

وقال الامام علي ﷺ من على المنبر: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فما من آية إلا وأعلم حيث نزلت، بحضيض جبل أو سهل أرض، وسلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمت كونها) (٥).
وكان يقول: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فأني أعرف بها من طرق الأرض) (٦).

^١ سورة العنكبوت الآية ٢٣

^٢ سورة النساء الآية ٤٨

^٣ سورة النجم الآية ٩

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٦ - الصفحة ٢٩

^٥ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٠ - الصفحة ١٩٠

^٦ كتاب مسند الإمام علي ﷺ ج - ٧ للشهيد السيد حسن القبانجي - ص ٤٠٥

شرح دعاء الافتتاح..... ١٢٧

اذن كيف نفسر الاعتراف بالجهل في الدعاء الصادر من المعصوم عليه السلام،
مع وجود علم عظيم لدى الرسول عليه السلام والائمة عليهم السلام ؟

قصة مع الامام الجواد عليه السلام:

في الرواية:

أن والي مكة والمدينة (فرج الرغجي)، الذي كان من المعارضين لآل البيت عليهم السلام قال مرة للامام الجواد عليه السلام: (إن شيعتك تدّعي أنك تعلم كل ماء دجلة ووزنه).

وكانا في ذلك الوقت واقفين على شاطئ دجلة.

فقال عليه السلام: أيقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟

يقول الراوي: فقال فرج: نعم يقدر.

فقال عليه السلام: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه^(١).

اذن هذا ليس غلوّاً في علم الائمة عليهم السلام، هذه من تعليم الله تعالى كما يقول: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} ^(٢).

وإذا كان هكذا علم الائمة عليهم السلام، فكيف يقول الامام عليه السلام: (ارحم عبدك

الجاهل) ؟

الجواب:

هنالك الجهل النسبي، فنحن بالنسبة الى اسرار الانسان، وبالنسبة الى اسرار الكون، وبالنسبة الى اسرار الذات الالهية نحن جهلة. هذه ثلاثة محاور لجهل الانسان.

اسرار الذات الانسانية:

ونحن نجهل أسرار الذات الانسانية.

هنالك كتاب تحت عنوان (الانسان ذلك المجهول)^(١)، وهو كتاب رائع يستعرض عجائب الانسان وانه مازال العلم قاصراً عن اكتشاف أسرار الانسان، فالانسان مازال مجهولاً رغم تطور العلم الحديث.

^١ مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني - ج ١ - الصفحة ٤٢

^٢ سورة الكهف الآية ٦٥

اسرار الكون :

ونحن نجهل أسرار الكون، أيضا لم يصل العلم الى أسرار الكون، فكلما يفتح الانسان على حقيقة علمية، يكتشف أنه أكثر جهلاً بأسرار الكون والطبيعة.

اسرار الذات الالهية:

ونحن نجهل أسرار الذات الالهية، رغم ان الله هو نور السموات والارض، وهو ظاهر أقصى ما يكون الظهور، ولكنه خفي أيضا أقصى ما يكون الخفاء، وفي دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام في ليلة القدر يقول: (ياباطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه، ياباطناً ليس يخفى، يظاهراً ليس يرى)^(٢).

هذا الفهم الديني، ان الله تعالى بمقدار ظهوره فهناك غموض وبطون، ولهذا نحن قد نسال عن الله، ولكن يكره البحث عن ذات الله، فهي خفية على كل البشر {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً}^(٣).

وفي مناجاة العارفين للإمام زين العابدين عليه السلام يقول فيها: (وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ، وَانْحَسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبُحاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ)^(٤).

نعم، هكذا يجب أن نربي أنفسنا على الازدعان باننا مليئون بالجهل امام الله تعالى، لذا فان الغرور العلمي يسقط امام عظمة الله تعالى، وان

^١ ألكسي كاريل مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) الذي يشتمل على كثير من تجاربه عن الإنسان والحياة من وجهة النظر العلمية البحتة، وقال في مقدمة كتابه هذه «لست فيلسوفاً، ولكنني رجل علم فقط، قضيت الشطر الأكبر من حياتي في المعمل أدرس الكائنات الحية، والشطر الباقي في العالم الفسيح أراقب بني الإنسان، وأحاول أن أفهمهم، ومع ذلك فأبني لا أدعي أنني أعالج أمورا خارج نطاق حقل الملاحظة العلمية» (المحقق)

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٥ - الصفحة ١٦٧

^٣ سورة طه الآية ١١٠

^٤ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٤١٧

الجبروت والكبرياء والعظمة عند الخلق يجب أن تسقط امام عظمة الله تعالى، ولانغتر بعلمونا وقدراتنا كما سقط إبليس.

وسقط قارون^(١)، {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ^(٢)}.
 يجب ان نشعر اننا امام الله تعالى لانملك شيئاً من المعرفة، فلا نعرف الحياة ماهي؟ ولا نعرف ماذا سيكون بعد الموت؟ سوى ماتعلمناه من خلال الوحي الالهي عن طريق الانبياء ﷺ.

فالامام ﷺ عندما يقول: (فارحم عبدك الجاهل)، لم يكن ذلك مجاملة مع الله تعالى ، وعندما يقول الامام علي ﷺ: (الهي قلبي محبوب)، لم يكن ذاك مجامله مع الله تعالى، بل انه شعور جدي حقيقي، وهو خطاب تربوي لنا، وهكذا هو المطلوب منا جميعاً ان نتربى على هذه التربية، والحديث المروي عن رسول الله ﷺ يقول فيه: (إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة)^(٣).

والامام علي ﷺ يقول: (ما من أحد من ولد آدم إلا وناصيته بيد ملك، فإن تكبر جذبته بناصره إلى الأرض وقال له: تواضع وضعك الله! وإن تواضع جذبته بناصره ثم قال له: ارفع رأسك رفعك الله، ولا وضعك بتواضعك الله)^(٤).

والامام علي ﷺ يقول: (ما من أحد من ولد آدم إلا وناصيته بيد ملك، فإن تكبر جذبته بناصره إلى الأرض وقال له: تواضع وضعك الله! وإن تواضع جذبته بناصره ثم قال له: ارفع رأسك رفعك الله، ولا وضعك بتواضعك الله)^(٤).

^١ هو من أبناء عم موسى وهارون، ثار هو وجماعة من رؤساء بني إسرائيل في مئتين وخمسين شخصاً، وحاولوا مقابلة موسى وهارون؛ لينزعوا زعامة إسرائيل عنهما.

وكان قارون ثرياً جداً ويعتز بثرائه ويفخر على سائر بني إسرائيل، وكان أولو البصائر من قومه ينصحونه ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من الخيلاء والزهو، وكاد أن يتغلب على موسى وقومه، لولا أن خسف الله به وباداره الأرض، وبكل ما كان يملكه من كنوز (المحقق).

^٢ سورة القصص الآية ٧٦

^٣ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٥٥٩

^٤ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٥٥٩

١٣٠..... شرح دعاء الافتتاح

هنالك حقيقة محيطة بهذا الكون لانفهما، ولانعرف ذاتها، ولكن لدينا شعور ان هذه الحقيقة مسيطرة على الوجود كله، {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} (١).

المحاضرة الحادي عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ،
مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْأَصْبَاحِ)

*المحور الاول: الملك الالهي

خصائص الملك الالهي

*المحور الثاني: التدبير الالهي

تفسير القوانين الطبيعية

عيسى يمشي على الماء

أبيات في حق النبي ﷺ

١٣٢ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ١٣٣

(الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ)
مرة أخرى هذا الدعاء مازال في ساحة الحمد، حيث ان دعاء الافتتاح كما
اسلفنا يتألف من ثلاثة فصول :

الفصل الاول: الحمد.

الفصل الثاني الصلاة على النبي واله.

الفصل الثالث: الدعاء والمسألة.

وفي هذا المقطع اشارة الى محورين:

المحور الاول: الملك الالهي.

المحور الثاني: التدبير الالهي.

الملك الالهي:

(مَالِكِ الْمُلْكِ)، ذكرنا فيما سبق ان هناك ملكاً اعتبارياً، وملكاً مجازياً،
فملكنا لأي شيء هو ملك مجازي، لكن هناك مالك حقيقي وهو الله تعالى،
(الحمد لله مالك الملك).

كلمة (الملك) لها اكثر من معنى في اللغة العربية، ولسنا بصدد البحث
فيها.

ولكن المُلْك قد يأتي بمعنى السلطنة، والولاية، والهيمنة، والله تعالى له
كل تلك الصلاحيات، وكل شيء بيده.

تقول الرواية:

(بعد فناء هذا الوجود ينادي الجبار (جلّ جلاله) بصوت جهوري
يسمع أقطار السماوات والأرضين: " لمن الملك اليوم "؟

فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبار جلّ جلاله مجيباً لنفسه: (الله
الواحد القهار) وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا
وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشييتي،
وأنا أحبيهم بقدرتي)(^١).

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦ - الصفحة ٣٢٥

فالملك والسيطرة والولاية لله الواحد القهار فقط.
وقد تأتي كلمة (المُلْك) بمعنى اخر في اللغة، وهو نفس المملوكات والمخلوقات.

القران يقول: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١)،
بمعنى بيده كل هذه المملوكات (٢).

وعلى كل حال يقول الدعاء: (الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ)، الملكية الحقيقية لله تعالى وحده، فما هو فرق الملكية الحقيقية عن الملكية الاعتبارية؟ ماهي خصوصية ملك الله تبارك وتعالى؟

خصائص الملك الالهي:

هنالك اربع خصوصيات للملك الالهي المطلق:

١- التصرف المطلق بالمملوك، فنحن عندما نملك شيئاً لانستطيع ان نتصرف به تصرفاً مطلقاً فليس لنا القابلية على ان نحي ونميت ولانقدم ولانؤخر، ولكن الله تعالى له التصرف المطلق بالشيء، {يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٣).

٢- الملكية المطلقة بلا حدود، فهي ملكية تستوعب كل الموجودات ولاحد لها {بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} (٤)، و {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (٥)، أما ما عدا الله تعالى فانه مهما إتسع ملكه فان ملكيته محدودة.

٣- المالكية الالهية لايمكن الفرار منها، نعم نحن أحرار لكن لايستطيع احدٌ منا ان يخرج عن إرادة الله تعالى، وهل يستطيع ان يخرج العبد الأبق عن مولاه، لايستطيع اي احد من المخلوقات ان يخرج عن دائرة ملك الله

^١ سورة الملك الآية ١

^٢ انظر تفسير الميزان/ ج ١٩/ تفسير سورة الملك

^٣ سورة الحديد الآية ٢

^٤ سورة يس الآية ٨٣

^٥ سورة الحج الآية ٦٤

شرح دعاء الافتتاح..... ١٣٥

تبارك وتعالى، كما قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} (١).

٤- كل الملكيات خاضعة للملكية الحققة ولا تستطيع ان تتصرف بدونها .
فانا عندما أتنفس أو أتصرف اي تصرف، فان النظرية الدينية تقول ان هذا التصرف انما هو امتداد لتلك الملكية الحقيقية.

مثال ذلك: لو كتبت بيدك، فان الكاتب الحقيقي هو أنت وانما اليد هي أداة الكتابة وليست هي الكاتبة بالحقيقة، ولذا انت تقول: كتبت بيدي، فالفاعل هو أنت واليد هي مجرد أداة، هكذا كل المخلوقات أمام الله تعالى، فأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وانما المخلوقات تستمد قدرتها من ذلك الفاعل الحقيقي.

وهكذا كل قوة في الكون وكل ملك انما هو من الملك الحقيقي لله، فكل هذه الملكيات والمملوكات خاضعة لله.

فانا عندما اقول (بحول الله وقوته اقوم واقعد) ينسب لي القيام والعود مجازاً، وهكذا كل ملكية مجازية اعتبارية ترجع الى الله تعالى.

سؤال: كيف اصبح ملك الله ملكا حقيقيا؟

الجواب: هنا امران:

الامر الاول: الله تبارك وتعالى هو الموجد، وهو الخالق، ونحن لسنا موجدين او خالقين، وانما نقوم بعمليات تركيب، والخلق هو خلق الله تعالى، فهو يملكنا لانه خالقنا وصانعنا {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (٢).

الامر الثاني: ننزل الى مرتبة اعلى، وهي ان الله ليس هو الخالق فقط، بل النظرية العميقة الدينية تقول انه لا يوجد مخلوق وله وجود منفصل مستقل عن الله تعالى، إنما كل الوجود هو انعكاس وتجلّ لله تعالى، فهو

^١ سورة الرحمن الاية ٣٣

^٢ سورة الرعد الاية ١٦

١٣٦ شرح دعاء الافتتاح

الاول والآخر والظاهر والباطن، وكل المخلوقات انما هي ظهور لله تعالى.

والقرآن الكريم يصرح بذلك ويقول: {فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} (١).

وفي هذا يقول العرفاء:

(وهو تعالى- كل الوجود، وكل البهاء والكمال، وكله البهاء والكمال، وماسواه على الاطلاق لمعات نوره ورشحات وجوده وظلال ذاته) (٢).

التدبير الالهي

عندما يقول الدعاء: (مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ)، فكيف نفسّر ذلك مع أن هذه الامور كلها تخضع لقوانين طبيعية، فالرياح تعتمد على قوانين في الطبيعة من اجل مسيرها، وسير البواخر (الفلّك) أيضاً يخضع لحركة الرياح سابقاً أو الطاقة في عصرنا هذا.

والصبح والنور (فالِقِ الْإِصْبَاحِ) يرتبطان بدوران الارض حول نفسها وحول الشمس، لكننا نجد أن الدعاء ينسب كل هذه الامور لله تعالى، فكيف نفسّر ذلك؟

اذن لدينا وقفة عن (التدبير الالهي) للكون كيف يفسّرها القرآن الكريم؟ يقول القرآن الكريم عن مسير السفن (الفلّك): {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلُلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ} (٣)، اي لو أراد الله تعالى ان يوقف حركة السفن ويجعلها على سطح الماء رواكد لفعل ذلك، وهذا معناه ان القانون الطبيعي للرياح وحركة السفن إنما هو بيد الله تعالى، {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} (٤)، {أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ} (٥).

^١ سورة البقرة الآية ١١٥

^٢ شرح دعاء السحر / الامام الخميني/ ص ٢٠/ نقلاً عن المحقق الداماد في كتابه (التقديسات)

^٣ سورة الشورى الآية ٣٣

^٤ سورة الاعراف الآية ٥٧

^٥ سورة القصص الآية ٧١

شرح دعاء الافتتاح..... ١٣٧

اذن الله تبارك وتعالى هو الذي يرسل الرياح، وهو المحرك للرياح، وهو الذي ينشأ الليل والنهار، وهو الذي يسيطر على حركة الارض. فكيف اذن نفسر القوانين الطبيعية وفعلها؟ وهل الاسلام يؤمن بالقوانين الطبيعية، أو يرفضها؟

الجواب: نعم، الاسلام يؤمن بقوانين الطبيعة، والحديث يقول عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها، فجعل لكل شئ سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما)(١). لذلك لا يحق لاحد ان يقول ان الاسلام لا يؤمن بالقوانين الطبيعية، نعم يؤمن بها، ومايقوله العلم يقبله الاسلام أيضاً. ولكن هذه القوانين الطبيعية لها تفسيران:

تفسير القوانين الطبيعية:

التفسير الاول هو التفسير الالاحادي:

وهو ان كل هذه القوانين عبارة عن حركة ذاتية ليس وراءها خالق حكيم ، ولا مدبر عليم.

التفسير الثاني هو التفسير الايماني:

وهو ان كل هذه القوانين خاضعة لتدبير عاقل، مثل حركة البدن الاختيارية فهي ليست حركة ذاتية، وانما حركة خاضعة لعقل مدبر، ووعي، وارادة مبنوثة في كامل اعضائه تسيطر عليها وتسيرها روح الانسان.

وكل هذا الكون بما فيه يتحرك بوعي، وارادة، وقوة عليا، مسيطرة ومهيمنة عليه توجهه حسب الوجهة الصحيحة، وكل هذه القوانين التي قننها الله تبارك وتعالى، هي بمثابة الطاقة والروح تسري في هذا الوجود، وهذه القوانين هي عبارة عن تصميم المشيئة الالهية.

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٨٣

والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (١)، وقوله: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (٢).

الرؤية الدينية للقوانين الطبيعية:

تقول الرؤية الدينية لهذا الكون :

- ١- أن كل القوانين هي عبارة عن تدبير الهي وليست شيئاً اخر، وكل قدرة فيها هي قدرته تعالى، كما قرأنا في الآيات السابقة.
 - ٢- كل هذه القوانين خاضعة للأذن والارادة الالهية ولاحتمية لها. قال تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} (٣).
 - ٣- قدرة الله تعالى على التصرف في هذه القوانين وتغييرها وتجاوزها كما يحدث في معجز الانبياء، هنالك قدرة قادرة على التصرف بهذه القوانين والانقلاب عليها وخرقها وتجاوزها.
 - ٤- هنالك شفرة خاصة، اذا عرفها الانسان فانه يمتلك شيئاً من تلك القدرة، وهي حروف الاسم الاعظم.
- وقد نال الانبياء هذه المرتبة العليا بحصولهم على رمز من رموز تلك الشفرة وكانت بمثابة المعجزة التي رافقت نبوتهم أمام الناس.
- مثلا النبي عيسى عليه السلام قال: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (٤).

^١ سورة الروم الآية ٢٥

^٢ سورة الحج الآية ٦٥

^٣ الاعراف الآية ٥٨

^٤ سورة ال عمران الآية ٤٩

شرح دعاء الافتتاح..... ١٣٩

ونبي الله سليمان ﷺ {سَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ
أَصَابَ} (١)، {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ
الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} (٢)، وبهذا يكون النبي
عيسى والنبي سليمان ﷺ قد خرقا القوانين الطبيعية لعثورهما على رمز من
رموز تلك الشفرة.

وعن الإمام الصادق ﷺ أنه قال:

(إن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنما كان عند آصف (٣) حرف
واحد، فتكلم فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس،
حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين،
وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم
الغيب (٤)).

والله تعالى وصف آصف بأنه: (عنده علم من الكتاب)، فقال سبحانه:
{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} (٥).

هذه القدرة على التصرف بالقوانين الطبيعية، سببها هو العثور على
الرمز والمفتاح، والذي يقول عنه دعاء السمات: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ
الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَخَالِقِ أَبْوَابِ
السَّمَاءِ لِفَتْحِ الرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ
لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ

^١ سورة ص الآية ٣٦

^٢ سورة سبا الآية ١٢

^٣ آصف بن برخيا هو أحد علماء بني إسرائيل ومن المقربين من النبي سليمان ﷺ وكان يملك العلم الكبير
ويعلم باسم الله الأعظم ويرى عدد من العلماء أنه من أحضر عرش ملكة سبأ إلى سليمان بن داود بطرفة عين.
ذكر البعض بأنه كاتبه وذكر آخرون أنه وزيره وأنه ابن أخته. (المحقق)

^٤ البرهان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

^٥ سورة النمل الآية ٤٠

١٤٠ شرح دعاء الافتتاح

عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبُأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ^(١).

عيسى عليه السلام والمشي على الماء:

تذكر بعض الروايات إن عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرايعه السبح في
البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير
اللزوم لعيسى بن مريم عليه السلام فلما انتهى عيسى عليه السلام إلى البحر قال: بسم الله،
بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء.

فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام وقد جاز على الماء :
بسم الله، بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام.

فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا
أمشي على الماء، فما فضله علي؟

تقول الرواية: فبمجرد أن فُكّر بهذا التفكير غطس في الماء فاستغاث
بعيسى عليه السلام، فتناوله عيسى عليه السلام من الماء وأخرجه ثم قال له: ما قلت يا
قصير؟

قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي فدخلني من ذلك
عجبٌ.

فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك
الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتنب إلى الله عز وجل مما قلت.

قال: فتاب الرجل وعاد إلى المرتبة التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا
يحسدن بعضهم بعضاً^(٢).

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٧ - الصفحة ٩٧

^٢ الكافي ج ٢ ص ٣٠٦

شرح دعاء الافتتاح..... ١٤١

وفي رواية أخرى ان عيسى عليه السلام قال له: (أصابك العجب وابتعدت عن الاتباع)(١).

وهكذا نحن ايضا بحاجة الى ثقافة إتباع حجج الله على الارض، ونوابهم الفقهاء العدول، في كل مناهجنا وأعمالنا.

معجزة النبي الاكرم ﷺ:

هنالك ابيات من الشعر وجدت في المسجد النبوي مكتوبة على الحجرة الشريفة بخط قديم ربما يعود الى مئات السنين يقول فيها:

يا من يقوم مقام الحمد منفرداً * للواحد الفرد لم يولد ولم يلد
يا من تفجرت الأنهار نابعة * من إصبعيه فروى الجيش بالمدد
ربُّ الجمال تعالى الله خالقه * فمثله في جميع الخلق لم أجد (٢)

هذه الابيات تحكي قصة يرويها المؤرخون وهي ان المسلمين في احدى الغزوات(٣) عطشوا ولم يوجد لديهم الا قدح من الماء وهم يناهزون الالف فطلب رسول الله قدح الماء واخذه ووضع يده على القدح فتفجر الماء عيوناً، فروى الجيش كلهم.

ومعنى ذلك ان كل القوانين الطبيعية خاضعة لارادة قوة أكبر منها، وهذه القوة قد يمنحها الله تعالى لبعض الناس كالانبياء والاولياء عليه السلام.

^١ انظر كتاب ٣٠٠ قصة تربوية لمؤلفه الدكتورة حسناء القبانجي ص ٢١٩ / رقم القصة ٢٠٨ / نقل عن

الكافي الجزء الثاني/ص ٣٠٦ / ح ٣

^٢ يقال انها من نظم السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان عام ١١٩١ هـ أو من أحد شعراء زمانه في حق الرسول ﷺ ونقشت على المقصورة المنيقة المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة وقد استخرجت من كتاب تركي قديم هو "مرآة الحرمين" لأيوب صيري باشا(المحقق)

^٣ سبل الهدى والرشاد - الصالحى الشامى - ج ٩ - الصفحة ٤٤٩ / (٤٥٦/١) الخصائص الكبرى/ المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (قال أبو قتادة: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسير في الجيش إذ لحقهم عطش كاد يقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشا فدعا بركوة فيها ماء فوضع أصابعه عليها، فنبع الماء من بين أصابعه، فاستقى الناس، وفاض الماء حتى رويوا خيلهم وركابهم، وكان من العسكر اثنا عشر ألف بعير، والناس ثلاثون ألفاً، والخيل اثنا عشر ألف فرس)(المحقق) .

١٤٢ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الثانية عشر:

(دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ)

- *التشريع الالهي
- *خصائص الشريعة الالهية
- *التربية الالهية
- *علم الامام

١٤٤ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ١٤٥

(الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ،
دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ)، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ أَنْاتِهِ فِي غَضَبِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ
عَلَى مَا يُرِيدُ).

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن:

١- الملك الالهي.

٢- التدبير الالهي، في قوله (مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ،
فَالِقِ الْإِصْبَاحِ).

ثم ينتقل بنا الدعاء الى مفهومين آخرين هما:

٣- (التشريع الالهي).

٤- (التربية الالهية) بقوله (دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ)، حيث ان الله
تبارك وتعالى هو مالك الملك، وبيده تدبير هذا الكون..
والى جانب ذلك فان الله تعالى هو (دَيَّانِ الدِّينِ)، وهو (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فهو
المشرّع للدين ، وهو المربي للعالمين.
دَيَّانِ الدِّينِ:

وهذه الفقرة نراها تتردد في كثير من فصول الادعية.

وقد فسرها بعض العلماء قياساً على {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (١) في سورة الحمد،
بمعنى ان الله تبارك وتعالى هو المحاسب يوم القيامة، ف(دَيَّانِ الدِّينِ) معناه
المحاسب يوم الدين وهو يوم القيامة .

لكن هذا التفسير بعيد عن ظاهر هذا النص، فهذا النص يتحدث عن
كمالات ومعطيات الهية في هذا العالم وقبل ان نصل لعالم الآخرة، فهو
(مَالِكِ الْمُلْكِ)، وهو (مُجْرِي الْفُلْكِ).

^١ سورة الفاتحة الآية ٤

ثم ينتقل لخطوة اخرى قبل ان يصل ليوم القيامة يقول (دَيَّانِ الدِّينِ)، والتفسير العربي الواضح والجميل والذي ينسجم مع نص الدعاء هو ان يكون (دَيَّانِ الدِّينِ) بمعنى انه تعالى هو مشرّع الدين.

(دَيَّانِ) في اللغة بمعنى المالك، والحاكم، والقاضي، حينما يقول (دَيَّانِ الدِّينِ) فهو يعني ان الله تعالى مالك الدين وهو الحاكم المشرّع له، وهذا ينسجم جداً مع التفسير اللغوي لكلمة (دَيَّانِ)، التي تعني القاضي والحاكم والمحاسب، فالله تعالى اذن هو الحاكم والمشرّع للدين.

فالدين هو شريعة الله تعالى، والمشرع هو الله تعالى، فاصبح (دَيَّانِ الدِّينِ) يعني (مشرّع الشريعة)، وهذا هو المشار اليه في قوله تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ} (١).

اذن لاحظوا كيف يتسلسل الدعاء في التعاطي مع الذات الالهية، (مَالِكِ الْمُلْكِ) الذي بيده الملك، (مُجْرِي الْفُلْكِ) الذي بيده التدبير، (دَيَّانِ الدِّينِ) الذي بيده التشريع، وبعد ذلك (رَبِّ الْعَالَمِينَ) بما يعني تربية العالمين، كما سنشرح ذلك..

لنفتح نافذه هنا مع (التشريع الالهي)، (دَيَّانِ الدِّينِ)، (مشرع الشريعة)، (مقنن القانون)، (مدبر الدين)، والسؤال ماهي خصائص الشريعة الالهية؟
خصائص الشريعة الالهية:

الشريعة الالهية فيها مجموعة خصائص :

اولاً/ عالمية لكل الناس، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} (٢).

ثانياً/ خاتمية ونبيها هو خاتم النبيين، كما قال تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (٣)

^١ سورة الشورى الاية ١٥

^٢ سورة سبأ الاية ٢٨

^٣ سورة الاحزاب الاية ٤٠

ثالثاً/ الهيّة فهي من عند الله تعالى، ولهذا قال تعالى: {اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (١)، وقال رسول الله كما حكى عنه القرآن الكريم: {إِنْ أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} (٢)، وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ} (٣)، اذن هي شريعة الهيّة وليست وضعية.

رابعاً/ واقعية تنماشى مع واقعيات الفرد والمجتمع الانساني، كما قال تعالى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} (٤).

خامساً/ العقلانية واحترامها للعقل وقواعد التفكير، كما قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (٥).

هذه اذن خمس خصائص للشريعة الاسلامية (٦).

لماذا الشريعة الالهية؟ (٧)

ألا يستطيع الانسان أن يستغني عن شريعة الله تعالى؟
لقد تعلم البشر فنون الصناعة والزراعة ومناهج العلاقات الاجتماعية، وأنظمة الاقتصاد والسياسة.

والسؤال الان: ماهي الحاجة الى تشريع من الله تعالى في الشأن الاجتماعي والاقتصادي والاخلاقي والسياسي؟
الجواب: ان ذلك فضلٌ ومنّة من الله تبارك وتعالى .

فقد أراد الله تعالى مساعدة الانسان، لان الانسان قادر على ان يسير في الصناعة والزراعة والطب وغيرها، لكنه عاجز في التشريع المرتبط بالذات البشرية وعلاقاتها، واهوائها، ونزعاتها، حيث انها كانت وماتزال

^١ سورة الاحزاب الاية ٢

^٢ سورة الاحقاف الاية ٩

^٣ سورة الشورى الاية ١٣

^٤ سورة الاعراف الاية ١٥٧

^٥ سورة ال عمران الاية ١٩٠

^٦ استعرضنا هذا الموضوع في كتابنا (دفاع عن الشريعة/ الفصل الاول)

^٧ استعرضنا هذا الموضوع في كتابنا (دفاع عن الشريعة/ الفصل الاول)

مجهولة للإنسان، فهو غير قادر على ان يصل الى المعالجات الصحيحة لمشاكل الفرد والمجتمع.

الله وحده وهو الا علم بكم من انفسكم {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ} (١)، هو القادر على ان يعطينا خارطة طريق في معالجات واقعنا الفردي والاجتماعي. لذا جاءت اليد الالهية، والمنة الالهية في ارسال الرسل وتشريع الشرائع.

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (٢)، اذن فبعثة الرسل هي منة الهية.

قال الامام علي (عليه السلام): (الصلاة قربان كل تقى) (٣)، وقال رسول الله ﷺ: (الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ) (٤)، وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (٥).

كل هذا ترشيد، وانارة الهية واضاءات في طريق البشر، ونحن بدون هذه الاضاءات نواجه طريقاً مظلماً، وبهذا كانت مهمة الانبياء ﷺ هي هداية البشر {وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا} (٦) واخراجهم من الظلمات الى النور كما قال تعالى مخاطباً نبيه موسى ﷺ: {أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (٧).

اذن انت يا الهي المتفضل علينا بعد (ملك الكون)، ثم (تدبير الكون)، تفضلت يا الهي علينا ان قدّمت لنا منهج عمل وخارطة طريق وهي شريعة

^١ سورة النجم الآية ٣٢

^٢ سورة ال عمران الآية ١٦٤

^٣ نهج البلاغة - خطب الإمام علي (عليه السلام) - ج ٤ - الصفحة ٣٤

^٤ من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٧٤ .

^٥ سورة الاسراء الآية ٣٢

^٦ سورة الانبياء الآية ٧٣

^٧ سورة ابراهيم الآية ٥

شرح دعاء الافتتاح.....١٤٩

الاسلام ، هذه منّة وفضل فالحمد لله (دَيَّانِ الدِّينِ) حيث لم يتركنا في الظلمات .

رَبِّ الْعَالَمِينَ:

التربية الالهية:

ثم ننتقل لفقرة اخرى في العطاء الالهي للانسان وروعة هذا الدعاء حيث يقول في تعداد المحامد الالهية (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

حيث المقصود به (التربية الالهية للانسان)، فانه تعالى هو مربّي العالمين، وهذا هو معنى (الرب)، فهو إذن مالکهم، ومدبّر امورهم، ومشرّع لهم دينهم، ثم هو فوق ذلك وبعده المربّي لعباده نحو الكمال.

هذه التفاتة جميلة فانه هو المدرب والمربّي، فالمدرّب دائما يريد لفريقه ان يصل الى الفوز، كالطبيب الذي يطمح ان يشفى مريضه.

فانه تعالى هو المربّي لنا (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وهو الذي يريد هدايا وسعادتنا. (والمؤمنين) هنا جمع مذكّر سالم، ولم يقل (رب العوالم)، فالعوالم هي مثلا عالم الانس، عالم الجن، عالم المجرات، عالم النباتات، هذه هي العوالم، فهي تشمل الكائنات العاقلة وغير العاقلة.

بينما يقول الله تعالى في القران الكريم {رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١)، أي رب العقلاء، انس، وجن، وملائكة، لذلك يقول القران: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٢) وليس للعوالم، وهكذا نقول دائما (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وقوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} (٣).... وهكذا يفسر المفسرون العالمين فقط بالعوالم العاقلة من الجن، والانس، والملائكة.

^١ سورة الفاتحة الآية ٢

^٢ سورة الانبياء الآية ١٠٧

^٣ سورة ال عمران الآية ٤٢

١٥٠ شرح دعاء الافتتاح

وهكذا اصبح الله تعالى هو المربي والمدرّب للانسان، وربما يغفل كثير منّا عن هذا المعنى، ان الرب معناه المدرّب والمربي، ولكن هذا هو معناه اللغوي.

ومن الملاحظ في القرآن والادعية أن اكثر كلمة يتوسل بها الانسان الى الله تعالى هي كلمة (ربي).

هكذا نجد القرآن الكريم والانبياء والائمة ﷺ كلهم يركزون على كلمة

(ربي) في ادعيتهم.

فها هو زكريا ﷺ {إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} (١).

وهذا ايوب ﷺ {إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (٢).

وموسى ﷺ {قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (٣).

ونحن في الصلاة ايضا نقول في الركوع (سبحان ربي العظيم)، وفي السجود (سبحان ربي الاعلى).

والمؤمنون ايضا يتحدث عنهم القرآن في دعائهم بقوله: {رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} (٤).

وقوله: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (٥).

فكلمة (الرب) هو الاسم الالهي الاقرب للتوسل الى الله تعالى .

وهكذا في دعاء كميل، ودعاء ابي حمزة وغيرها نقول: (يارب

يارب) الى أن ينقطع النفس.

^١ سورة الانبياء الاية ٨٩

^٢ سورة الانبياء الاية ٨٣

^٣ سورة القصص الاية ٤٢

^٤ سورة ال عمران الاية ١٩٣

^٥ سورة البقرة الاية ٢٨٦

شرح دعاء الافتتاح..... ١٥١

والله تبارك وتعالى يأمر نبيه ﷺ بان يقول: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} (١).
والقرآن الكريم يقول: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} (٢)، ويقول: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (٣).

لذا نرى ان هذا المقطع من دعاء الافتتاح كيف تدرج بنا من (الملك الالهي) (مالك الملك)، الى (التدبير الالهي) (مُجْرِي الْفُلُكِ)، الى (التشريع الالهي) (دَيَّانِ الدِّينِ)، ثم الى التربية الالهية (رَبِّ الْعَالَمِينَ).
الله مع الانسان:

الرواية تقول ان داود عليه السلام قال: الهي اين اجدك؟
فقال تعالى : انا عند القبور المندرسة والقلوب المنكسرة (٤).
والحديث المعروف عن النبي ﷺ أنه تعالى قال: «أنا عند القلوب المنكسرة والقبور المندرسة» (٥).

فيجب ان يكون قلبك مكسوراً، لـ {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} (٦).
وفي دعاء ابي حمزة الثمالي يقول الامام السجاد عليه السلام: (ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي، وَعِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتِي، وَفِي الْقَبْرِ وَحْدَتِي، وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي) (٧).

فالانسان يجب ان يكون مكسور القلب، وشاعراً باللاشيئية، امام خالق هذا الكون ، وايضا يستذكر القبور، ولذا يستحب زيارة القبور، وهنا نستذكر وقوف الامام علي عليه السلام على القبور قائلاً:

١ سورة المؤمنون الآية ٩٧

٢ سورة الناس الآية ١

٣ سورة الفلق الآية ١

٤ عده الداعي/ لابن فهد الحلبي : ١٨٩.

٥ البحار: ٧٣ / ١٥٧ و ٣ / ٧٢ و ١ / ٧٠ و ٣ / ١٥٧ و ٧٣ / ١٥٧.

٦ سورة القصص الآية ٧٦

٧ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة

١٥٢ شرح دعاء الافتتاح

(يا أهل التربة، ويا أهل الغربة، أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

ثم أقبل على أصحابه فقال: والله لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى^(١).

ويروي حبة العرني فيقول:

(خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر-ظهر الكوفة- فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، فقامت بقيامه حتى أعيت، ثم جلست حتى مللت، ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قامت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك؟

قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقة حلقة محتبين يتحادثون.

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقى بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن^(٢).

ومثل ذلك يروي الأصبغ بن نباتة يقول:

(أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومر حتى أتى الغريين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب.

فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين ألا أبسط ثوبي تحتك.

قال: لا، هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه.

قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين تربة مؤمن فقد عرفناها كانت أو

تكون فما مزاحمته في مجلسه؟

^١ أمالي الطوسي: ٥٩٤ / ١٢٣١

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦ - الصفحة ٢٦٨

شرح دعاء الافتتاح..... ١٥٣

فقال: يا بن نباتة لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر- ظهر الكوفة- حلقا يتزاورون ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن^(١).

اسلوب التربية الالهية للانسان:

بعد ان عرفنا ان الله هو (المربي للعالمين)، ياتي قوله ﷺ في الدعاء: (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ أَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ).
نشاهد هنا ان اسلوب التربية الالهية، هو اسلوب اللطف والحنان، وليس اسلوب القوة والحديد.

(طَوْلِ أَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ)، الاناة هي مسك الاعصاب، والهدوء في التعامل، والتأني مع الاحداث، وليس التسرع بالحكم والعقوبة.
وهنا سيكون لنا في هذا المقطع من الدعاء خمس اشارات، (مَالِكِ الْمُلْكِ)، (مُجْرِي الْفُلْكِ)، (دَيَّانِ الدِّينِ)، (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وأخيراً الرحيم الحليم في اسلوب تربيته وتعامله مع الانسان (حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ)، و(عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ)، و(طَوْلِ أَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ)، لذلك ياالهي نحن نحمدك على كل هذه الصفات.

علم الامام ﷺ بأوصافه تعالى:

هناك سؤال من اين علم الامام ﷺ هذه الصفات والتي لم ترد بهذا الشكل في القرآن الكريم؟
الجواب: ان هذه الصفات هي ذاتية لله تعالى، وليست مكتسبة، فان ذات الوجود الكامل ذي الجلال والاكرام يستبطن ذاتياً الحلم والعفو وطول الاناة.

ان الائمة ﷺ حيث عرفوا الله تعالى حق معرفته، اذن عرفوا الصفات الملتصقة به، فآلَحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى (حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ)، ليس بالضرورة ان تنزل

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٧ - الصفحة ٣٠٧

آية قرآنية توضح هذه الصفة، لكن الائمة عليهم السلام حينما عرفوا ذات الله بما هو مقدور للبشر وفي حدود {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} (١) استطاعوا بذلك ان يستخرجوا هذه الصفات ويعلموها لنا .
مرتبة (قرب النوافل):

هنالك رواية يرويها الكليني في اصول الكافي عن مرتبة كمالية يسميها العرفاء مرتبة (قرب النوافل)، وهي مرتبة الرقي الى الله تعالى من خلال أداء النوافل، وحين يصل الانسان الى هذه المرتبة تقنى منه صفاته الذاتية ويقوم الله تبارك وتعالى مقامه.
تقول الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال:

قال الله تعالى:

(ما يتقرب إليَّ عبد من عبادي بشئ أحبُّ إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته) (٢).

اي ان هذا التقرب بصلاة النوافل هو لقاء مع الله، واتصال مع الله، ومحبة مع الله، وذوبان في الله، ولذا يقول تعالى: (فإذا احببته كنت بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش به) (٣).

يقول العلامة الطباطبائي تعليقا على هذا الحديث:

(وهو من الاحاديث الدائرة بين الفريقين).

ثم يقول: (ان محبة الله سبحانه لعبده هي رحمة على رحمة، ويورث نوراً يمشي به في الناس {وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} (٤)، أي يعاشرهم

^١ سورة طه الاية ١١٠

^٢ الكافي: ٢ / ٣٥٢ / ٧ و ح ٨

^٣ الكافي: ٢ / ٣٥٢ / ٧ و ح ٨

^٤ سورة الحديد الاية ٢٨

ويعيش فيهم وقد كان يعاشر ويعيش بقوى نفسه واسبابها من سمع وبصر ويد ولسان فتبدل الى نور من ربه^(١).

نعم هكذا كان علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقلع باب خيبر، فكانت يده هي يد الله التي يبطش بها، ولا يمكن لنا أن نمتلك أي تفسير آخر لقلع باب خيبر التي يعجز عن فتحها أربعون رجلاً كما نظم ذلك ابن ابي الحديد المعتزلي^(٢) بقوله :

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكفُ أربعون وأربعُ

يقول الامام الخميني (قدس سره):

لو كنا كما يريد الله تعالى لأعطانا الله تعالى العصا كما أعطاهاموسى عليه السلام.

قال قدس سره وهو يخاطب علماء الدين في محضر درسه في النجف الاشرف^(٣): (ومن حسن الحظ أن الشعوب الاسلامية معكم والجماهير تتبعكم وتتقني آثاركم، وتقنني بكم، وسيستند ساعدكم وكل مايفقدنا هو عصا موسى عليه السلام، وسيف علي بن ابي طالب عليه السلام، أو عزيمة الجبارة، وإذا عزمنا على إقامة حكم اسلامي سنحصل على عصا موسى عليه السلام وسيف علي بن ابي طالب عليه السلام أيضاً)^(٤).

ومن العجب أن يكون الامام الخميني (قدس سره) قال هذا الكلام قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران بأكثر من عشر سنوات يوم كان مهاجراً غريباً في النجف الاشرف.

^١ رسالة الولاية/ الطباطبائي/ ص ٧١

^٢ عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، والمعروف بابن أبي الحديد، من كبار شراح نهج البلاغة، سني معتزلي. شاعر، أديب، فقيه شافعي. يذهب إلى تفضيل الإمام علي عليه السلام على الخلفاء الثلاثة، الأمر الذي أثار حنق خصومة عليه فوصفوه بالباغي الفاسق والهاك في الجحيم ما لم يتب عن مقولته ويتراجع عنها. وله القصيدة العينية المشهورة التي أنشدها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد خط بعض أبياتها على أطراف ضريح الإمام عليه السلام بماء الذهب، كما له شعر في واقعة الطف أيضاً. (المحقق)

^٣ يذكر انه في يوم ١٩٦٥/١٠/٥ انتقل الامام الخميني الراحل من تركيا الي منفاه الثاني بالعراق، ليقوم في مدينة النجف الاشرف. ومن منفاه في النجف واصل الامام القاء بحوثه لمرحلة البحث الخارج وعرضه للأسس النظرية لمبدأ الحكومة الإسلامية التي حملت عنوان ولاية الفقيه (المحقق)

^٤ الحكومة الإسلامية/ الامام الخميني/ ص ١٦٥

١٥٦ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الثالثة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ،
فَالِقِ الْأَصْبَاحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى،
وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى)

*كيفية العلاقة مع الله تعالى.

*سؤال: من خلق الله؟

*الرؤية الدينية.

*التعاطي العاطفي مع الله تعالى.

*القرب والبعد الالهي.

١٥٨ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ١٥٩

(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ ذِي الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشْهَدَ النَّجْوَى
تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

في هذا المقطع لدينا خمسة محاور هي:

اولا: خَالِقِ الْخَلْقِ.

ثانيا: بَاسِطِ الرِّزْقِ.

ثالثا: فَالِقِ الْإِصْبَاحِ.

رابعا: ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ.

خامسا: الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشْهَدَ النَّجْوَى.

هذا المقطع من الدعاء يفتح لنا صفحة اخرى من الرؤية للكون،
وخالق الكون، وكيفية التعاطي والتعامل مع الله تعالى، وتعامل الله تعالى
مع خلقه .

كيفية العلاقة مع الله:

هنا البحث يدور حول كيفية تعامل الله تبارك معنا نحن الخلائق ،
(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ) فهو خالقنا، والعلاقة التي يجب ان تحكم بيننا
وبين الله تعالى، هي علاقة المخلوق بالخالق، وهذه العلاقة تستحق الحنان
والعطف من ناحية الخالق والعبودية والتذلل من ناحية المخلوق.
(مَوْلَايَ مَوْلَايَ، أَنْتَ الْخَالِقُ، وَأَنَا الْمَخْلُوقُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إِلَّا
الْخَالِقُ)(١).

لاحظوا ان الادعية تحاول ان تسلط الضوء، وتحاول ان تنير في
مكامن انفسنا هذه العلاقة الودية مع الله تبارك وتعالى، فالعلاقة ليست فقط
علاقة نظرية فلسفية، بل هي علاقة ود ومحبة (أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ
وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ)(٢) هنالك علاقة ودية .

^١ مفاتيح الجنان / للشيخ القمى/ مناجاة امير المؤمنين ﷺ في مسجد الكوفة

^٢ مفاتيح الجنان / للشيخ القمى/ مناجاة امير المؤمنين ﷺ في مسجد الكوفة

الامام علي عليه السلام يجسد هذه العلاقة بمنظومته حيث يقول: (١)
لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى * تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِي وَخَلَاقي وَحِرْزِي وَمَوْلِي * إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلَهِي لَئِنْ لَمْ تَرْعَنِ كُنْتُ ضَائِعاً * وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
لاحظوا كيف يركز الامام علي عليه السلام على العلاقة الودية بين الله تعالى
والعبد.

نحن بحاجة في سلوكنا الى هذا الترابط الجميل بين الانسان وبين الله
تعالى، فيما عدا البعد الاعتقادي في ربوبية الله المشار اليه في قوله
(مُسَخَّرِ الرِّيحِ)، و(فَالِقِ الْإِصْبَاحِ).

نعم، انها معاني عظيمة، ولكننا نحاول ان ننزل من العقل الفلسفي، الى
العمق الوجداني، كما في (الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ).

سؤال: من خلق الله؟

النظرية الاسلامية سوف تقضي على سؤال من خلق الله؟

^١ مفاتيح الجنان / منظومة الامام علي عليه السلام:

تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
فَعَفْوُكَ عَن ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَوِيَّةَ تَسْمَعُ
فُؤَادِي فَلَئِنْ فِي سَبَبِ جُودِكَ مَطْمَعُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو مِنْكَ مَا أَشْفَعُ
أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَتَوًى وَمَضْجَعُ
فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَنْقَطَعُ
بُنُورٌ وَلَا مَالٌ هُنَا لَكَ يَنْفَعُ
وَإِنْ كُنْتُ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمْنَعُ
يُنَاجِي وَيَدْعُو الْمَغْفَلَ يَهْجَعُ
وَمُنْتَبِهٍ فِي لَيْلِهِ يَنْضَرِّعُ
فَهَا أَنَا إِثْرُ الْعَفْوِ أَفْقُوَانِي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى
إِلَهِي وَخَلَاقي وَحِرْزِي وَمَوْلِي
إِلَهِي لَئِنْ جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزَعْ
إِلَهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
إِلَهِي أَجْزَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
إِلَهِي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
إِلَهِي أَدْفِنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
إِلَهِي لَئِنْ لَمْ تَرْعَنِ كُنْتُ ضَائِعاً
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنِّ غَيْرَ مُحْسِنٍ
إِلَهِي حَلِيفُ الْحُبِّ فِي اللَّيْلِ سَاهِرٍ
إِلَهِي وَهَذَا الْخَلْقُ مَا بَيْنَ نَائِمٍ
إِلَهِي لَئِنْ فَرَطْتُ فِي طَلَبِ التَّقَى

شرح دعاء الافتتاح..... ١٦١

أحد الفلاسفة الماديين وهو الفيلسوف البريطاني الوجودي (براتر اندرسل)^(١) يقول: ان قضية واحدة هي التي توقفتني عن الايمان بالله تعالى، وهي قضية من خلق الله؟^(٢)

الرؤية الدينية : (٣)

الدين يجيب على هذا السؤال بشكل واضح فيقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ)^(٤).

والرؤية الدينية تقول: ان وراء هذا الوجود بكل اشكاله والوانه، حقيقة كبرى هي التي تديره وتسيّره، ولكن هذه الحقيقة ليست مفصولة عنه، ولاخارجة منه، ولاهو غيرها، ولاهي غيره، بل الوجود كله مظهر من مظاهرها وآية من آياتها، ووجه من وجوهها(فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)^(٥)، فليس هناك الا الله تعالى، وهذه الموجودات الماثلة أمامنا هي مظهر من مظاهره، (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٦). فالله هو الحقيقة الوجودية الازلية الابدية، التي لم تمض عليها لحظة عدم، وانما هي الوجود الحقيقي القائم منذ الازل، ولاحتاج الى من يخلقها، إنما الذي يحتاج الى من يخلقه، هي المخلوقات الموجودات التي لم تكن ثم كانت.

أما الحقيقة المهيمنة على الكون فهي الحقيقة، والحقيقة ليست عدماً أُعطي الوجود، وانما هي الوجود.

وهنا يناسب أن نستذكر هذه الرواية:

(سأل نافع بن الأزرق الامام الباقر عليه السلام فقال: أخبرني عن الله متى كان؟)

^١ فيلسوف وعالم منطق ورياضي ومؤرخ وناقد اجتماعي بريطاني(المحقق)

^٢ نقلا عن اصول الفلسفة والنهج الواقعي/ السيد محمد حسين الطباطبائي/ ج ٢/ ص ٥٧٢/ تعليقات الشيخ

المطهرى

^٣ للمزيد مراجعة كتاب دفاع عن العقيدة لمؤلفه سماحة السيد صدر الدين القبانجي (المحقق)

^٤ مقطع من دعاء الافتتاح

^٥ سورة البقرة الآية ١١٥

^٦ سورة الحديد الآية ٣

١٦٢ شرح دعاء الافتتاح

فقال: متى لم يكن حتى أخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا^(١).

وبشرح علمي نقول:

فرضيتان في تفسير الكون:

نحن امام فرضيتين في تفسير وجود هذا الكون:

الفرضية الاولى :

فرضية ان يكون هذا الكون بلا خالق كما يقول الملحدون، وحينئذ يأتي نفس سؤال الفيلسوف البريطاني الوجودي (براتراندرسل) كيف وجد هذا الكون بدون خالق؟

لان العقل والعلم لا يقبل ان يكون هذا الكون الرائع العظيم المنظم بدون خالق، فيما يؤكد العلم اليوم أن هذا الكون المائل أمامنا له تاريخ نشوء، فهو ليس قديماً منذ الازل، فيتأكد السؤال كيف وجد هذا الكون من العدم؟ والالحاد غير قادر على الاجابة على هذا السؤال.

الفرضية الثانية :

ان هذا الكون قد خلقه خالق، وذلك الخالق هو الحقيقة الابدية، والوجود المطلق، الذي لم تسبق عليه لحظة عدم، فلا يحتاج الى من يخلقه، وبالتالي فان الاستفهام الذي يذكره الفيلسوف البريطاني الوجودي (براتراندرسل) ناشيء من خطأ مفهومي، فهو يسأل عن خالق ما لا خالق له، الخالق الذي لم يُخلَق وهو الحقيقة الازلية الابدية والذات التي نراها مهيمنة على كل هذا الوجود، كان حيث لم يكن شيء اخر، فهو الوجود، والوجود لا يحتاج الى خالق، والحقيقة لا تحتاج الى محقق، الله هو الحقيقة الازلية المحيطة بهذا الكون، فيصبح السؤال عن خلق الله سؤالاً بلا معنى، كأنك تقول من خلق الذي لم يُخلَق؟ وهذا سؤال متناقض في ذاته.

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٨٨

التعاطي العاطفي مع الله تعالى:

الدين يقول: ان هذه العظمة التي يراها الجميع في هذا الكون هي عبارة عن ذات عظيمة يسميها الدين (الله) وهي ذات تجمع كل صفات الكمال والجلال، فليست هي مجرد عظمة وعلو، بل هي ذات عظيمة عالية {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (١).

ثم ان هذا الدعاء، يحاول ان ينقلنا الى صفحة التعاطي العاطفي مع الله تبارك وتعالى، باعتباره هو الخالق، كما في قوله :

{الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (٢).

وقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (٣).

وقوله تعالى: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} (٤).

ياليها الانسان انت تتعامل مع خالقك، ومعه يجب أن يكون التعاطي في غاية التذلل من ناحية، والامل والرجاء من ناحية ثانية.

مناجاة الامام زين العابدين (عليه السلام):

ولهذا ينقل المؤرخون رواية عن الأصمعي (٥):

قال الأصمعي: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول:

^١ سورة الحشر الآية ٢٤

^٢ سورة الرحمن الآية من ١ الى ٤

^٣ سورة الشمس الآية ٧، ٨

^٤ سورة الاعلى الآية ٢١

^٥ عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي (١٢١ هـ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٣١ م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. وللمستشرق الألماني وليم اهلورد كتاب سماه (الأصمعيات) جمع فيه بعض القصائد التي تفرد الأصمعي بروايتها. (المحقق)

١٦٤ شرح دعاء الافتتاح

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السَّقم

.....

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت يا حي يا قيوم لم تنم

.....

أدعوك يارب دعاءاً قد أمرت به * فارحم بكائي بحق البيت والحرم

.....

إن كان عفوك لا يرجوه ذو تسرفٍ * فمن يجود على العاصين بالكرم
ثم بكى بكاء شديداً وأنشد يقول:

ألا أيها المقصود في كل حاجتي * شكوت إليك الضر فارحم شكايتي

.....

ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

.....

أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي

.....

أتحرقني بالنار يا غاية المنى * فأين رجائي ثم أين مخافتي
يقول الأصمعي: ثم سقط على الأرض مغشياً عليه، فدنوت منه فإذا هو
زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فرفعت رأسه
ووضعتة في حجري وبكيت، فقطرت دمعة من دموعي على خده، ففتح
عينيه وقال: من هذا الذي يهجم علينا؟

قلت: عبيدك الأصمعي، سيدي ما هذا البكاء والجزع؟ وأنت من أهل
بيت النبوة ومعدن الرسالة، أليس الله تعالى يقول: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} (١).

فقال: هيهات يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً
حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً).

^١ سورة الاحزاب الآية ٣٣

أليس الله تعالى يقول: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (١) (٢).

هذه هي العلاقة التي يريد ان يركز عليها الدعاء، (الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ).

باسِطِ الرِّزْقِ:

نتنقل الى الفقرة الاخرى، وهي (باسِطِ الرِّزْقِ)، وهذا كله ترجمة لقصة الترابط العاطفي بين الانسان والله تعالى.

والرزق رزقان، رزق عام، حيث ان الله سخر ينابيع الوجود كلها للانسان، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَاعْنَبًا وَغُلْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} (٣).

وقوله تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} (٤)، هذا هو الرزق العام.

والاخر هو الرزق الخاص، وهو الحصة الممنوحة لي ولك من تلك الينابيع العامة.

الثقافة الدينية تقول: كلا الرزقين من عند الله تبارك وتعالى، وانت لاتستطيع ان تاخذ اكثر مما قسم الله لك، والقسمة إنما هي في السماء، {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (٥)، فلا تاكل اكثر مما كتب لك.

هذه هي النظرية الاسلامية في الرزق، بينما النظرية المادية لاتقبل ذلك.

^١ سورة المؤمنون الآية ١٠١ الى ١٠٣

^٢ شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٢ - الصفحة ٤٠

^٣ سورة عبس من الآية ٢٥ الى الآية ٣٢

^٤ سورة الملك الآية ١٥

^٥ سورة الذاريات الآية ٢٢

وفي الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ : (من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه.
ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له)(١).
فَالِقِ الْإِصْبَاحِ :

ننتقل الى الفقرة الثالثة (فَالِقِ الْإِصْبَاحِ).

الحديث هنا أيضاً باتجاه توطيد العلاقة بين الانسان وبين الله تبارك وتعالى، حتى تصبح علاقة محبة، وعلاقة مخلوق بخالقه، وعلاقة تلميذ باستاذة، وعلاقة عبد بمولاه، وعلاقة حبيب بحبيبه.

هذه العلاقة هي التي يرسمها دعاء الجوشن الكبير بالقول: (يَا حَبِيبَ مَنْ لَأَحَبِّبَ لَهُ، يَا طَبِيبَ مَنْ لَأَطِيبَ لَهُ، يَا مُجِيبَ مَنْ لَأُجِيبَ لَهُ، يَا شَفِيقَ مَنْ لَأَشْفِيقَ لَهُ، يَا رَفِيقَ مَنْ لَأَرْفِيقَ لَهُ، يَا مُغِيثَ مَنْ لَأُغِيثَ لَهُ، يَا دَلِيلَ مَنْ لَأَدْلِيلَ لَهُ، يَا أَنِيسَ مَنْ لَأَأْنِيسَ لَهُ، يَا رَاحِمَ مَنْ لَأَرْاحِمَ لَهُ)(٢).

غاية الجمال في العلاقة التي تسطرها لنا ادعية شهر رمضان، مثل دعاء ابي حمزة الثمالي، ودعاء الجوشن الكبير، ودعاء الافتتاح، فيا للروعة من ائمتنا في ترتيب وتسطير هذه الادعية الشريفة.

فعندما نقول في الدعاء (فَالِقِ الْإِصْبَاحِ)، فالله تعالى هو الذي فلق الاصباح لك ايها الانسان حتى تعمل وتنشط، بينما جعل الليل لك مستقرا ومناما، كما في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}(٣).

^١ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٣٥

^٢ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ دعاء الجوشن الكبير

^٣ سورة النبا الآية ١١، ١٠

فالتقدير الكوني أن الله تعالى سخر كل مافي السموات والارض
للانسان، وهذا التقدير كله لصالح الانسان {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (١).
اذن هذا هو العامل الثالث قي توطيد علاقة المحبة بين الانسان وبين
الله تبارك وتعالى (خالق الخلق، باسط الرزق، فالق الاصباح).
ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ:

ونصل الان الى الفقرة الرابعة وهي: (ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ).
(ذو الجلال)، يعني ذو العظمة والنزاهة، وذو (الاکرام) يعني التعالى على
السلبيات، الله تبارك وتعالى في علو مكانه، هو ذو الجلال والاکرام.
ولكن انت ايها الانسان الصغير، الذي صنعت من طين، وقد تصبح
ملكا، ولكن اعرف ان الله وحده (ذو الجلال والاکرام)، وهو (ذو الفضل
والانعام عليك)، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (٢)، {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (٣)، {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (٤) الله
تبارك هو ذو (الفضل والنعام) عليك.
جاء في الدعاء: (اللهم بِنُورِكَ اهْتَدِينَا، وَ بِفَضْلِكَ اسْتَعْنِينَا، وَ بِنِعْمَتِكَ
أَصْبَحْنَا وَ أَمْسَيْنَا) (٥).

فيا ايها الانسان ان النعم التي لاتراها بعينك هي اكثر من التي تراها
بعينك، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا} (٦).
اذن الله تبارك وتعالى هو ذو الجلال والاکرام من ناحية، لكنه هو ذو
الفضل والانعام علينا من ناحية أخرى .

^١ سورة الجاثية الاية ١٣

^٢ سورة الرحمن الاية ٣ و ٤

^٣ سورة الشمس الاية ٧ و ٨

^٤ سورة لقمان الاية ٢٠

^٥ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي

^٦ سورة ابراهيم الاية ٣٤

القرب والبعد الالهي:

(الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

الله تعالى بعيد لا يرى، وقريب يسمع نجواك واحاسيسك الداخلية، وهذا المعنى يتكرر في القرآن الكريم، والادعية، {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} (١)، وهو {أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (٢)، و{يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} (٣).

نقرأ في الدعاء المروي عن صاحب الزمان عليه السلام: (يَا مَنْ سَمَا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ نَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ وَدَنَا فِي اللَّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ الْأَفْكَارِ) (٤). ان جميع افكارك واحاسيسك ومشاعرك يعلمها الله تعالى.

والامام علي عليه السلام يقول في دعاء الصباح :
(يَا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ، وَبَعُدَ عَنْ لَحَظَاتِ الْعُيُونِ، وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ).

فانت تستطيع بالتأمل والخضوع والخشوع ان تصل الى الله تبارك وتعالى لانه قريب منك، كما جاء في الدعاء: (وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ، إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ دُونَكَ) (٥)، ومن هنا يقول الامام الحسين وهو يناجي ربه في دعاء عرفة: (كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ) (٦).

سؤال: هل هنا تناقض بين القرب والبعد، والظهور والبطون؟
فكيف نفسر قوله (بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَ قَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى) ؟
الجواب: لاتتناقض.

^١ سورة الحديد الاية ٣

^٢ سورة ق الاية ١٦

^٣ سورة الاعلى الاية ٧

^٤ مفاتيح الجنان / الشيخ القمي/من ادعية شهر رجب يستحب ان يدعوه في كل يوم من شهر رجب

^٥ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابو حمزة الثمالي -الامام السجاد عليه السلام

^٦ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام

شرح دعاء الافتتاح.....١٦٩

مثال ذلك: انت عندما تتعامل وتتنظر اليّ فانك تراني وتطالع روحي وشخصيتي أكثر مما تطالع بدني، وانا اطالع شخصيتك اكثر مما اطالع بدنك.

هذا التعامل مع الشخصية المخفية وراء معالم البدن قد ينسبك اوصافه من الطول واللون، لأنك دخلت الى عمق شخصيته.

فتلك (الشخصية) هي الظاهر لك رغم عمق بطونها وخفائها، وهي الباطنة عندك رغم وضوحها وظهورها.

هكذا نحن حين نتعامل مع الآخرين انما نتعامل مع شخصية واضحة أمامنا، فنقول هذا عصبي، وهذا ذكي، وذلك كريم، وذلك بخيل، وسائر الاوصاف.

هذا الظهور في الشخصية، انما هو تجلي لتلك الاعماق المخفية وراء عالم البدن، وذلك الباطن المحجوب عنا بمظاهر الجسد، هكذا هو الله تعالى، فهو الحقيقة المنشرة في كل هذا الوجود وفي اعماقه وباطنه، (يا باطناً في ظُهوره، ويا ظاهراً في بُطونه)(١) وهي ظاهرة لنا بمقدار ماهي باطنة.

فنحن جميعا نرى بكل وضوح العقل والروح والحياة والقدرة المسيطرة على هذا الكون والمتصرفة فيه رغم اننا لانراها باعيننا. هذا هو الفهم الديني.

اذن ليس هاهنا تناقض، وانما هو نظر من زاويتين، ظاهر وباطن، ظاهر لقلبك وباطن لعينك .

هل رأيت ربك؟

جاء حبرٌ إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟

^١ الإقبال بالأعمال الحسنة - السيد بن طاووس الجزء : ١ صفحة : ٣٨٢ (دعاء الامام الحسن بن علي عليه السلام في ليلة القدر) وفي البحار مذكور رواه: علي بن الحسين عليه السلام (المحقق)

١٧٠ شرح دعاء الافتتاح

قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد ربا لم أره،

قال: وكيف رأيته؟

قال: لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان^(١).

الله هو الحقيقية المنبسطة في كل هذا الوجود، {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}^(٢)، وهو بعيد عنا، لكن ليس بُعْدًا مكانيًا، لأن الله لا يتمكن في مكان، الله هو الحقيقة المبنوثة في كل الوجود، وإنما بعد عن ادواتنا المادية، وقرب في داخلنا واعماقنا، وفي سرائرنا، فشهد نجوانا وسمع مناجاتنا.

جاء في الدعاء:

(أُنَاجِيكَ يَا مَوْجُوداً فِي كُلِّ مَكَانٍ لَعَلَّكَ تَسْمَعُ نِدَائِي)^(٣).

رؤية الله:

وأنا أدعو الطلاب الافاضل لمراجعة ماكتبه العلامة الطباطبائي في هذا الشأن في كتابه (رسالة الولاية)، فقد قَدِّمَ تحليلاً وقراءة رائعة مستنداً فيها الى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة. وهو يؤكد أن رؤية الله تعالى قائمة بالفعل للناس، وستكون بأجل منها يوم القيامة لكن الناس في غفلة عنها. يقول (قدس سره):

(المثبتون للرؤية والشهود إنّما يثبتون شيئاً آخر، وهو شهود الموجود الامكاني على فقره وعدم استقلال ذاته المحض، بتمام وجوده الإمكاني، لا بالبصر الحسي، أو الذهن الفكري، وجود مبدعها الغني المحض).

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٩٨

^٢ سورة النور الآية ٣٥

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء الحزين : وهو دعاء شريف يدعى به بعد صلاة الليل، ينسب للامام زين العابدين (عليه السلام) (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ١٧١

ثم يستشهد (قدس سره) على هذه الرؤية الشهودية بمجموعة من الآيات والروايات، منها:

ما فى التوحيد (للشيخ الصدوق) مسندا عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام:
(قال: قلت له: أخبرنى عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيمة؟
قال: «نعم، و قد رأوه قبل يوم القيمة» .
فقلت: متى؟

قال: «حين قال لهم: أ لست برّبكم؟ قالوا: بلى» .
ثم قال: «و إنّ المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيمة، أ لست تراه فى وقتك هذا؟»
ثم قال: ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين^(١).

^١ رسالة الولاية/ العلامة الطباطبائي/ ص ٢٥ وما بعدها.

شرح دعاء الافتتاح	١٧٢
-------------------------	-----

المحاضرة الرابعة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ،
وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ،
قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْأَعْظَمَاءُ،
فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ).

*معطيات الوجدانية

*معنى خلق الله آدم على صورته.

*شرف المؤمن وعزه.

*القدرة على الممتنع.

*إمتداد العزة والعظمة.

١٧٤ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ١٧٥

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءَ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ).

معطيات الوجدانية:

لقد تحدث الدعاء فيما سبق عن معطيات (الربوبية) حينما قال:

(دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ أَنْاتِهِ فِي غَضَبِهِ).

وتحدث الدعاء عن معطيات (الخالقية) حينما قال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْخَلْقِ، بَاسِطِ الرِّزْقِ، فَالِقِ الْأَصْبَاحِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ، الَّذِي بَعْدَ فَلَا يُرَى، وَقَرَّبَ فَشْهَدَ النَّجْوَى).

والان في هذا المقطع يتحدث الدعاء عن معطيات (الوجدانية) حينما

يقول:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ، وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ، وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ).

اولا/ لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ:

اي يقابله بالقوة، لان ليس شيء الا الله، فلا يوجد في كل الوجود الا الله، الله المنبسط باختلاف التشكيلات والتعينات الوجودية، فهو الاول والآخر والظاهر والباطن.

فاذا كان لاشيء الا الله، كما ورد في الحديث الشريف عن الامام الباقر (عليه السلام): (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ) (١).

وفي حديث عن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: (كان الله ولا شيء معه، وهو الان كما كان) (٢).

^١ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ١٩١٠

^٢ الرسائل التوحيدية / العلامة الطباطبائي / ص ١٠

إذا كان الله تبارك وتعالى هو الحقيقة الكبرى، ولحقيقة سواه، اذن لامنازع له، لان لاشيء الا الله، فكل مانراه من سموات وأرض إنما هي تجليات لله تعالى.

مثاله مثال نور الشمس الذي يدخل الى الغرفة، والذي ينبسط على الماء، والذي ينبسط على الارض، فهو نور واحد يتشكل بأشكال مختلفة، هكذا الله يتجلى بنوره في كل هذه الموجودات {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (١).

إن هذه المعرفة العميقة للتوحيد والوحدانية هي التي قال عنها الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، وبعده ومعه) (٢).

وعلى هذا الاساس اذا كان الله تعالى هو الاول والآخر اذن لامنازع له، فاي شيء نفترضه منازعاً فذلك هو الآخر تجلٍ للذات الالهية لاغير. ثانياً/ وَ لَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ

حيث لا ثاني له، وكل هذه الموجودات هي تشكلات، وتعينات محدودة، واجسام صغيرة، ولكن الله تبارك وتعالى، هو الحقيقة الكبرى والمنبسط في كلها جميعاً والمهيمن عليها جميعاً.

اذن هذه ليست شبيهة بالله تعالى حتى في اصل وجودها، لان لاشبيه له يشاكله، فوجودها جميعاً هو وجود الظل، بل هي ليست وجودات بالحقيقة بمقدار ماهي انعكاس للوجود الحقيقي الواحد وهو الله تعالى، كمثال وجود الامواج قياساً الى البحر فالامواج ليست وجوداً حقيقياً خارج وجود البحر، بل هي تشكلات للبحر نفسه .

^١ سور النور الآية ٣٥

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٠

وهنا لدينا سؤال ؟

يوجد حديث شريف يرويه الفريقان السنة والشيعة يقول: (ان الله خلق آدم علي صورته)^(١).
كيف يكون ذلك والدعاء يقول لاشبيه يشاكله؟
الجواب: ان هذا الحديث له معنى آخر كما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام، وهو حديث مجتزأ ومقطوع الصدر.
أمّا تمام الحديث فهو كالتالي:

(عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلق آدم على صورته.
فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله ﷺ مرّ برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قَبَّحَ اللهُ وجهك ووجه من يشبهك.
فقال ﷺ: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته)^(٢)، أي على صورة هذا الذي شتمه.
فالهاء هنا في قوله (على صورته) تعود الى الانسان الذي شتمه الآخر، وليس عائديتها الى الله تبارك وتعالى.
هذا هو التفسير الصحيح الذي يخلصنا من مشكلة التجسيم، والتي هي مرفوضة عندنا.

اذن لاشبيه الله، لا في القدرة، ولا في العلم، ولا في الوجود، ولا في العزة، ولا في الحياة، انما نحن الخلق امتداد لله تعالى ولسنا شيئاً شبيهاً بالله تعالى، وسوف نقرأ فيما بعد ان جميع اسماء الله تعالى ممتدة في كل الكائنات، فكل مافي الكائنات من حياة وقدرة وجمال وعلم وغير ذلك، هي

^١ شرح أصول الكافي للمولي محمد صالح المازندراني ج ٤ ص ١٢٥

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤ - الصفحة ١١

جميعاً تجليات لأسماء الله تعالى كما نقرأ في دعاء كميل (وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأْتَ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ)^(١).

ثالثاً/ وَ لَا ظَهِيرٌ يُعَاذُهُ

اي ولا نصير ينصره ويساعده، لان الله تعالى لا يحتاج الى نصير، ولا احد يستطيع ان ينصر الله تعالى، وكل ما عندنا انما هو من الله، وان المصدر الوحيد للقوة هو الله تبارك وتعالى، فكيف ينصر الضعيف القوي، وبالأحرى نحن ليس لدينا قوة، كل ما عندنا من قوة، هي امتداد لقوة الله تعالى .

اذن وصلنا الى نتيجة، انه لاظهر يعاضده.

وهنا ياتي هذا السؤال:

كيف نفسر قوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}^(٢).

وقول الحواريين لعيسى {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}^(٣).

والقرآن الكريم يقول: {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ}^(٤)، أليست هذه الآيات شاهد على

ان هناك ناصر لله تعالى، ومعنى ذلك ان له من يعاضده وينصره؟

فعلى مدلول هذه الآيات نحن الظهير لله تعالى، بينما الدعاء يقول:

لاظهر له يعاضده.

الجواب: ان الله تبارك وتعالى لا يحتاج الى نصير، بل هولاء انما

ينصرون دين الله، وينصرون أنبياء الله تعالى .

فعيسى عليه السلام عندما قال: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}^(٥)؟ يعني أنصاري أنا النبي،

وهم أنصار دين الله، فالله لا يحتاج الى ناصر، نعم دينه الذي يحتاج الى

^١ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ دعاء كميل بن زياد

^٢ سورة محمد الآية ٧

^٣ سورة الصف الآية ١٧

^٤ سورة الحشر الآية ٨

^٥ سورة الصف الآية ١٤

شرح دعاء الافتتاح..... ١٧٩

ناصر ونصير، وحينما قال الحواريون {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} (١) انما يقصدون أنصار دين الله وانصار نبي الله كما قال لهم عيسى عليه السلام: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، فعيسى عليه السلام كان يطلب أنصاراً له من أجل دين الله تعالى .

الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عندما قال: (الا هل من ناصر ينصرنا) (٢)، معناه الا هل من ناصر ينصر دين الله، وينصر أولياء الله، وذلك طبعاً هو نصره الله تعالى .

اذن الله تبارك وتعالى لا يحتاج الى نصير، بل هو قادر على اخضاع جميع الخلق لدينه، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً} (٣)، لكن التخطيط الالهي للكون جعل هذا الانسان يتمتع بالحرية والارادة، {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} (٤)، ومن اجل ذلك كان الدين يحتاج الى انصار والانبيااء يحتاجون الى انصار.

قَهْرَ بَعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءِ

ثم يمتد بنا الدعاء الى العزة، والعظمة، والقدرة، حيث يقول: (قَهْرَ بَعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءِ، وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ).

ماهي ألعزة ، ومامعنى العزيز؟

في اللغة ألعزة تعطي معنى القهر والقوة، لكن العزيز يعطي معنى آخر غير القوة .

ألعزة هي في مقابل الذل، وفي مقابل هوان النفس، وقول الامام الحسين عليه السلام: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد) (٥)، هذه العزة تعني إباء الضيم، حتى لو كان ضعيفاً ومغلوباً.

^١ سورة الصف الآية ١٤

^٢ السيد بن طاووس، اللهوف ، ص ١١٦.

^٣ سورة يونس الآية ٩٩

^٤ سورة الانسان الآية ٣

^٥ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ - الصفحة ٧

١٨٠ شرح دعاء الافتتاح

والمؤمن عزيز، فالقرآن الكريم يقول: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (١)، وليس بالضرورة ان يكونوا اقوياء، وغالبين، ولكنهم اعزاء. الامام علي عليه السلام يقول في كلمة ثلاثية رائعة جدا: (إلهي، كفاني فخرا أن تكون لي ربا، وكفاني عزا أن أكون لك عبدا، أنت كما أريد، فاجعلني كما تريد) (٢).

فالعزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، وكل عزة هي من الله تعالى، والله عزيز فوق كل الاعزاء، (قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ). وهنا نستذكر مقولة الامام الصادق عليه السلام: (من أراد عزا بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته) (٣).

شرف المؤمن وعزّه:

صلاة الليل هي من الصلوات المستحبة والتي أكّدت الآيات القرآنية والأحاديث والروايات المتواترة على المواظبة عليها، ولنافلة الليل ثواب عظيم جداً .

فقد قال الله عز وجل: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (٤). وقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (٥).

^١ سورة المنافقون الآية ٨

^٢ نهج البلاغة / من دعاء له عليه السلام في الفخر بعبوديته لله عز وجل

^٣ الخصال: ١٦٩ / ٢٢٢، ايضاً الحديث ورد عن الإمام علي عليه السلام: من أراد الغنى بلا مال، والعز بلا عشيرة، والطاعة بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته، فإنه واجد ذلك كله (تنبيه الخواطر: ١ / ٥١).

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "من أراد عزاً بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته (بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٩٢). (المحقق)

^٤ سورة الإسراء (١٧) ، الآية : ٧٩

^٥ سورة السجدة (٣٢) ، الآية : ١٦

شرح دعاء الافتتاح..... ١٨١

وفي الرواية انه نزل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ فقال له ﷺ: يا جبرئيل عظمي.

فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعمل ما شئت فإنك ملاقيه، شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس(١).

وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ

قد تقول: هناك عظماء، وجابرة، لا يخضعون لله تعالى فكيف نفسر هذا الامر؟

الجواب: ان لدينا مستويين من التواضع هما التواضع التكويني، والتواضع الارادي.

فابليس لم يتواضع لله بارادته، والجابرة الكفار غير متواضعين بارادتهم، ولكنهم جميعا خاضعون متواضعون لارادة الله تعالى غير خارجين عنها.

وهذا هو مايشير اليه الدعاء، وكذلك القرآن الكريم وهو (التواضع التكويني) لله تعالى، فكل الكون صغير ومتواضع امام الله تبارك وتعالى، {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ}(٢) حتى الكافر بوجوده التكويني، هو متواضع لله تعالى، وهذا غير التواضع الارادي الذي بني على أساسه استحقاق الجنة والنار.

نقرأ دعاء يوم الاثنين للامام زين العابدين عليه السلام (تَوَاضَعَتِ الْجَبَابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ)(٣).

بالتاكيد ليس المقصود هنا هو التواضع والانقياد الارادي لعظمة الله تعالى، وانما المقصود هو الخضوع والتواضع والانقياد التكويني.

^١ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام - الشيخ هادي النجفي - ج ٦ - الصفحة ١٢٥

^٢ سورة الاسراء الآية ٤٤

^٣ الصحيفة السجادية/ أدعية الايام/ دعاء يوم الاثنين

ولهذا في دعاء كميل هنالك التفاتة جميلة حيث يقول: (وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأْتَ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ)^(١)، معناه ان كل شي اماننا هو مليء باسماء الله تعالى، يعني فيه قوة، ووعي، وغنى، وارادة، وعزة، فلايوجد شي في الوجود من الحجر، والمدر، وكل شي، الا وهو مليء باسماء الله تعالى، فكل المخلوقات اركانها قائمة باسماء الله تبارك وتعالى.

وهنا ماذا يقول دعاء الافتتاح؟

يقول: (قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعِظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ مَايَشَاءُ...) ومعناه الاشارة الى القدرة الالهية المطلقة التي لاحد لها. القدرة على الممتنع:

هناك سؤال وجه لائمتنا عليه السلام عن القدرة الالهية، هل الله قادر على الممتنع؟ وهل الله قادر على المستحيل؟ هل الله قادر على جمع النقيضين مثلاً؟
روي ان عبد الله الديصاني - وهو من الملاحدة المعروفين يسأل الامام الصادق عليه السلام فيقول: هل يستطيع ربك ان يضع العالم كله في بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة؟
قال عليه السلام: نعم، الله قادر على كل شيء ولكن الذي سألته لا يكون^(٢).
المشكلة في ان هذا الشيء مستحيل، فالمشكلة في القابل، وليست المشكلة في الفاعل.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء كميل بن زياد

^٢ الإمام الصادق عليه السلام المؤلف: الشيخ محمد حسين المظفر ص ٢٠٠

امتداد العزة والعظمة:

وتمتد العزة والعظمة من الله تعالى الى أنبيائه وأوليائه الصالحين.
ان مثل هذه المفاهيم التي قرأناها في هذا المقطع من دعاء الافتتاح (فَهَرَّ بِعِزَّتِهِ الْأَعْزَاءَ، وَتَوَاضَعَ لِعِظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ..) موجودة في زيارة الجامعة^(١) للائمة الاطهار عليه السلام حيث جاء فيها:
(طَاطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُنْكَبِرٍ لِطَاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ)^(٢) .

فهذه الفقرات كيف نفسرها؟ مع أن الائمة الاطهار عليه السلام تعرضوا الى القتل والسجن على يد أعدائهم الجبابرة، فكيف تقول الزيارة (وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ)^(٣)، أليس يزيد قتل الامام الحسين عليه السلام؟ أليس هارون الرشيد سجن الامام موسى بن جعفر عليه السلام؟

الجواب على ذلك: أن المقصود بقوله (وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ) هو الخضوع التكويني، فكل شي خاضع لله تكويناً، وخاضع لحجج الله تكويناً وليس خضوعاً إرادياً، فجميع مافي الكون تحت قدرة الائمة الاطهار عليه السلام، ولو ارادوا أن تمطر السماء لمطرت، أو تنبت الارض لأنبتت، وذلك باذن الله تعالى كما كان عيسى بن مريم عليه السلام {وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} ^(٤) وكما استطاع آصف بن برخيا ان يأتي بعرش بلقيس في جزء من الثانية من حيث أن {عَلِمَ مِّنَ الْكِتَابِ} ^(٥)، هكذا اذن الائمة الاطهار عليه السلام كل ذلك باذن

^١ الزيارة الجامعة الكبيرة، هي إحدى أهم الزيارات الخاصة بالائمة المعصومين عليهم السلام وأكملها، حيث لم تختص بإمام دون إمام، فيمكن زيارتهم عليهم السلام جميعاً من خلال هذه الزيارة، سواء حضر الزائر في مراقدهم الشريفة أم أراد زيارتهم عن بُعد. الزيارة مروية عن الإمام الهادي عليه السلام استجابة لطلب أحد الشيعة في زمانه. كما أن الزيارة تتضمن معتقدات الشيعة في الإمامة، ووظائف الأمة تجاه أهل بيت العصمة عليهم السلام (المحقق).

^٢ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ الزيارة الجامعة الكبيرة

^٣ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ الزيارة الجامعة الكبيرة

^٤ سورة ال عمران الآية ١٩

^٥ سورة النمل الآية ١٠

الله تعالى وقدرته، لكن الانبياء والاولياء لم يكونوا يمارسون هذه القدرة الا في حالات نادرة وبمقتضى الضرورة والمصلحة.

يقول الامام الخميني (قدس سره) وهو يتحدث عن مقام العبودية:
(ومن ذلك المقام إباء الأنبياء المرسلين والأولياء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين، عن إظهار المعجزات والكرامات التي أصولها إظهار الربوبية والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة، إلا في موارد اقتضت المصلحة لإظهارها، وفيها أيضا كانوا يصلّون ويتوجّهون إلى ربّ الأرباب بإظهار الذلة والمسكنة والعبودية ورفض الأنانية، وإيكال الأمر إلى بارئه واستدعاء الإظهار عن جاعله ومنشئه، علت قدرته، مع أنّ تلك الربوبية الظاهرة بأيديهم عليهم السلام، هي ربوبية الحقّ، جلّ وعلا، إلا أنّهم عن إظهارها بأيديهم أيضا يابون^(١)).

^١ مصباح الهداية / الامام الخميني / ص ٥٣

المحاضرة الخامسة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ، وَ يَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَ أَنَا
أَعْصِيهِ،
وَ يُعْظِمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلَا أُجَازِيهِ، فَكَمْ مِنْ مَوْهَبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطَانِي،
وَ عَظِيمَةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كَفَانِي، وَ بِهِجَةٍ مُوْنِقَةٍ قَدْ أَرَانِي، فَأَتُنِي عَلَيْهِ حَامِداً
وَ أَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَهْتِكُ حِجَابَهُ، وَ لَا يُغْلِقُ بَابَهُ، وَ لَا يَرُدُّ سَائِلُهُ،
وَ لَا يُخَيِّبُ أَمَلُهُ).

*العلاقة التبادلية

*شروط الاستجابة

*قصة في استحقاق الاجابة

*الفرق بين الاجابة والاستجابة

*الستر الالهي

١٨٦ شرح دعاء الافتتاح

العلاقة التبادلية:

الحديث في هذه الفقرة هو عن العلاقة التبادلية بين الله تبارك وتعالى والانسان.

وما زال الدعاء يتقدم خطوة خطوة في الثناء، والحمد لله تعالى، قبل السؤال والطلب وعرض الحاجات، وهذا هو أدب الدعاء طبعاً أن يبدأ الداعي بالحمد والثناء أولاً.

الان الامام عليه السلام، في هذه المقاطع، يتقدم في طريق الحمد والثناء، وسرد نقاط العظمة، واستحقاق الثناء لله تعالى .

بعد ان استعرض الدعاء نقاط العظمة الالهية، في مالكية الملك (الملك المطلق) وتسخير الرياح (التدبير المطلق)، ثم التشريع الالهي (دَيَّانَ الدِّينِ)، ثم التربية الالهية (رَبُّ الْعَالَمِينَ)، انتقل بنا الى الحديث عن شي اخر، وهو (العلاقة المتبادلة)، هذه العلاقة العجيبة والغريبة، علاقة بين الله تبارك وتعالى الذي هو جبار السموات والارض، وخالق الكون، وخالق الخلق، وبين هذا الانسان الذي هو أصغر من الذرة، وأقل شأنًا.

هذه العلاقة التي سمحت بالنداء المتبادل بين الخالق والمخلوق، وما جمل هذه العلاقة، حين نخاطب الله ونناديه، ويسمع نداءنا وينادينا.

الفكر الديني يقول: انت تنادي الله، والله ايضاً يناديك، {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} (١)، هذا هو النداء من طرف الله تعالى للانسان .

وفي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ:

(أن الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة، في أول الليل، فيأمره فينادي:

هل من سائل فأعطيه؟

هل من تائب فأتوب عليه ؟

^١ سورة ال عمران الآية ١٩٣

هل من مستغفر فأغفر له؟
يا طالب الخير اقبل، ويا طالب الشر أقصر.
فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء^(١).

وعن رسول الله ﷺ ايضاً قال:
(إن الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكاً يقال: له الداعي، فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كل ليلة منه إلى الصباح: طوبى للذاكرين، طوبى للطائعين).

يقول الله تعالى: (أنا جليس من جالسي، ومطيع من أطاعني، وغافر من استغفرني، الشهر شهري، والعبد عبدي، والرحمة رحمتي، فمن دعاني في هذا الشهر أجبته، ومن سئلي أعطيته ومن استهداني هديته، وجعلت هذا الشهر حبلاً بيني وبين عبادي، فمن اعتصم به وصل إلى^(٢)).
هذا هو النداء من طرف الله تبارك وتعالى العظيم، الجبار، المتكبر، القوي، المهيمن، وهناك نداء من الطرف الثاني وهو الانسان الحقيـر، المسكين، المستكين، الذليل .

القرآن الكريم يستعرض نماذج من هذا النداء الصادر من الانسان، منها:

قوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} ^(٣)، وقوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} ^(٤).

اذن هناك نداء متبادل بين الله تبارك وتعالى والعبد، والعبد حينما ينادي فان الله تعالى يجيبه، وهذا ماؤكدده القرآن في قوله تعالى: {أُجِيبُ دَعْوَةَ

^١ شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري - ج ١ - الصفحة ١٦

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٥ - الصفحة ٣٧٧

^٣ سورة الانبياء الآية ٨٣

^٤ سورة الانبياء الآية ٨٩

شرح دعاء الافتتاح..... ١٨٩

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ {١}، وقوله: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} {٢}، وقوله تعالى في قصة يونس عليه السلام: {فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} {٣}. هذا هو جمال العلاقة المتبادلة فيما بين العبد وربّه، بين المخلوق وخالقه. هذا هو الفكر الديني الرائع الذي جاء به القرآن الكريم، وترجمه لنا الادعية الشريفة المنقولة عن الائمة المعصومين عليه السلام.

ما أجمل ماسطرّه الامام الباقر عليه السلام في دعاء السحر حين يقول:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ بَهَائِكَ بِأَبْهَاءِ)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَمَالِكَ بِأَجْمَلِهِ)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ جَلَالِكَ بِأَجْلَلِهِ)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ نُورِكَ بِأَنْوَرِهِ)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ رَحْمَتِكَ بِأَوْسَعِهَا)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَلِمَاتِكَ بِأَتْمَمِهَا)
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كَمَالِكَ بِأَكْمَلِهِ) {٤}

ما أجمل هذه العلاقة؟ وما روع هذا الدعاء؟

شروط الاستجابة:

ثم يصل بنا الدعاء الى هذه الفقرة :

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ اُنَادِيهِ، وَيَسْتُرْ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَاَنَا اَعْصِيهِ، وَيُعْظِمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلَا اُجَازِيهِ).

النداء حينما يكون من طرف الانسان فان الله تبارك وتعالى يجيبه، كما أن الله حينما ينادينا يجب أن نجيبه ونستمع اليه. اذن النداء المتبادل (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ اُنَادِيهِ).

^١ سورة البقرة الآية ١٨٦

^٢ سورة غافر الآية ٦٠

^٣ سورة الانبياء الآية ٨٨

^٤ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ دعاء البهاء من ادعية السحر في شهر رمضان المبارك

الاجابة والاستجابة:

من خلال التدقيق في الاستعمال اللغوي، وكذا الاستعمال القرآني لكلمة (اجابة) وكلمة (استجابة) قد نكتشف فرقاً في مدلول الكلمتين .
فالاجابة هي الردّ على السؤال، اما الاستجابة فهي تحقيق مايريده السائل.

نلاحظ ذلك في جميع الموارد التي جاءت فيها كلمة (استجابة) في القرآن الكريم، مثلاً:

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ} (١).

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} (٢).

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى} (٣).

الاستجابة ليست دائمية ومطلقة، فان الله تعالى قد يستجيب الدعاء وقد لا يستجيب، فهي مشروطة بشروط بخلاف الاجابة، فهي مطلقة لكل دعاء وسؤال.

الاجابة هي: {يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ}، الله تبارك وتعالى يجيب الدعاء، فعندما تقول في التحية: السلام عليكم، يجيبك الطرف الآخر: وعليكم السلام، هذه هي الاجابة، وهي مطلقة وغير مشروطة بشرط.

وكل نداء يخرج من الانسان نحو الله تعالى، فهو صوت مجاب من قبل الله تعالى، وهذا مايؤكداه القرآن الكريم حينما يقول: {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (٤).

هذه هي الاجابة، وهي لاتعني مايطلبه الداعي انما تعني الاستماع له وسؤاله ماذا تريد يا عبيدي؟

^١ سورة الانبياء الاية ٨٨

^٢ سورة ال عمران الاية ١٩٥

^٣ سورة الانبياء الاية ٩٠

^٤ سورة البقرة الاية ١٨٦

وأما الاستجابة فهي تعني تحقيق ما يطلبه الداعي، والادب الديني يقول:
ان استجابة الدعاء مشروطة بعدة شروط منها :

١- الالحاح على الله تبارك وتعالى.

٢- ان يكون الدعاء في مصلحة العبد.

٣- ان يكون الدعاء بقلب خالص.

٤- ان يكون الدعاء بدون ذنب يحبسه.

هذه وغيرها مجموعة شروط لاستجابة الدعاء، كما تذكرها كتب الحديث
مثل كتاب اصول الكافي / الجزء الثاني (١).

الاستجابة التقبيلية والتنفيذية:

ورحم الله استاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى
عليه (٢) حينما سئل مالنا نرى بعض الادعية غير مستجابة؟

فاجاب: ان الاجابة على مستويين هما:

المستوى الاول: هو الاستجابة التقبيلية، يعني الله يقبل تضرعك وخضوعك
ويبادللك المحبة، فعندما يستمع لك يقبل صوتك، ويقبل نداءك ولا يعرض
عنك، وهذه الاستجابة مطلقة لا تتخلف.

المستوى الثاني: هو الاستجابة التنفيذية، بمعنى أن يحقق لك ماتريد، وهذه
الاستجابة مشروطة بشروط كما أشرنا لذلك.

^١ وقد وردت روايات كثيرة في استجابة الدعاء، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: "...والذنوب التي تردُّ

الدعاء وتُظلم الهواء عقوق الوالدين، وقال رسول الله ﷺ: رحم الله عبدا طلب من الله عز وجل حاجة فألح

في الدعاء استجيب له أو لم يستجب (للمزيد مراجعة كتاب الكافي للكليني الجزء الثاني ص ٤٧٥ / باب

استجابة الدعاء) (المحقق)

^٢ السيد محمد باقر الصدر، (١٣٥٣ - ١٤٠٠ هـ) فقيه ومفسر، ومفكر شيعي، وقائد عراقي. درس العلوم
الدينية عند كبار علماء الحوزة العلمية في النجف من أمثال السيد الخوئي، والشيخ محمد رضا آل ياسين.
واستطاع أن يصل إلى مرتبة الاجتهاد في سنين مبكرة، وبدأ بتدريس العلوم الدينية في حوزة النجف. وقد كان
مؤلفاً في مجالات مختلفة، كالاقتصاد الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، وتفسير القرآن، والفقه، وأصول الفقه،
إضافة لكتابه في نظرية المعرفة وهو الأسس المنطقية للاستقراء. لم يكن الصدر غائياً عن الحياة السياسية، فقد
أصدر فتواه الشهيرة بحرمة الانتماء لحزب البعث البائد، كما أنه أول من دعى إلى إسقاط نظام
البعث (المحقق)

تقول الاحاديث الشريفة:

هناك صوتان مرفوعان الى السماء، أحدهما صوت العبد الذي يكثر الدعاء في الشدة والرخاء، والآخر لا يدعو الا بالشدة، فاذا رفع الصوت الاول، وهو المعروف عند الله تبارك وتعالى، فيقول تعالى هذا صوت نعرفه اجيبوه، ولكن اخروا الاجابة للاستمتاع بصوته.

اما الثاني، فيقول الله تعالى هذا صوت لانعرفه، اجيبوه وعجلوا اجابته^(١).
قد يؤجل الله تعالى إجابة دعاء عبده المؤمن ليطول وقوفه بين يديه، ويطول إقباله عليه وتضرّعه إليه.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (أكثرُوا من أن تدعو الله، فإن الله يحب من عباده المؤمنين أن يدعوه، وقد وعد عباده المؤمنين الاستجابة)^(٢).
من هذا نستنتج ان الله تبارك وتعالى، يحب أن يسمع تضرع عبده، ويشتاق إلى دعائه ومناجاته.

القرآن الكريم يؤكد على بعض الملاحظات في مسألة الاستجابة وعدمها كما قوله تعالى: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءُهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}^(٣)، فالله تعالى قد لا يستجيب له لانه شر له وهو لا يعلم، لأن احد شروط الاستجابة أن تكون الأجابة في مصلحتك وليس بضررك .

^١ روي أن الامام الباقر عليه السلام كان يقول : « إن المؤمن ليسأل الله عزّ وجلّ حاجة ، فيؤخر عنه تعجيل اجابته حباً لصوته واستماع نحيبه(قرب الاسناد : ١٧١ ، اصول الكافي : ٥٢٦). وعن الامام الصادق عليه السلام : « إن العبد ليدعو فيقول الله عزّ وجلّ للملكين : قد استجبت له ، ولكن احبسوه بحاجته ، فإني أحب أن اسمع صوته ، وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته فإني ابغض صوته(وسائل الشيعة ٤ : ١١١٢ ، ح ٨٧٣١ ، اصول الكافي : ٥٢٦). وعن الامام الصادق عليه السلام : « إن العبد الولي لله ليدعو الله عزّ وجلّ في الامر بنوبه ، فيقال للملك الموكل به : اقض لعبدي حاجته ، ولا تعجلها فإني اشتي أن اسمع صوته ونداءه ، وإن العبد العدو لله عزّ وجلّ يدعو الله عزّ وجلّ في الامر بنوبه ، فيقال للملك الموكل به : اقض حاجته ، وعجلها فإني اكره أن اسمع صوته ونداءه » (اصول الكافي : ٥٢٧ ، وسائل الشيعة ٤ : ١١١٢ ، ح ٨٧٣٢) (المحقق)

^٢ وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ٤ - الصفحة ١٠٨٦

^٣ سورة الاسراء الآية ١١

شرح دعاء الافتتاح..... ١٩٣

ومن جملة الشروط ايضا (الاستحقاق)، وهو ان تكون انت ومحيطك الاجتماعي تستحق هذه الاستجابة، فالامة في زمن الامام الحسين (عليه السلام) لاتستحق ان ينصرها الله تعالى على حكم الطاغوت، وكانت مشيئته تعالى أن يقتل الامام الحسين (عليه السلام) شهيداً ثائراً .
كما قال (عليه السلام): (شاء الله ان يراني قتيلاً) (١)، وتذوق الامة عذاب الطغاة حتى تستيقظ بعد حين .

وهكذا في قضية الامام المهدي (عليه السلام)، والدعاء له بتعجيل الفرج، حيث يجب ان يكون هناك لياقة واستعداد من الامة المسلمة لدولته الكريمة.
من أجل هذا نقرأ في الاحاديث الشريفة :
اربعة لا يستجاب لهم كما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال:
(أربعة لا يستجاب لهم دعوة:

رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني فيقال له: ألم أمرك في الطلب؟
ورجل كانت له امرأة فاجرة فدعا عليها فيقال له: ألم اجعل أمرها إليك؟
ورجل كان له مال فافسده فيقول: اللهم ارزقني فيقال له: ألم أمرك بالاصلاح .

^١ اللهوف في قتلى الطفوف - السيد ابن طاووس الحسني ص ٣٩ (عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الامام الحسين (عليه السلام) الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه.
فقال: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.
فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أجمع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.
فلما كان السحر ارتحل الحسين (عليه السلام) فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها. فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟
قال بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً.
فقال: أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً) (المحقق)

١٩٤ شرح دعاء الافتتاح

ورجل كان له مال فأدانه رجلا ولم يشهد عليه فجده فيقال له ألم أمرك
بالاشهاد؟^(١).

اذن هنالك ادعية لاستجاب لعدم توفر الشروط الموضوعية لاستجابة
الدعاء وكذلك لعدم توفر الاستعداد واللياقة العامة في الفرد أو في الامة.
قصة في السجن:

اذكر وانا عندما كنت في سجن الطاغية^(٢) في شهر رمضان المبارك،
كنا في مكان حار جدا (وفي غرفة منفردة) معزولة عن باقي السجناء
الذين كانوا يتساقطون مغمى عليهم من شدة الحر، فدعوت ربي أن
يخلصني من هذا المكان، فقلت الهي خلّصني وان كنت تعلم ان ذلك ليس
في مصلحتي.

ودعوت الله تبارك وتعالى دعاءً ملحاً، حتى جاء السجان بعد عدة ايام
واخرجوني من هذه الغرفة الى غرفة أخرى قريبة الى مكاتب مدراء
السجن، حيث يصلني الهواء البارد من خلال غرفهم، فاستراح قلبي عندما
أحسست بالبرودة، ولكنني فقدت الاتصال بالشباب السجناء الآخرين لبعد
غرفتي عنهم، بينما كنت أتلو عليهم مقاطع من دعاء الافتتاح وهم
يستمعون اليّ وانا استمتع بمشاهدتهم عبر النافذة الصغيرة.

قصة في استحقاق الاجابة:

عن الزهري، قال:

(كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه، فقال له علي بن
الحسين عليه السلام: ما خبرك، أيها الرجل؟

^١ عدة الداعي - ابن فهد الحلي - الصفحة ١٢٦

^٢ يذكر ان سماحة السيد صدر الدين القبانجي كان قد حكم عليه بالاعدام من قبل محكمة الثورة المنحلة عام
١٩٧٩ اثر نشاطه مع استاذة الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، وقد كتب السيد القبانجي
عن تلك الايام مذكرات اسمها (٧٥ يوما في انتظار الاعدام) وقد تم طبعها في كتاب تحت هذا العنوان
(المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ١٩٥

فقال الرجل: خبري - يا بن رسول الله - أني أصبحت وعلي أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها، ولي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به.

قال: فبكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديدا.

فقلت له: ما يبكيك، يا بن رسول الله؟

فقال: وهل يعد البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار.

قالوا: كذلك، يا بن رسول الله.

قال: فأية محنة ومصيبة أعظم على حرمة مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها، ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها! قال: فتفرقوا عن مجلسهم ذلك.

فقال بعضهم المخالفين وهو يطعن على علي بن الحسين عليه السلام: عجا لهؤلاء يدعون مرة أن السماء والأرض وكل شئ يطيعهم، وأن الله لا يردهم عن شئ من طلباتهم، ثم يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواص إخوانهم.

فاتصل ذلك بالرجل صاحب القصة فجاء إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله، بلغني عن فلان كذا وكذا، وكان ذلك أغظ علي من محنتي.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: فقد أذن الله في فرجك، يا فلانة احلمي سحوري وفطوري.

فحملت قرصتين، فقال علي بن الحسين عليه السلام للرجل: خذهما فليس عندنا غيرهما، فإن الله يكشف عنك بهما، وينيلك خيرا واسعا منهما.

فأخذهما الرجل، ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما، يتفكر في ثقل دينه وسوء حال عياله، ويوسوس إليه الشيطان: أين موقع هاتين من حاجتك؟ فمر بسماك قد بارت عليه سمكة قد أراحت.

فقال له: سمكتك هذه بائرة عليك، وإحدى قرصتي هاتين بائرة علي، فهل لك أن تعطيني سمكتك البائرة، وتأخذ قرصتي هذه البائرة؟

فقال: نعم، فأعطاه السمكة وأخذ القرصة، ثم مر برجل معه ملح قليل مزهود فيه، فقال له: هل لك أن تعطيني ملحك هذا المزهود فيه بقرصتي هذه المزهود فيها؟

قال: نعم، ففعل، فجاء الرجل بالسمكة والملح، فقال: أصلح هذه بهذا، فلما شق بطن السمكة وجد فيها لؤلؤتين فاخرتين، فحمد الله عليهما، فبينما هو في سروره ذلك إذ قرع بابه، فخرج ينظر من الباب، فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاءا، يقول كل واحد منهما له: يا عبد الله، جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا هذا القرص، فلم تعمل فيه أسناننا، وما نظنك إلا وقد تناهيت في سوء الحال، ومرنت على الشقاء، قد رددنا إليك هذا الخبز، وطيبنا لك ما أخذته منا. فأخذ القرصتين منهما.

فلما استقر بعد انصرافهما عنه قرع بابه، فإذا رسول علي بن الحسين عليه السلام فدخل فقال: إنه يقول لك: إن الله قد أتاك بالفرج، فأررد إلينا طعامنا، فإنه لا يأكله غيرنا، وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه، وحسنت بعد ذلك حاله، وهكذا عاد الفقير غنياً ببركة هذين القرصين، وذلك حينما شمت به الشامتون فاستحق الاجابة^(١).

لذلك فان الانسان في اي دعاء شخصي كان، او غير شخصي، يجب أن يصل هو ومحيطه الى مرحلة الاستحقاق، عندئذ سوف تاتيهِ الاجابة. والقرآن الكريم يضرب لنا مثلاً لذلك بقوله تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ} ^(٢)، وذلك حينما واصل موسى عليه السلام ومن معه السير صابرين على البلاء في التيه وأضر بهم العطش وكادوا ان يهلكوا جميعاً فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اضرب بعصاك الحجر فتدفع الماء.

^١ الأمالي - الشيخ الصدوق - الصفحة ٥٣٩

^٢ سورة البقرة الآية ٦٠

الستر الالهي:

اخيراً، نصل في الدعاء الى قوله (وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَغْصِيهِ)، هذا الستر هو الستر الالهي، ومن اسماء الله تبارك وتعالى هو (الساتر)، و(الستار).
(وَيَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَغْصِيهِ)، هذا أدب جميل في الدعاء، نتعلم منه في حياتنا، وهو ادب الستر على عيوب الآخرين كما التستر على عيوبنا الشخصية .

والامام علي عليه السلام يقول في المناجاة الشعبانية: (الهي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوباً فِي الدُّنْيَا وَ أَنَا اُحْوجُ الى سِتْرِهَا عَلَيَّ مِنْكَ فِي الْآخِرَةِ)(١).
(الهي قَدْ احْسَنْتِ اليَّ اِذْ لَمْ تُظْهِرْهَا لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، فَلَا تَفْضَحْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ)(٢).

وفي دعاء ابي حمزة يقول الامام السجاد عليه السلام:

(الهي لَمْ أَغْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاوِدٌ، وَلَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخَفٌّ، وَلَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ، وَلَا لَوَعِيدِكَ مُتَهَاوٍ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَغَلَبَنِي هَوَايَ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا شِفُوتِي، وَغَرَّنِي سِتْرُكَ الْمُرْخِي عَلَيَّ، فَقَدْ عَصَيْتُكَ وَ خَالَفْتُكَ بِجَهْدِي)(٣).

وهنا يجب ان نتادب بالادب الذي علمنا به ائمتنا عليهم السلام من خلال هذه الادعية الشريفة، وهو الستر على المؤمنين .

ادب جدير ان نتعلمه ، تقول الرواية:

في يوم القيامة ياتي انسان وكتابه بيمينه، كله حسنات ولاسيئة فيه فتسال الملائكة: الهي ألم يكن لهذا العبد سيئة واحدة؟

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ المناجاة الشعبانية المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ المناجاة الشعبانية

^٣ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ١٧٦

١٩٨ شرح دعاء الافتتاح

فيأتيها الجواب من عند الله تعالى: (هذا عبدي كان يستتر على عبادي وأنا
أكرم منه)(١).

^١ جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - ج ٢ - الصفحة ٢٠٩ (إن الله تعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة، وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها أخرى". ورد أيضا: " إنه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي، فيقول الله سبحانه له: لم تبكي؟ فيقول: أبكي على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة. فيقول الله: عبدي ما افتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك، وأنت تعصيني وتضحك! فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصيني وتبكي!". وفي خبر آخر: " إن رسول الله ﷺ يطلب يوم القيامة من الله سبحانه ألا يحاسب أمته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الأمم، لئلا تظهر عيوبهم عندهم، بل يحاسبهم بحيث لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه، وسواء ﷺ فيقول الله سبحانه: يا حبيبي، أنا أراؤف بعبادي منك، فإذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك، فأنا أكره كشفها عندك أيضا، فأحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثرتهم غيري " (المحقق)

المحاضرة السادسة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ، وَلَا يُغْلَقُ بَابُهُ،
وَلَا يَرُدُّ سَأْلُهُ، وَلَا يُخَيِّبُ أَمْلُهُ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ، وَيُنَجِّي الصَّالِحِينَ)

*العقول عاجزة عن معرفة الذات الإلهية

*حجاب فاطمة عليها السلام

*الكرم الإلهي المطلق

*الله تعالى خير المسؤولين

٢٠٠ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٠١

لازال الدعاء يسير في سرد عناوين العظمة الالهية واستحقاقات الحمد والثناء على الله تعالى.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ)

هذه كلها كنايات عربية، اي لاتهتك استار عظمته، وعزه، اذن هو بمستوى من العظمة بحيث لاتهتك ولاتكشف اسرار عظمته {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (١).

وتتحدث الروايات الشريفة عن حجب النور وان الله تبارك وتعالى قد احتجب عن خلقه بحجب من نور.

وهذا مانقرؤه في قصة الرسول ﷺ، لما عرج به السماء السابعة، حيث تقدم، وصل الى ساحات العظمة الالهية، مع جبرئيل عليه السلام، فطلب من جبرئيل أن يتقدم فاعتذر فقال النبي ﷺ : في هذا الموضع تفارقني.

فقال جبرائيل عليه السلام : لو دنوت أنملة لاحترقت (٢).

وفي رواية اخرى:

قيل: يا رسول الله هل رايت ربك؟

قال: رأيت نور الله.

وكما احتجب الله تعالى بحجب من نور، كذلك الاسم الاعظم الذي هو أول تجلٍ له تبارك وتعالى وقد حجبه الله عن خلقه فلايعرفه أحد، هذا الاسم الاعظم الذي نقرأ في الدعاء:

(اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيْمِ الْاَعْظَمِ الْاَعَزَّ الْاَجَلَّ الْاَكْرَمَ الَّذِى اِذَا دُعِيَ بِهِ عَلٰى مَغَالِقِ ابْوَابِ السَّمَاءِ لِفَتْحِ الرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَاِذَا دُعِيَ بِهِ عَلٰى مَضَائِقِ ابْوَابِ الْاَرْضِ لِفَرَجِ الْفَرَجِ انْفَرَجَتْ، وَاِذَا دُعِيَ بِهِ عَلٰى الْعُسْرِ

^١ سورة طه الاية ١١٠

^٢ بحار الانوار : ١٨ / ٣٨٢

٢٠٢ شرح دعاء الافتتاح

لِّلْأَيْسَرِ تَيْسَرَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ^(١).

نعم، هذا الاسم الاعظم الذي هو مفتاح لجميع الخلائق، هو أيضاً محتجب في ظل الله تعالى كما نقرأ في الدعاء:

(بِالْإِسْمِ الَّذِي حَجَبْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)^(٢).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ) معناه أن أستار العظمة الالهية لاتمزق، ولايمكن لاحد ان يهتك استار العظمة الالهية .

حجاب فاطمة:

وهنا يحضرني هذا الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ يقول:

فاطمة بابها بابي وحجابها حجابي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله^(٣).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُغْلَقُ بَابُهُ

عدم غلق الباب هنا كناية عن الكرم المطلق والعطاء الدائم، لان الله تعالى ليس له باب بالمعنى المادي الذي نعرفه.

ومثل هذا حين نقرأ في الدعاء: (بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاعِيَيْنِ)^(٤)، معناه انت

سيال الفيض والكرم لاتغلق باب كرمك، و(وَخَيْرُكَ مَبْدُولٌ لِلطَّالِبِينَ)^(٥)،

فالباب لا يغلق، هو كناية عن الكرم اللامحدود .

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء السمات

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ ص ١٧٤ (دعاء عن الإمام موسى الكاظم ﷺ رواه الكفعمي في (البلد الأمين) وقال : إنه دعاء عظيم الشأن سريع الإجابة)(المحقق).

^٣ الطُّرْفُ لِلْسَيِّدِ ابْنِ طَاوُوسٍ: ١٨، وبحار الأنوار ٤٧٦: ٢٢، والخصال: ٦٠٧ (ن الإمام الصادق ﷺ قال: (لَمَّا

حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْوَفَاةُ دَعَا الْأَنْصَارَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَدْ حَانَ الْفِرَاقُ... أَلَا فَاسْمَعُوا وَمَنْ حَضَرَ، أَلَا إِنَّ فَاطِمَةَ بَابَهَا بَابِي، وَبَيْتَهَا بَيْتِي، وَحِجَابُهَا حِجَابِي، فَمَنْ هَتَكَ فَقَدْ هَتَكَ حِجَابَ اللَّهِ!). (المحقق)

^٤ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ اعمال شهر رجب (وهو دعاء كان يدعو به الصَّادِقُ ﷺ في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ)(المحقق)

^٥ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ اعمال شهر رجب (وهو دعاء كان يدعو به الصَّادِقُ ﷺ في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ)(المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٠٣

لاحظوا ان كل كريم من الكرماء في الدنيا مهما بلغ كرمه وملكه وعطاؤه فان كرمه محدود وليس لامحدود، ولكن الله تبارك وتعالى بابه مفتوح للراغبين في كل الاحوال والاوقات، ولكل العباد ولمختلف الطبقات، وامتثلت بفيض جودك أو عيئة الطلبات^(١).

أما الانسان فيغلق بابه احيانا لظروف تعترضه، أو قلة الزاد، أو حاجته لزاده، أو لعدم وجود الوقت المناسب، أو لعدم حبه للشخص القادم، أو للبخل الذاتي، أو لخوف نفوذ ماعنده، هذه الامور كلها معدومة عند الله تبارك وتعالى، ومن هنا فهو لا يغلق بابه.

ان الله تعالى لا تنقصه كثرة العطاء، ولا تنقص خزائنه، بل تزيده كثرة العطاء جودا وكرما، فليس عنده مشكلة قلة الزاد، او احتياجه للزاد، او ان يقبل إستضافة أحد، ولا يقبل إستضافة الآخر، فالله تعالى فاتح بابه لجميع العبيد.

ولهذا نقرأ في أدعية الامام زين العابدين عليه السلام:
(يا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإِذَا أَمَّلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مُنَاهُ)^(٢)، كما نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الوارد فيها: (وَأَصْوَاتُ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ صَاعِدَةٌ، وَأَبْوَابُ الْأَجَابَةِ لَهُمْ مُفْتَحَةٌ)^(٣).
وَلَا يَرُدُّ سَائِلُهُ

السائل غير مردود، فالله تعالى هو اوسع المعطين، وهو خير المسؤولين. يقول الحديث عن رسول الله ﷺ انه كان هنالك اثنان بالدنيا يعملون عملا صالحا، وبنفس المستوى من الاعمال، ولكن في يوم القيامة ينظر احدهما

^١ الصحيفة السجادية الكاملة - الإمام زين العابدين عليه السلام - الصفحة ٢٣٨ / الدعاء السادس والاربعون

^٢ الصحيفة السجادية / المناجاة الرابعة / مناجاة الراجين.

^٣ مفاتيح الجنان، للمحدث الشيخ عباس القمي (رحمه الله). هي الزيارة المعروفة بأمين الله وهي في غاية الاعتبار ومروية في جميع كتب الزيارات والمصابيح وقال العلامة المجلسي (رحمه الله) أنها أحسن الزيارات متناً وسنداً وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة وهي كما روي بأسناد معتبرة عن جابر عن الباقر عليه السلام أنه زار الامام زين العابدين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام فوقف عند القبر وبكى (المحقق)

٢٠٤ شرح دعاء الافتتاح

للاخر فيجد تفاوتاً في المنزلة أحدهما اعلى من الآخر، مع انهما في الدنيا
كانا بنفس المستوى من الصلاح والتقوى والعمل الصالح.
فيقول أحدهما: الهي كلانا كنا نعمل بنفس العمل، لماذا التفاوت؟
فيجيبه الله تعالى: لانه سألني وانت لم تسألني(١)
ثم قال رسول الله ﷺ: اسألوا الله واجزلوا(٢)، اي اشرح بالتفصيل ماذا تريد
من الله تبارك وتعالى.
الله خَيْرُ الْمَسْئُولِينَ:

السؤال الان كيف كان الله خير المسؤولين؟
هنالك عشرة امور تثبت ان الله تبارك وتعالى هو خير مسؤول سُئِلَ،
وأكرم مدعو دعي، وهي:

- ١- بابه مفتوح في كل الاوقات .
- ٢- في كل الاحوال يمكن أن نسأله ، وفي كل مكان، قياماً وقعوداً،
مشياً وسكوناً، وعلى فراش أو على مائدة، وحتى في بيوت
الخلاء،(فان ذكر الله حسن على كل حال)(٣).
- ٣- لاحدود للطلبات منه تعالى ، مهما كان الطلب صغيراً، ام كبيراً،
وفي أي شأن من الشؤون، فهو القادر على كل شي(وامتلاأت
بِقَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَةُ الطَّلِبَاتِ)(٤).
- ٤- سؤاله عز لاذل فيه، لانه مالك الملك، وسؤاله شرف،(يا مَنْ ذِكْرُهُ
شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ)(٥).

^١ (٣٠٠) قصة تربية للدكتورة حسناء القبانجي/ ص ٢٧٦/ القصة ٢٧٣/ نقلا عن وسائل الشيعة ٧: ٢٤
^٢ وسائل الشيعة ٤ : ١٠٨٤ ، ح : ٨٦٠٨. عن رسول الله ﷺ قال: اسألوا الله من فضله ، وأجزلوا فإنه لا
يتعاضمه شيء(المحقق)
^٣ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٤٩٧ (عن أبي عبد الله ﷺ قال: لا بأس بذكر الله وأنت تبول فإن
ذكر الله عز وجل حسن على كل حال فلا تسأم من ذكر الله)(المحقق)
^٤ دعاء الامام السجاد ﷺ يوم الفطر إذا انصرف من صلاته بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨٣ -
الصفحة ٣٣٥

^٥ الصحيفة السجادية للامام زين العابدين ﷺ ، وكان من دعائه ﷺ بخواتيم الخير

٥- الله يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير (يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير).^(١)

٦- وفي الوقت الذي يقبل فيه القليل من أعمالنا يجازي عليه بالكثير من الاجر والثواب (يا من يَجْنِبِي صَغِيرَ مَا يُثَخَّفُ بِهِ، ويشكر يسير ما يعمل له)^(٢)، (يا من يشكر على القليل ويجازي بالجليل)^(٣).

٧- بل هو يحب سؤال السائلين، ويثيب على السؤال، فضلاً عن الاستجابة له، ويدعو اليه من ادبر عنه، (يَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ)^(٤).

٨- الدخول المباشر على الله تعالى بلا وجود بواب ولا حاجة الى استئذان (بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاعِيَيْنِ)^(٥)، (وَأَبْوَابُ الْإِجَابَةِ لَهُمْ مَفْتُحَةٌ)^(٦).
مَفْتُحَةٌ)^(٧).

٩- الدعاء مقبول بكل اللغات والاشارات، (يا من لا تشتبه عليه الاصوات ، ويا من لا تغلظه الحاجات)^(٨)، (يا سامع كل صوت ويا مدرك كل فوت)^(٩).

^١ مفاتيح الجنان للقمي / دعاء ابي حمزة الثمالي

^٢ الصحيفة السجادية/الدعاء السادس والأربعون

^٣ الصحيفة السجادية الكاملة - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - الصفحة ٢٣٨

^٤ الصحيفة السجادية الكاملة - الإمام زين العابدين عليه السلام دعاؤه (عليه السلام) في العيدين ويوم الجمعة

^٥ الصحيفة السجادية/ الإمام السجاد (عليه السلام) الدعاء السادس والأربعون

^٦ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ زيارة امين الله

^٧ مفاتيح الجنان / دعاء علقمة (هو دعاء يُقرأ بعد زيارة عاشوراء، رواه الشيخ الطوسي، وفيه بيان لمكانة وفضل الأئمة (عليهم السلام) وفي هذا الدعاء يطلب الداعي من الله تعالى أن يقض حوائجه وأن يحفظه من شر الأعداء رواه علقمة بن محمد الحضرمي؛ ولذا فهو يُنسب إليه ويُسمى باسمه) (المحقق)

^٨ (المصباح - الكفعمي - الصفحة ١٨٠) عن الكاظم (عليه السلام) قال رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الأربعاء في النوم فقال لي يا موسى أنت محبوب مظلوم يكرر ذلك على ثلثا ثم قال لعله فتنة لهم ومتاع إلى حين أصبح غدا صائما واتبعه بصيام يوم الخميس والجمعة فإذا كان وقت العشاء من عشية الجمعة فصل بين العشاءين اثنتي عشرة ركعة تقرأ في كل ركعة الحمد والتوحيد اثنتي عشرة مرة فإذا صليت أربع ركعات فاسجد وقل في سجودك: يا سامع كل صوت ويا مدرك كل فوت. (المحقق)

١٠- يعلم ضمير الصامتين، (وَيَعْلَمُ ضَمِيرَ الصَّامِتِينَ)(١).

دعاء سريع الاستجابة:

رواه مقاتل بن سليمان(٢) عن الامام زين العابدين (عليه السلام):

وقال: مَنْ دَعَا بِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ فَلْيَلْعَنْ مَقَاتِلًا، وَالدَّعَاءُ هُوَ:
(إِلَهِي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا أَنَا وَكَيْفَ أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَنْتَ، إِلَهِي إِذَا لَمْ أَسْأَلْكَ فَتُعْطِنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِنِي، إِلَهِي إِذَا لَمْ أَدْعُكَ فَتَسْتَجِبْ لِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَسْتَجِبْ لِي، إِلَهِي إِذَا لَمْ أَتَضَرَّعْ إِلَيْكَ فَتَرْحَمْنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فَيَرْحَمْنِي، إِلَهِي فَكَمَا فَلَقْتَ الْبَحْرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَجَّيْتَهُ أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَآلِهِ وَأَنْ تُنَجِّبَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ وَتَفَرِّجَ عَنِّي فَرَجًا عَاجِلًا غَيْرَ أَجَلٍ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)(٣).

الانسان يقف مبهوراً امام هذه الكلمات الرائعة في أدب الدعاء الوارد عن أئمتنا (عليهم السلام).

أمان الخائفين:

^١ الصحيفة السجادية الكاملة - الإمام زين العابدين (عليه السلام) (رُوي عن أبي حمزة الثمالي ١ أنه قال : سمعت علي

بن الحسين (عليه السلام) يدعو في الجُزْرِ في غرة رجب في سنة ابن الزبير ، فَأَنْصَتُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَقُولُ :
" يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ ، وَ يَعْلَمُ ضَمِيرَ الصَّامِتِينَ ، لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْكَ سَمْعٌ حَاضِرٌ وَ جَوَابٌ عَتِيدٌ ، اَللّهُمَّ
وَ مُوَاعِدُكَ الصَّادِقَةُ ، وَ أَيَادِيكَ الْفَاضِلَةُ ، وَ رَحْمَتُكَ الْوَاسِعَةُ ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَ
أَنْ تُقْضِيَ حَوَائِجِي لِلدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (المحقق)

^٢ مقاتل بن سليمان (توفي: ١٥٠هـ / ٧٦٧م، بالبصرة) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي
البلخي من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل". أصله من بلخ في أفغانستان "حاليا"
وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها (الحق)

^٣ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - الصفحة ٣٩٨

واخيراً، يصل بنا الدعاء الى مفهوم جديد وهو (أمان الخائفين)، كما جاء في الدعاء: (يَا جَارَ الْمُسْتَجِيرِينَ يَا أَمَانَ الْخَائِفِينَ يَا ظَهَرَ اللَّاجِينَ)^(١)، وهنا يقول في دعاء الافتتاح على سبيل الحمد والثناء لله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ) نعم، الله تعالى هو أمان الخائفين في الدنيا والاخرة، لان الحديث القدسي يقول:

(وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنيين ، إذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة)^(٢).
والقرآن الكريم يقول: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} ^(٣)، فالخائفون في الدنيا لهم الامان يوم القيامة.
كما لهم الامان في الدنيا أيضاً، والامان في الدنيا معناه الاطمئنان حتى في شدة الاهوال، وتكالب الاعداء.

فالامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان كلما اشتد عليه الوطيس توهج وجهه نورا واطمئنانا وسكينة^(٤).

وفي عمق الرعب قال موسى وهارون حينما أمرهما الله تعالى بالذهاب الى فرعون: {رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى} ^(٥)، فقال الله تعالى لهما: {لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} ^(٦).

وهكذا نجد ان المؤمن لا يخاف، لانه متكىء على الله تبارك وتعالى،

^١ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ دعاء المشلول (وهو دعاء علمه أمير المؤمنين عليه السلام شاباً مأخوذاً بذنبيه مشلولاً نتيجة ما عمله من الظلم والإثم في حق والده، فدعى بهذا الدعاء واضطجع فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه وقد مسح يده عليه وقال: احتفظ باسم الله الأعظم فإن عملك يكون بخير ، فانتبه معافى)(المحقق)
^٢ الخصال - الشيخ الصدوق - الصفحة ٧٩

^٣ سورة النمل الآية ٨٩

^٤ مقتل الحسين عليه السلام المؤلف: السيد عبد الرزاق ص ٢٨٢ (قال هلال بن نافع كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه ، فوالله ما رأيت قتيلاً قط مضمخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور ، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله)(المحقق)

^٥ سورة طه الآية ٤٥

^٦ سورة طه الآية ٤٦

(يا مَنْ إِلَيْهِ مَلْجَأُ الْعِبَادِ فِي الْمُهَمَّاتِ، وَالْيَهُ يَفْزَعُ الْخَلْقُ فِي الْمُلَمَّاتِ)^(١)،
وقال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}^(٢)، وقال تعالى في قصة
يونس عليه السلام: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي
الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ^(٣).
(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ، وَ يُنَجِّي الصَّالِحِينَ).

^١ مفاتيح الجنان للقمي / دعاء ليلة النصف من شعبان.

^٢ سورة الرعد الآية ٢٨

^٣ سورة الانبياء الآية ٨٧ و٨٨

المحاضرة السابعة عشر:

(وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ،
وَيُهْلِكُ مُلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ،
مُذْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ صَرِيحِ الْمُسْتَصْرِخِينَ،
مَوْضِعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمِدِ الْمُؤْمِنِينَ).

*التقسيم المجتمعي في الاسلام

٢١٠..... شرح دعاء الافتتاح

*ثلاث مهمات في الاسلام

*الملائكة في نصره المؤمنين

*قصه معسكر المسلمين والانوار الثلاثة

وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ:

الدعاء ينقلنا الى صفحة اخرى في مفردة جديدة من المنظومة الفكرية في الاسلام، نتسلهما من هذا الدعاء، لاحظوا كيف انتقل الدعاء من البعد الشخصي الى المجتمع الأممي الدولي والسياسي. كيف يتحول الدعاء الى عرض رائع لمنظومة فكرية (وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ)، هنا فتح صفحة في النظرية السياسية للاسلام، ودور الله تبارك وتعالى في حياة الانسان.

فهناك عدة اسئلة في هذا الشأن:

اولا/ ماهو التقسيم المجتمعي الذي يؤمن به الاسلام؟

ثانيا/ هل يتدخل الله تبارك وتعالى في شأن المجتمع الأممي والشأن السياسي؟

المنظومة الفكرية لدى الغرب والوريثة للفكر الكنسي تقول ان الله يستجيب لنا كافراد، اما في شأن الامة والمجتمع والحكم والسياسة فليس من شأنه التدخل في ذلك، كما تقول المنظومة الفكرية الغربية ان المجتمع ينقسم على أساس طبقي اقتصادي.

والآن لنرى ماذا يقول الاسلام:

التقسيم المجتمعي:

في المحور الاول يقول الدعاء: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ)، فهنا تقسيم للمجتمع الى (مستضعفين ومستكبرين).

هناك تقسيم طبقي يرفضه الاسلام في التفاضل بين الناس، التقسيم الى عمال ورأسماليين، وفلاحين، ونخب، سادة وعبيد، وأمراء، وأغنياء وفقراء، هذا التقسيم الطبقي يرفضه الاسلام.

كما يرفض الاسلام التقسيم القومي.
فالاسلام {رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١)، و {كَافَّةً لِّلنَّاسِ} (٢)، و (الناس سواسية كأسنان المشط) (٣) كما قال رسول الله ﷺ.

الاسلام يضع اساسا واحدا للتقسيم المجتمعي وعليه يتفاضل الناس، وهو الاساس الاخلاقي، وحتى التقسيم على أساس العقيدة فانما يربطه الاسلام بالبعد الاخلاقي، فالكفر هو كبر واستكبار عن عبادة رب العالمين. فالذي آمن خضع وتواضع للحق، والذي لم يؤمن استكبر، {إِلَّا إِيْلَيسَ اسْتَكْبَرَ} (٤) فالمقياس هنا كان مقياسا اخلاقيا.

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

(أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد، فأما الحرص فان آدم عليه السلام حين نهى عن الشجرة، حمله الحرص على أن أكل منها وأما الاستكبار فإبليس حيث أمر بالسجود لآدم فأبى، وأما الحسد فابن آدم حيث قتل أحدهما صاحبه) (٥).

وهكذا تعود كل المعاصي والخروج عن طاعة الله تعالى الى البعد الاخلاقي.

لاحظوا عندما يقول الدعاء: {وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ}، فهناك استضعاف واستكبار، هذا هو المقياس الاخلاقي في تقسيم المجتمع.

^١ سورة الانبياء الآية ١٠٧

^٢ سورة سبا الآية ٢٨

^٣ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٣٦٢٩

^٤ سورة ص الآية ٧٤

^٥ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٨٩

شرح دعاء الافتتاح..... ٢١٣

لهذا نرى هرون قال لموسى عليه السلام: {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} (١).

هذا هو المحور الاول في البحث استلهاماً من الدعاء (وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضَعِّينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ).

ثلاث مهمات في الاسلام:

أما المحور الثاني فيما نستلهمه من هذا الدعاء فهو تدخل الله تعالى في الشأن المجتمعي السياسي ، حيث يقول الدعاء : (وَيُهْلِكُ مُلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ).

نلاحظ هنا ثلاثة اشياء من مهمات الاسلام وهي:

١- بناء الفرد الصالح.

٢- بناء المجتمع الصالح.

٣- بناء الحكومة الصالحة.

بينما يقول الفكر الغربي الكنسي ان الدين مهمته بناء الفرد الصالح فقط.

اما في الاسلام فان مهمة الدين والانبياء هي بناء الفرد الصالح، والمجتمع الصالح، والحكومة الصالحة.

يقول الله تعالى بشأن بناء الامة الصالحة: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} (٢)، ويقول: {وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} (٣)، فالقرآن الكريم يؤكد هنا على الامة وليس الفرد فقط.

ويقول بشأن بناء الفرد {وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ} (٤)، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٥).

^١ سورة الاعراف الاية ١٥٠

^٢ سورة ال عمران الاية ١١٠

^٣ سورة ال عمران الاية ١٠٤

^٤ سورة البقرة الاية ٢٢١

^٥ سورة الحجرات الاية ١٣

ويقول ايضا في استعراض قانون الاستبدال الاممي: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (١)، اذن فيها هنا امة ومجتمع، يستبدل بها الله تعالى امة اخرى.

وأما بشأن الحكومة، فالاسلام يريد اقامة حكومة صالحة غير مستكبرة. الامام الحسين عليه السلام يقول وهو يرفع راية الثورة ضد الطغيان: (ما لإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله) (٢).

وهكذا كان يقول الامام علي عليه السلام: (ان أحق الناس بهذا الامر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه) (٣). اذن في النظرية الاسلامية ثلاثة محاور يجب العمل على تكاملها هي: الفرد، والمجتمع، والحكومة.

اذن حينما نقرأ في الدعاء: (قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ) معناه ان الله نبارك وتعالى يتدخل في شأن التغيير المجتمعي، الاممي، والسياسي، وينصر عباده المؤمنين ويهلك أعدائهم، هذه مفردة رائعة في المنظومة الفكرية في الاسلام.

الاهتمام بشؤون المجتمع:

من الملفت في الدعاء هذه الانتقالة من البعد الفردي الى البعد المجتمعي حين يقول (يَرْفَعِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعِ الْمُسْتَكَبِرِينَ).

وهكذا ينتقل بنا الدعاء الى الهموم العامة للبشرية ومسيرتها كما نقرأ في دعاء شهر رمضان:

(اللَّهُمَّ ادْخُلْ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ السُّرُورَ، اللَّهُمَّ اغْنِ كُلَّ فَقِيرٍ، اللَّهُمَّ أَشْبِعْ كُلَّ جَائِعٍ، اللَّهُمَّ اكْسُ كُلَّ عُرْيَانٍ، اللَّهُمَّ اقْضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِينٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَن كُلِّ مَكْرُوبٍ، اللَّهُمَّ رُدِّ كُلَّ غَرِيبٍ، اللَّهُمَّ فُكِّ كُلَّ أَسِيرٍ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ كُلَّ فَاسِدٍ مِنْ

^١ سورة محمد الآية ٣٨

^٢ مثير الأحزان - ابن نما الحلي - الصفحة ١٦

^٣ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٩ - الصفحة ٣٢٨

شرح دعاء الافتتاح..... ٢١٥

أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اشْفِ كُلَّ مَرِيضٍ، اللَّهُمَّ سُدِّ فَقْرَنَا بِغِنَاكَ، اللَّهُمَّ غَيِّرْ
سُوءَ خَالِنَا بِحُسْنِ خَالِكَ، اللَّهُمَّ، أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

لاحظوا هنا جاء الدعاء بصيغة الجمع وليس المفرد، الدعاء للجميع
وليس لي فقط، وهذه أخلاقية رائعة في التربية الدينية.
وعن النبي ﷺ قال:

(من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)^(٢).
وهنا أيضا في دعاء الافتتاح نرى ان الامام ﷺ قد ادخل هذا الهم في
شؤون المسلمين في صيغة دعاء عندما قال:
(اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعَزِّزُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا
النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ،
وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

هذا هو شأن النظام والحكم، لكن الامام ﷺ ادخلها في نص الدعاء،
ونحن هنا نسجل حمدا لله على هذه الصفة، حيث من جملة المحامد انه
تبارك وتعالى يتصرف في شؤوننا السياسية والاجتماعية، (فَيَرْفَعُ
الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَيُهْلِكُ مُلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ).
واجب الضعفاء:

ولكن كل ذلك بشرط ان يتحمل المؤمنون المستضعفون دورهم في
السعي نحو التحرر، ويتحملوا دورهم في نصرة بعضهم بعضا كما قال
تعالى:

{مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} ^(٣).

^١ الدعاء يقرأ عقيب الفرائض في أيام شهر رمضان رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ دَعَا بِهِذَا الدُّعَاءِ فِي
شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٥ -
الصفحة ١٢٠)

^٢ وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٦ - الصفحة ٣٣٧

^٣ سورة النساء الآية ٧٦

وقال تعالى مندداً بحالة الاسترخاء والتسليم للظلم: {الَّذِينَ تَوْفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} (١).

المستضعف الذي ينصره الله تعالى هو -اذن- ذاك الذي يطالب بحقه، وليس الذي يمد عنقه للظالمين، هذه هي التربية الإسلامية.

الملائكة تسلم على علي (عليه السلام):

في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك وهي ليلة السابع عشر منه ليلة معركة بدر، وكان الرسول ﷺ مع المسلمين في تلك الليلة، طلب المسلمون ماء، فطلب الرسول ﷺ ان يتطوع احد منهم لجلب الماء فلم يستجب احد الا الامام علي (عليه السلام)، فاخذ القرية في تلك الليلة المظلمة الباردة ونزل بنفسه الى عمق البئر وملاً القرية، واتى بالماء وفي الطريق هبت عاصفة عصفت به فانحنى حتى سكنت، ثم عصفت عاصفة ثانية، وانحنى حتى سكنت، ثم عصفت الثالثة وانحنى حتى سكنت. فلما عاد قال له رسول الله ﷺ: مالذي ابطاك يا علي؟

فقصَّ الامام ﷺ ماجرى عليه في الطريق.

فقال له الرسول ﷺ: اتدري ماهي هذه الرياح؟

اما الاولى فجبرئيل هبط مع الف من الملائكة يسلمون عليك على هذا الانجاز، وفي الثانية هبط ميكائيل ومعه الف من الملائكة، وفي الثالثة هبط اسرافيل ومعه الف من الملائكة، وكلهم يسلمون عليك (٢).

^١ سورة النساء الآية ٩٧

^٢ راجع الخصال/ للشيخ الصدوق/ ص ٥٥٣/ ح ٣١

قصيدة السيد الحميري^(١) :

هذا المعنى ينظمه السيد الحميري في قصيدته التي يمدح بها الامام علي عليه السلام ويذكر فيها واقعة بدر^(٢) قائلا:

أقسم بالله وآلائه	...	والمرء عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب	...	على التقى والبر مجبول
ذاك الذي سلم في ليلة	...	عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في	...	ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مددا انزلوا	...	كأنهم طير أبابيل
فسلموا لما أتوا حذوه	...	وذاك أعظام وتجيل ^(٣)

وعن أبي سعيد الهروي قال: ان الحميري لما دنت منه الوفاة أسود وجهه فقال مخاطبا أمير المؤمنين عليه السلام: هكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟

قال: فأبيض وجهه كأنه القمر ليلة البدر، فأنشد على الفور قائلا:

كذب الزاعمون أن عليا	...	لن ينجي محبه من هنات
قد وربي دخلت جنة عدن	...	وعفا لي الإله عن سيئاتي
فابشروا اليوم أولياء علي	...	وتولوا علي حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه	...	واحدا بعد واحد بالصفات ^(٤)

^١ إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري، المعروف بالسيد الحميري، مع أنه ليس علويًا ولا هاشميًا، وإنما أطلق أطلق عليه السيد لقباً من أمه. كان من أئمة اللغة والأدب، ومن المتبحرين في علم التفسير والفقه والفضائل، ومن خبراء وقائع العرب وأيامهم وأنسابهم ومحاسنهم ومساوئهم، بالإضافة إلى ذلك كله وقوفه التام على التاريخ العام، وتاريخ الإسلام بالخصوص (المحقق)

^٢ غزوة بدر، أو غزوة بدر الكبرى، هي أولى معارك المسلمين ضد مشركي قريش بعد الهجرة إلى المدينة بقيادة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وكانت الواقعة في ١٧ من شهر رمضان للسنة الثانية للهجرة في منطقة بدر. وقد انتصر المسلمون في هذه الواقعة على خصومهم، بقتلهم وأسروهم عدداً من كبار جيش العدو. ولقد عزز هذا النصر من مكانة المسلمين في المدينة المنورة. ويذكر المؤرخون من أهم أسباب انتصار المسلمين هو البطولات والتضحيات التي قدمها المسلمون على رأسهم الإمام علي عليه السلام وحمزة سيد الشهداء. تعد هذه الغزوة إحدى الغزوات اللاتي ذُكرت في القرآن الكريم والتي اعتبرها نموذجاً للإمدادات الإلهية. (المحقق)

^٣ الغدير - الشيخ الأميني - ج ٢ - الصفحة ٢٦٩

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠٨ - الصفحة ٨٦

قصة المعسكر والانوار الاربعة:

ومازلنا في الحديث عن تدخل الله تعالى في نصره عباده المؤمنين، أحببت أن أقرأ لكم هذه الرواية:

روى الامام علي عليه السلام ما كان من أمر الجيش الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكفار فوثب الكفار عليه ليلاً، وكانت ليلة ظلماء دامسة والمسلمون نيام، ولم يك فيهم يقظان سوى زيد بن حارثة^(١) وعبد الله بن رواحة^(٢) وقتادة بن نعمان^(٣) وقيس بن عاصم المنقري^(٤)، وكلّ منهم يقظان في جانب من جوانب المعسكر يصلي الصلاة أو يتلو القرآن، وكاد المسلمون أن يهلكوا لأنهم في الظلام لا يبصرون أعداءهم ليتقوهم، وإذا بأضواء تسطع من أفواه هؤلاء النفر الاربعة تضئ معسكر المسلمين فتورثهم القوة والشجاعة، فوضعوا السيوف على الكفار فصاروا بين قتيل أو جريح أو أسير، فلما رجعوا قصّوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ هذه الانوار قد كانت لما عمله اخوانكم هؤلاء من الاعمال في غرة شعبان"^(٥).

^١ زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أوائل المسلمين، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكره الله في القرآن الكريم، ومن المهاجرين إلى المدينة المنورة. روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب قبل الهجرة، وبينه وبين أسيد بن حضير بعد الهجرة، وتزوج من أم أيمن وأنجبت له أسامة، وشهد معركة بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مجموعة من السرايا، منها: سرية القردة، وسرية وادي القرى. (المحقق)

^٢ عبد الله بن رواحة (المتوفى في جمادى الأولى سنة ٨ هـ) صحابي بدري وشاعر وقائد عسكري، وأحد نقباء الأنصار الإثنا عشر، شارك في غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أحد الشعراء الذين يدافعون بشعرهم عن

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. استشهد في يوم مؤتة سنة ٨ هـ، وهو قائد المسلمين أمام الروم وحلفائهم الغساسنة (المحقق)

^٣ قتادة بن النعمان (المتوفى سنة ٢٣ هـ) صحابي من الأنصار من بني ظفر من الأوس، بايع النبي محمد بيعة العقبة الثانية، وشهد معه المشاهد كلها، وتوفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب (المحقق)

^٤ قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي صحابي جليل ومن سادات العرب وأشرافهم، وهو الذي قدم على رسول الله سنة ٩ هـ في وفد بني تميم فأكرمه وقال له: «هذا سيد أهل الوبر». وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات، مظفر في غزواته، أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما وأسلم وحسن إسلامه، وأتى صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه في حياته، وعمر بعده زماناً وروى عنه عدة أحاديث، عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلم له لواء معركة مؤتة

في سنة ٨ هـ واستشهد فيها، ويقع قبره في الأردن، في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك. (المحقق)
بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٤ - الصفحة ٥٥

اذن هنا يرفع الله المستضعفين ويضع المستكبرين ، متى؟
عندما يعد الانسان نفسه لمواجهة المستكبر ، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (١).

ظلامات الشيعة ونضالهم:

ورغم كل ماتعرض له شيعة أهل البيت ﷺ على طول التاريخ من عدوان وملاحقة وظلم، الا انهم صمدوا وجاهدوا ولم يستسلموا، وكان الله ناصرهم ومعينهم.

قصة حميد بن قحطبة (٢) :

ويكفي لمعرفة العذابات التي ذاقها الشيعة على عهد هارون الرشيد ان نقرأ قصة حميد بن قحطبة الرجل المقرب من البلاط العباسي .
يروى عبيد الله البزاز قال :

(كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم أغيرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فاتني بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم وأنا في شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟

فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان، ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار.

فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإنني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى.

^١ سورة الانفال الآية ٦٠

^٢ حُمَيْدُ بْنُ قَحْطَبَةَ بْنِ شَيْبَةَ الطَّائِي الْأَمِيرُ قَائِدُ مِنَ قَادَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. أَبُوهُ قَحْطَبَةُ وَأَخُوهُ حَسَنٌ مِنَ قَادَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ أَيْضًا. وَقَدْ دُفِنَ الْإِمَامُ الرِّضَا (ع) بِأَمْرِ مِنَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ فِي قَصْرِ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ، وَاشْتَهَرَ بِالْقُبَّةِ الْهَارُونِيَّةِ لِدَفْنِ هَارُونَ الْعَبَّاسِيِّ فِيهَا. (المحقق)

٢٢٠..... شرح دعاء الافتتاح

فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟
فقال: أنفذ إلي هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن
أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تنقد وسيفا أخضر مسلولا
وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلي فقال: كيف
طاعتك لأمر المؤمنين؟
فقلت: بالنفس والمال.
فأطرق ثم أذن لي في الانصراف.
فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال: أجب أمير المؤمنين.
فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأي
استحيا مني فعدت إلي بين يديه.
فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟
فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد.
فتبسم ضاحكا، ثم أذن لي في الانصراف.
فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إلي فقال: أجب أمير المؤمنين.
فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك
لأمر المؤمنين؟
فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين.
فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتلئ ما يأمر بك به هذا الخادم.
قال: فتناول الخادم السيف وناولني وجاء بي إلى بيت بابيه مغلق ففتحه
فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا
فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون.
فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمر بك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من
ولد علي وفاطمة عليهما السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه حتى
أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر.

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٢١

ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون.

فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمر بك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب.

فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمر بك أن تقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر. حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتلت من أولاده ستين نفسا، قد ولد لهم علي وفاطمة عليهما السلام.

فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر.

فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أني مخلص في النار^(١).

فلما وصل امر حميد بن قحطبة إلى الإمام الرضا عليه السلام، قال: (إن يأسه من رحمة الله اعظم جرما من قتله ستين علويا في ليلة واحدة)

لاحظوا اذن سعة رحمة الله تعالى، وحرمة اليأس، والقنوط منها، كما لاحظوا ايضا حجم الجرائم التي ارتكبت بحق شيعة اهل البيت عليهم السلام على طول التاريخ.

ولاحظوا أيضا نصر الله تعالى ودفاعه عنهم وذل اعدائهم .
(يَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَيَضَعُ الْمُسْتَكَبِرِينَ)

^١ بحار الانوار للمجلسي ج ٤٨ ص ١٧٦-١٧٧-١٧٨

شرح دعاء الافتتاح	٢٢٢
-------------------------	-----

المحاضرة الثامنة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ،
مُذْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ صَرِيحِ الْمُسْتَصْرِخِينَ،
مَوْضِعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمِدِ الْمُؤْمِنِينَ).

*اشكال التدخل الالهي
*نظرية الوعي الكوني
*نظرية الهدى والضلال

شرح دعاء الافتتاح	٢٢٤
-------------------------	-----

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٢٥

(الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ، مُدْرِكِ الْهَارِبِينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ صَرِيحِ الْمُسْتَضْرَحِينَ، مُوَضِّعِ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ، مُعْتَمِدِ الْمُؤْمِنِينَ).

أشكال التدخل الالهي:

ما زال الحديث عن هذا المقطع (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ الْمُسْتَضَعْفِينَ). وقد كان السؤال ان الله تعالى كما يتدخل ويتفضل على عباده في الامور الشخصية، والذي أشار اليها الدعاء بقوله:
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ، وَيَسْتُرْ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَةٍ وَأَنَا أَغْصِيهِ).

هل أن الله تعالى يتدخل أيضاً في امور العباد المجتمعية والسياسية بشكل عام، فالامام (عليه السلام) حين يقول في الدعاء: (الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ)، فمعناه ان الله تبارك وتعالى يتدخل في الشأن الاممي السياسي، كما يتدخل في الشأن الشخصي، فهو يرفع المستضعفين، ويقصم الجبارين، ومبير الظالمين، هذا التدخل على ثلاثة اشكال:

اولا/ التدخل النبوي:

كيف يرفع الله المستضعفين ويقصم الجبارين ؟
وذلك من خلال ارسال الانبياء والرسل (عليهم السلام) ، وهم يقودون الشعوب ، ويقودون اممهم للتحرر من الطغاة.
مثلا موسى وهرون ماذا قالوا لفرعون؟
قالوا: {أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ} (١)، ومعنى ذلك انهم يطالبون بتغيير سياسي .
فالانبياء (عليهم السلام) مهمتهم انقاذ العباد سواء على مستوى الوعظ والتوعية، او على مستوى قيادتهم في عملية التغيير واقامة حكم عادل.

^١ سورة الشعراء الاية ١٧

والقرآن الكريم يقول: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (١).
 فالله تبارك وتعالى يتدخل في شأن انقاذ العباد من الطغاة، والجبابرة، وذلك من خلال بعثة الانبياء، {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} (٢)، فالهدف ليس فقط هو تعليم المسائل الدينية، بل الهدف انقاذ العباد ايضا واقامة الحكم العادل بالحق.

فالانبياء ﷺ عندما بعثهم الله تعالى الى الامم، وبعدهم الائمة الاوصياء ﷺ جعلهم قادة لتلك الامم، وهذا تطف من الله تبارك وتعالى في الشأن المجتمعي الاممي السياسي .
ثانيا/ التدخل التشريعي:

فالله تبارك وتعالى يعطي للشعوب ولللام نظاما تشريعيا في الشأن الاقتصادي، والاجتماعي، وحتى الاحوال الشخصية، كما في الشأن السياسي ونظام الحكم أيضاً.
 فالامام علي ﷺ حينما يقول:
 (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ) (٣).

اذن هذا تشريع في الشأن السياسي، وان الله تبارك وتعالى لايقبل بسلطة الظالمين ، وانما يريد حكومة اولي الامر الصالحين {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (٤).

هذا هو تطف وتدخل ومن من الله تبارك وتعالى بان قدّم للناس تشريعا في نظام الحكم ، كما في نظام الاسرة، وكما في نظام الميراث، ونظام

^١ سورة ص الآية ٢٦

^٢ سورة المؤمنون الآية ٤٤

^٣ نهج البلاغة للامام السجاد ﷺ الخطبة ١٧٣

^٤ سورة المائدة الآية ٥٥

شرح دعاء الافتتاح.....٢٢٧

البيع والشراء، فالله تعالى قدم تشريعاً هادياً للشعوب قائلاً لهم على لسان نبيه ﷺ: (افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)(١).

والامام الحسين عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله(٢).

هذا هو تشريع من الله تبارك وتعالى وهداية للامم، وهذا تشريع في شأن نظام الحكم، وحركة الشعوب في الشأن السياسي، وهذا يعتبر تدخلاً ولطفاً من الله تعالى في هذا الشأن.

ثالثاً/ التدخل الميداني:

وكما ان الله تبارك وتعالى يرسل الانبياء، ويجعلهم قادة، وكما يعطي للبشرية تشريعاً في شأن الحكم وادارة البلاد، فانه تعالى اضافة الى ذلك يتدخل تدخلاً ميدانياً على الارض في نصرة المظلومين والاطاحة بالجبارين.

فالله تعالى معني بشأن الانسان، وحكومة الانسان، فليس فقط يتدخل في ان يرزقنا الطعام والشراب، بل حتى في شؤون الحكم أيضاً، حكم الناس وسعادتهم، لاحظوا ماذا يقول القران الكريم؟

يقول: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ}(٣) فهو يتحدث عن معركة كانت بين الروم والفرس ويقدم قراءة للواقع بان هؤلاء الروم الذين كانوا يؤمنون بالله تعالى قد غلبوا، ثم يقدم الله تعالى رؤية للمستقبل بان هؤلاء

^١ عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى، فقال: يا رسول الله! أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: أين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر(ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ١٩٤٤)

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - الصفحة ٣٨٢

^٣ سورة الروم الآية ٢

سَيَغْلِبُونَ {وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ} (١)، وحينئذ سيفرح المؤمنون بنصر الله تعالى {وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ بنصر الله} (٢)، {يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ} (٣).

هذه قراءة للمستقبل السياسي، ومعنى هذا ان الله تعالى معني بشؤون المعركة البشرية بين الحق والباطل، بين الايمان والكفر، ويتدخل تدخلا ميدانيا، كما قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} (٤).

الدعاء يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ، مُبِيرِ الظَّالِمِينَ).

ومعنى ذلك ان الله يتدخل تدخلا مباشراً أو غير مباشر ميدانيا في شان الانسان وواقعه الاجتماعي والسياسي. .

وفي سورة الفيل يقول:

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} (٥)، القرآن هنا يتحدث عن تدخل ميداني مباشر بنزول الله تعالى الى الساحة عبر ملائكته وجنوده، فيقول: {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} (٦)، فهذا تدخل ميداني في نصره المستضعفين والاطاحة بالمستكبرين {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} (٧).

وفي معركة بدر يتحدث الله تبارك وتعالى بشكل واضح ، يقول انا كنت حاضراً معكم في الساحة وفي ميدان المعركة {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ

^١ سورة الروم الاية ٣

^٢ سورة الروم الاية ٤

^٣ سورة الروم الاية ٥

^٤ سورة النور الاية ٥٥

^٥ سورة الفيل الاية ١

^٦ سورة الفيل الاية ٢ و ٣

^٧ سورة الفيل الاية ٤

الدُّنْيَا} (١) حينما كنتم ايها المسلمون في أسفل الوادي، {وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} (٢)، وكانت قريش في اعلى الوادي، {وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} (٣)، وركب ابي سفيان اسفل منكم، والله تعالى يقول: ان ساعة الصفر في المعركة انا الذي حددتها لأنكم لو تواعدتم لاختلفتكم {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} (٤)، لكن الله تعالى حسم الامر وانتم لاتشعرون بذلك {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ} (٥).

وفي هذه المعركة بالذات نرى ان الله تبارك وتعالى يتدخل حتى في عالم الرؤيا وال المنام، فالرسول ﷺ رأى في المنام ان قريشاً عددهم قليل، فتحدث الرسول مع المسلمين بهذا المنام ففرحوا واصبح لديهم قوة معنوية عالية لخوض المعركة بعد ان اكد لهم الرسول ﷺ مارأى في منامه بان عدد قريش قليل {إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} (٦) بينما هم في الواقع اكثر اكثر من ذلك، واكثر من المسلمين.

ثم يستمر الحضور الالهي فيقول: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّنُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (٧)، فنظر المسلمون الى قريش بنظرة القلة فاندفعوا للقتال، بينما قريش كانت تنظر الى المسلمين بنظرة القلة أيضاً {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} (٨)، {أَعْيُنُهُمْ} (٩)، فيندفعون للقتال ايضاً، هذا بفضل الله تعالى وتدخله المباشر في نصرة المسلمين، {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} (٩).

^١ سورة الانفال الآية ٤٢

^٢ سورة الانفال الآية ٤٢

^٣ سورة الانفال الآية ٤٢

^٤ سورة الانفال الآية ٤٢

^٥ سورة الانفال الآية ٤٢

^٦ سورة الانفال الآية ٤٣

^٧ سورة الانفال الآية ٤٤

^٨ سورة الانفال الآية ٤٤

^٩ سورة الانفال الآية ٤٤

٢٣٠..... شرح دعاء الافتتاح

ومن هنا ونحن في ليلة القدر نستذكر النداء الالهي في معركة بدر، حينما نادى المنادي في السماء: (لافتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار)(١)، ويذكر المؤرخون كما يرى العلامة الاميني(٢) في كتابه الغدير(٣) - ان هذا النداء تكرر مرتين، مرة في معركة بدر، ومرة في معركة أحد، وقد كان المنادي في بدر هو رضوان، وفي أحد كان جبرئيل(٤).

^١ الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ١٦٧ (وذلك في غزوة (أحد) ذكر الطبري في ج ٣ ص ١٧ عن عبيد الله بن أبي رافع قال: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: (احمل عليهم) فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي قال: ثم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي: إحمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جماعتهم، وقتل شيبه بن مالك أحد بني عامر بن لؤي، فقال جبريل: يا رسول الله إن هذا للمواسات فقال رسول الله ﷺ: إنه مني وأنا منه فقال جبريل: وأنا منكما: قال: فسمعوا صوتا:

لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتى إلا علي وأخرج ابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٥٢ عن ابن أبي نجيب قال: نادى مناد من السماء لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتى إلا علي قال حسان بن ثابت: جبريل نادى معلنا * والنقع ليس بمنجلي والمسلمون قد أصدقوا * حول النبي المرسل لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتى إلا علي)

^٢ الشيخ عبد الحسين الأميني ولد في مدينة تبريز سنة ١٣٢٠ هـ، وبدأ فيها دراسته، ثم هاجر لمواصله الدراسة الدينية إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف، حتى منحه كبار العلماء إجازات في الفقه والاجتهاد، من أهم تأليفاته موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ومن آثاره انشاؤه مكتبة في النجف الأشرف سماها مكتبة أمير المؤمنين وجعلها مكتبة عامة. وتوفي الأميني سنة ١٣٩٠ هـ في طهران، ونقل جثمانه إلى النجف ودفن في غرفة بالقرب من مكتبته التي أسسها.(المحقق)

^٣ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، كتاب حول حديث الغدير وأسانيده ورواته من الصحابة والتابعين، من تأليف الشيخ عبد الحسين الأميني، قدم المؤلف في هذا الكتاب بحثاً جامعاً وكاملاً، وأثبت أنه أكثر الأحاديث تواتراً واعتباراً، ولا يمكن لأحد إنكاره حيث رواه ١١٠ من الصحابة و٨٤ من التابعين بطرق صحيحة، وذكر سلسلة رواته من زمن النبي (ص) إلى علماء القرن الرابع عشر الهجري معتمداً على مصادر السنة. وأشار المؤلف فيه إلى مجموعة مباحث منها: الخلافة، والولاية، وفدك وتصرفات معاوية ابن أبي سفيان وغيرها من المباحث، كما يعتبر كتاب الغدير من أهم الكتب المؤلفة حول واقعة الغدير، ويصل حجم الكتاب إلى ١١ مجلداً.(المحقق)

^٤ ورد في تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٦: ذكر أحمد في الفضائل إنهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم (يوم خيبر) وقائلاً يقول:

(لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتى إلا علي فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينشد شعر فأذن له فقال: جبريل نادى معلنا * إلى آخر الأبيات المذكورة ثم قال ما ملخصه: يقال: إن الواقعة كانت يوم أحد كما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس، وقيل: إن ذلك كان يوم بدر، والأصح أنه كان في يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء). إنتهى.

قال الأميني: (إن الأحاديث تؤدّننا بتعدد الواقعة وإن المنادي يوم أحد كان جبريل كما مر، والمنادي يوم بدر ملك يقال له: رضوان، قد أجمع أئمة الحديث على نقله كما قال الكنجي وأخرجه في كفايته ص (١٤٤)(المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٣١

اذن هذا نمط من التدخل الميداني من قبل الله تبارك وتعالى في نصره المسلمين.

ولهذا حينما نقول (قاصم الجبارين)، فهو تعالى يتدخل في نصره عباده المؤمنين والاطاحة بالطغاة المستكبرين.
(مُذْرِكُ الْهَارِبِينَ)

لأحد يستطيع ان يهرب من بطش الله تعالى وغضبه وانتقامه، وهنا الامام زين العابدين عليه السلام يجسد هذا المعنى حينما يقول :
(سيدي لو أن عبدا استطاع الهرب من مولاه، لكنت أول الهاربين منك فاين المهرب من عدلك ياسيدي)(١).

يقول طاووس اليماني وهو من معاصري الامام السجاد عليه السلام :
(بينما انا في بيت الله الحرام وعند الكعبة رايت الامام زين العابدين عليه السلام في ذلك المكان قائماً وهو يدعو الله ويبكي من خشية الله، فلما فرغ من صلاته قلت له: رأيتك على حالة من الخشوع ولك ثلاثة أمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله ﷺ.
الثاني: شفاعه جدك.
الثالث: رحمة الله.

فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: «يا طاووس، أما أني ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمنني ذلك وقد سمعت الله تعالى يقول: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} (٢)، وأما شفاعه جدِّي فلا تؤمنني؛ لأن الله تعالى يقول: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى} (٣) وأما رحمة الله فالله يقول: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٤) ولا أعلم أني محسن» (٥).

^١ بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام - جعفر عباس الحائري - الصفحة ٣٣

^٢ سورة المؤمنون الآية ١٠١

^٣ سورة الانبياء الآية ٢٨

^٤ سورة الاعراف الآية ٥٦

^٥ بحار الأنوار : ٤٦ / ١٠١

هكذا اذن الله تعالى (مُذْرِكِ الْهَارِبِينَ)، ولا يتمكن أحد الخروج من قبضة الله.

هنا انتقال من ذكر محامد الله تعالى بشأن الانسان ، الى تجلٍ من تجليات عظمته تعالى بشأن الخلق، فيقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا، وَتَرْجَفُ الْأَرْضُ وَعَمَّارُهَا، وَتَمْوُجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبُحُ فِي عَمَرَاتِهَا).

نظرية الوعي الكوني:

الاسلام ومن خلال الدعاء يؤكد (نظرية الوعي الكوني).
ان العلوم الطبيعية لحد الان لم تصل الى معرفة (نظرية الوعي الكوني)، لكن الاديان الالهية تؤكد هذه النظرية منذ اليوم الاول، اي ان هذا الكون من الشجرة الى المجرة، ومن الثرى الى الثريا كله يمتلك وعياً وحياءً ومعرفة بالله تبارك وتعالى .

والقرآن الكريم مليء بالامثلة عن هذه النظرية وهي ليست غريبة علينا في الفهم الديني.

القرآن الكريم عندما يتحدث في قصة سليمان {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} (١)، نرى ان النملة تمتلك وعياً وخطاباً وهي تخشى سليمان وجنوده، اذن فهي تمتلك وعياً كونياً، فهذه النملة الصغيرة يستعرض بها القرآن الكريم مثلاً لوعي الكائنات.

ومثال اخر في قصة سليمان أيضاً: {فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} (٢)، فقال الهدهد {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ

^١ سورة النمل الآية ١٨

^٢ سورة النمل الآية ٢٠ و ٢١

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٣٣

الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} (١)، وهذا خطاب ووعي ومعرفة يمتلكها هذا الهدهد وهو نموذج لسائر الطيور.

وهذه هي نظرية الوعي الكوني.

واليوم عندما نقرا في الدعاء (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرَعْدُ السَّمَاوُتُ وَتَرْجَفُ الْأَرْضُ وَعُمَارُهَا، وَتَمُوجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي عَمَرَاتِهَا)، فالسماو والبر والبحر كلها تسبح لله تعالى كما يقول القرآن الكريم، فكل مافي الوجود يسبح بحمده تعالى {وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} (٢)، وكلمة (شيء) تشمل كل الموجودات العاقلة، وغير العاقلة، فالكل تسبح بحمده تعالى وهذه هي (نظرية الوعي الكوني).

فالكون كله خاشع وخاضع لارادة الله تعالى ويسبح بحمده {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (٣).

هكذا الارض وسهولها وجبالها واهلها وساكنون عليها (وَتَرْجَفُ الْأَرْضُ وَعُمَارُهَا)، وهكذا البحار وحياتها واسماكها (وَتَمُوجُ الْبِحَارُ) وَمَنْ يَسْبَحُ (أو يسبح) في عَمَرَاتِهَا، فالجميع عارف بالله خاضع له يسبح بحمده.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.

هذا هو دعاء اهل الجنة حيث يقول القرآن الكريم: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} (٤)، {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} (٥)، {وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٦).

^١ سورة النمل الآية ٢٤، ٢٣

^٢ سورة الاسراء الآية ٤٤

^٣ سورة الاسراء الآية ٤٤

^٤ سورة الاعراف الآية ٤٣

^٥ سورة الاعراف الآية ٤٣

^٦ سورة الاعراف الآية ٤٣

نظرية الهدى والضلال:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا)، فالهدى اذن هو من الله، والسؤال هنا اذا كان الهدى من فعل الله فاين ارادة الانسان وحريته؟
هل تعني هذه الآية ان الانسان مجبور على الهدى أو الضلال؟
الجواب: كلا.

هنالك هدايتان:

الاولى: هداية تكوينية عامة، {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (١) ،
كما هناك هداية دينية عامة ايضاً {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ} (٢).
الثانية: هداية دينية خاصة بمن اهتدى بالفعل، {وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} (٣)
وليس كل البشر، {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي} (٤)، هذه هي الهداية الخاصة
بالمؤمنين الذين نالوا شرف الهدى، وهي بفضل الله تعالى، (بِنُورِكَ
اهْتَدَيْنَا) (٥)، وليس بمعنى الجبر على الانسان، وانما الهدى هو من فعل
الانسان ولكنه بفضل الله وتوفيقه ونوره.

مثال ذلك حين تقول: (ماكنا لنسلك الطريق الا ان دللتنا عليه)، فالذي
دلنا هو صاحب الفضل، ولكن انت الذي سلكت الطريق ولم تكن مجبوراً
على ذلك ، فاصبحت هنا مزاجية بين ارادة الانسان وبين فضل الله تعالى.

هدية شيعه أهل البيت عليه السلام :

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النبي ﷺ إذ
أقبل بوجهه على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ألا أبشرك يا أبا الحسن .
فقال: بلى يا رسول الله.

^١ سورة طه الآية ٥٠

^٢ سورة الانسان الآية ٣

^٣ سورة الانعام الآية ٩٠

^٤ سورة الاعراف الآية ١٧٨

^٥ مفاتيح الجنان للقمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي

شرح دعاء الافتتاح.....٢٣٥

فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن الله جل جلاله أنه قد أعطى شيعتك
ومحببك تسع خصال:

الرفق عند الموت، والانس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والامن عند
الفرع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل
سائر الناس بثمانين عاما، ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم (١).

^١ بشارة المصطفى ﷺ لشبيعة المرتضى (عليه السلام) - عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري ص ٩٨

شرح دعاء الافتتاح	٢٣٦
-------------------------	-----

المحاضرة التاسعة عشر:

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَ يَرْزُقُ وَلَا يَرْزُقُ،
و يَطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ، وَ يُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَ يُحْيِي الْمَوْتَى
وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ)

- *نظرية الفاعل المطلق
- *فرضيات في قصة الخلق
- *حقيقة الظلام والنور

شرح دعاء الافتتاح	٢٣٨
-------------------------	-----

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٣٩

وصلنا الى نهاية الفصل الاول من دعاء الافتتاح، وهو الفصل المخصص للحمد والثناء على الله تبارك وتعالى. وفي اخر مقطع من هذا الفصل يقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَيَرْزُقْ وَلَا يَرْزُقْ، وَيُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ).

لاحظوا هنا أربعة أمور:

الامر الاول: ان الله تبارك وتعالى هو المالك المطلق، يعني (نظرية المالك المطلق)، وقد تحدثنا عنها فيما سبق عند قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ).

الامر الثاني: ان الله تعالى هو (المدير المطلق للكون)، وقد تحدثنا عن ذلك عند قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ).

الامر الثالث: ان الله تبارك وتعالى له (الخضوع الكوني المطلق). وقد تحدثنا عن ذلك عند قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرَعَدُ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا).

الامر الرابع: ان الله تعالى هو (الفاعل المطلق في الكون)، وهذه هي نظرية (الفاعل المطلق) والتي يتناولها هذا المقطع من الدعاء (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَيَرْزُقْ وَلَا يَرْزُقْ، وَيُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ).

نظرية الفاعل المطلق:

في هذا المقطع من الدعاء، يتناول نظرية رابعة في العقيدة الاسلامية، وهي نظرية ان الله تبارك وتعالى هو الفاعل المطلق في هذا الوجود، ولا فاعل، ولا مؤثر، ولا محرك، في هذا الوجود سوى الله تبارك وتعالى. نظرية الفاعل المطلق، هي التي يشير اليها القرآن الكريم بقوله: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} (١)، حيث يقول المفسرون في شرح هذه الآية (ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل الا هو) (٢).

^١ سورة النجم الآية ٤٣

٢٤٠ شرح دعاء الافتتاح

ان المفردات التي وردت في هذا المقطع (يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ وَيُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ)، تشرح لنا اضلاع نظرية الفاعل المطلق في الكون، يعني لا انا، ولا انت، ولا أحد في السماوات والارضين يملك فعلاً، وانما الفاعل هو الله تبارك تعالى وحده.
(يا من لا يُدَبِّرُ الأمرَ الا هو) (١).
ونحاول هنا شرح هذه النظرية بايجاز وتبسيط، وقد سبق لنا تناول ذلك في محاضرة سابقة (٢).

قصة الخلق:

يبدأ الدعاء اولاً بقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ).

ونحن في قصة الخالق امام فرضيات هي:

الفرضية الاولى: هي فرضية الشرك بالله، والذي يحذر القرآن منه حين يقول: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ} (١)، {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ} (٢).

هذه هي الفرضية الاولى، وهي فرضية لاتملك أي دليل علمي أو وجداني، وانما هي تخلف فكري واضح .

الفرضية الثانية: نفي وجود الخالق، أو الشك فيه بمعنى الجهل بالحقيقة المطلقة المحيطة بالكون، وهذا هو الكفر كما يصطلح عليه القرآن الكريم.

الفرضية الثالثة: الايمان بالخالق الواحد المهيمن على هذا الكون والمحيط به {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (٣).

^١ تفسير القرطبي / سورة النجم الآية ٤٣

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء الجوشن الكبير

^٣ المحاضرة الثانية / ص ٤٣

^٤ سورة الفرقان الآية ٥٥

^٥ سورة يس الآية ٧٤ و ٧٥

^٦ سورة الزمر الآية ٦٢

الدين يعتقد، ان هناك حقيقة مطلقة محيطة بهذا الكون، وهذا الكون هو تجلي ومظهر من مظاهر تلك الحقيقة التي لا نعرف كنهها، ولكن نحن نراها في الكون عقلاً، وجمالاً، وتدبيراً، واداءاً، وقدرةً.

هذه هي نظرية الدين الالهي، وهذه الحقيقة الكبرى هي الله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} (١) تجتمع فيها كل صفات الجمال والكمال والجلال، وما عندنا من جمال وكمال وجلال هو من تلك الحقيقة التي يتشعشع نورها هنا وهناك، في السماوات والارض، {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٢)، {إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} (٣).

النظرية الدينية تقول: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (٤)، جميع المخلوقات، انا، وانت، والشجر، والحجر، والمدر، والسماء، والارض، كلها هي مخلوقات لله تبارك وتعالى، وهي من إفاضاته.

نشوء الكون:

اليوم توجد عدة نظريات علمية في نشوء الكون، لكنها جميعاً لا تتعارض مع فكرة الخالق المطلق.

قالوا ان هذا الكون هو عبارة عن (انفجار ذري)، تشكلت من خلاله المجرات الكونية.

وقالوا ان هذا الكون كان عبارة عن سديم (نظرية السديم) (٥) شكلت منه منه فيما بعد المجرات.

^١ سورة الحج الآية ٦

^٢ سورة النور الآية ٣٥

^٣ سورة فصلت الآية ٥٤

^٤ سورة الرعد الآية ١٦

^٥ فرضية السديم هي التي تنص على أن الكواكب تشكلت من سحابة من المواد المرتبطة بالشمس الفتية، التي كانت تدور ببطء، و أن الشمس محاطة بسديم شمسي يحتوي في معظمه على الهيدروجين والهيليوم بالإضافة إلى ما يمكن تسميته غبار. أدى احتكاك وتصادم الجزيئات إلى تشكل سحابة قرصية الشكل أما الكواكب فتشكلت عن طريق عملية التنامي. (المحقق)

ونحن نقول: فليكن ذلك، لكن من صنع تلك السُّدُم؟ ومن صنع تلك الذرة؟ كيف تحركت تلك الذرة بمحتوياتها؟ كيف كان قانون الانفجار؟ من وضع ذلك؟

القرآن الكريم يقول: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (١)، ويقول: {أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} (٢).

ونفس الحال في قصة خلق الانسان، فالله تعالى هو الذي بدأ خلق الانسان من طين، صحيح انا وانت تشكلنا عبر عمليات طويلة معقدة وانتقال من الاصلاب الى الإرحام، وصرت انا، وصرت انت، ولكن الله تعالى يقول هذا كله هو خلق الله، البداية كانت من تلك الحقيقة. انما الانسان يعمل على توفير الشروط الموضوعية، لكي تظهر حقيقة الوجود بهذا الشكل أو بذاك الشكل.

(وَيَرْزُقُ وَلَا يَرْزَقُ، وَيُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ)

طبعاً، لان الله هو الغني، الله الذي يرزق ولا يرزق، وهو الغني المطلق، وهو مالك كل شيء، وَيُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ، هو غني عن اطعامنا. يومئذ كان المشركون يقولون ان هذه الاضاحي والهدايا التي نذبحها في الحج، هذه هدية الى الله تبارك وتعالى. لكن القرآن يقول: {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} (٣).

لا يُطْعَمُ الله من هذه الاضاحي، ولا من هذه الدماء، وانما الذي يصل الى الله تبارك وتعالى، ويصعد اليه هو التقوى من الانسان، والعمل الصالح من الانسان.

^١ سورة الرعد الآية ١٦

^٢ سورة الانبياء الآية ٣٠

^٣ سورة الحج الآية ٣٧

(وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى)

هذه مسألة جديدة، يميت الاحياء، ويحيي الموتى، ما هو الموت؟
الموت هو حقيقة وجودية مخلوقة، وليس مجرد عدم الحياة، هكذا يظهر القرآن الكريم في قوله تعالى {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (١).

نحن الان نتصور ان الحياة فقط هي حقيقة وجودية، والموت هو العدم، حقيقة عدمية، لكن التعبير القرآني ماذا يقول؟

يقول ان الحياة هي امر وجودي مخلوق، والموت ايضا هو أمر وجودي مخلوق {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ} (٢)، فانه خلق الموت والحياة على خلاف مانفهمه نحن عن الموت، وان الموت عبارة عن عدم الحياة، لا ليس الموت عدم الحياة، بل الموت عبارة عن نقلة روحية من منطقة الى منطقة، وهذه عملية خلق، وهذه عملية ايجاد.

الموت عبارة عن خروج الروح من البدن، وهذا عمل، هذه حقيقة وجودية، وهذا يحتاج الى فاعل، هذه ليست قضية عدمية.

ولهذا ماذا كان يقول نبينا ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن، كان يقول: {وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي} (٣).

الموت قضية فعل، والفعل له فاعل، الذي يميت ثم يحيي، القرآن في سورة الملك يقول: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (٤)، الله الذي خلق الموت والحياة.

الظلام والنور:

هذا الامر سوف ينقلنا الى مسألة علمية أخرى وهي حقيقة الظلام والنور، الان نحن هكذا نفهم ان النور عبارة عن أمواج واشعة، فهو حقيقة

^١ سورة الملك الآية ٢

^٢ سورة الملك الآية ٢

^٣ سورة الشعراء الآية ٨١

^٤ سورة الملك الآية ٢

٢٤٤ شرح دعاء الافتتاح

وجودية، وأما الظلمة فهي عبارة عن عدم النور، فهي اذن عدم وليست وجوداً.

لكن التعبير الديني ماذا يقول؟

العبارة الدينية يظهر منها ان النور وجود، والظلمة ايضاً حقيقة وجودية، لها وزن، والامام زين العابدين (عليه السلام)، ماذا يقول؟

يقول (عليه السلام): (سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور) (١)، نعم، هذا هو ما ثبت علمياً في الفيزياء الذرية ان النور له وزن، والظلمة كذلك. هناك نظرية حديثة تسمى (نظرية المادة المظلمة)، وهي ان كل هذا الكون مليء بما يسمى بالمادة المظلمة.

وهذه المادة المظلمة لها وزن ايضاً، ولهذا نرى القرآن الكريم يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٢)، يعني كلاهما النهار والليل حقائق وجودية يتداخل بعضها مع البعض الآخر ويزيحه، هذا يولد في هذا، وهذا يولد في هذا . وليس الليل عبارة عن عدم النهار فقط، لا ليس هو عدم شعاع الشمس، وانما هو سيطرة الظلام، والظلام حقيقة وجودية، {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}، الليل حقيقة وجودية اذن، والنهار ايضاً حقيقة وجودية، اليوم العلم الحديث بدأ يتحدث عن نظرية سميت (نظرية المادة المظلمة) التي تؤكد أن الظلام وجود وليس عدماً.

نرجع الى الدعاء حيث يقول: (وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى).

ابراهيم (عليه السلام) قال: {أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}؟ (٣)

فقال الله تعالى: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ} (٤).

^١ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - الصفحة ٢٤

^٢ سورة الحج الآية ٦١

^٣ سورة البقرة الآية ٢٦٠

^٤ سورة البقرة الآية ٢٦٠

قال: {بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي} (١).
 قال: {فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ
 جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} (٢).

اخذ ابراهيم عليه السلام طيوراً اربعة وقطعهن ووضع على رأس كل جبل
 مجموعة من تلك الاشلاء، ثم ناداهم تعالوا يا طيور، فتشكلت هذه
 الاعضاء المختلطة وعادت اليه طيوراً سالمة حياة!!!، الله اكبر، الله تبارك
 وتعالى هو الذي يميت ويحيي.

كذلك الله تبارك وتعالى هو الذي اذن لعيسى بن مريم عليه السلام ان يحيي
 الموتى، قال:
 {وَأُخِيي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ} (٣)، يعني عيسى عليه السلام وصل لمرتبة عالية، عالية
 جدا من القدرات في التأثير الكوني.
 عجيب (يحيي الموتى)، نعم {وَأُبرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِيي الْمَوْتَىٰ
 بِإِذْنِ اللَّهِ} (٤).

نرجع الى نظرية ان الموت والحياة كلها بيد الله تبارك وتعالى.
 انت الان قد تقول نذبح الدجاجة وتموت، وكذلك البشر يقتل بشر فيموت،
 اذن كيف نقول ان الموت بيد الله تعالى؟ أليس الانسان قادر على صناعة
 الموت؟

لكن الصحيح انك ذبحت الدجاجة ولم تميتها، والبشر لم يميت البشر
 بالقتل، بل يقتل البشر، نعم، ممكن يسكت قلبه، ممكن يقطع راس الدجاجة،
 ولكن الموت هو عملية خروج الروح وارتحالها من البدن الى الفضاء
 الحر، ويبقى هذا البدن جثة هامة ليس فيها حياة، هذا هو من عمل الله
 تبارك وتعالى، فالله هو الذي يأخذ هذه الروح وينقلها من مكان الى مكان،
 وتعيش بطريقة أخرى من الحياة، أو نشأة أخرى من الوجود.

^١ سورة البقرة الاية ٢٦٠

^٢ سورة البقرة الاية ٢٦٠

^٣ سورة ال عمران الاية ٥٠

^٤ سورة ال عمران الاية ٤٩

هذا الانتقال ليس من عمل القصاص أو الذبّاح أو القاتل، نعم، انت قد تقطع الاوردة والشرابين، انت قد تقطع النفس، لكن الذي يميت بمعنى يجعل هذا الحي جسدا هامداً ميتاً وينقل روحه الى عالم آخر فذلك هو الله تبارك وتعالى، (وَيُمِيتُ الْأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ).
لحد الان العلم لم يكتشف سر الحياة ماهي، وكيف تنتقل الحياة ؟
العلم شأنه في الامور المادية، لكن النظرية الدينية تقول ان الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الموت والحياة.
بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

بيده الخير، لا نتصور نحن ان الخير بيدنا، او بيد العوامل الطبيعية. الجميع خاضع لله تبارك وتعالى، من القوانين الطبيعية، ومن الامطار، ومن النبات، {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١).

كل هذه القوانين الطبيعية هي من صنع الله تبارك وتعالى، وخاضعة الى الله، فانا وانت حينما نزرع، او نقرأ، او نتكلم، او نكتب، او ننام، او نستيقظ، فهذا كله خير من الله تبارك وتعالى أنعم به علينا (بِيَدِهِ الْخَيْرُ)، ولولا ذلك لم يكن منا شيء، لهذا نقرأ في الدعاء: (يَا مَنْ أَرْقَدَنِي فِي مِهَادِ أَمْنِهِ وَأَمَانِهِ وَأَيْقَظَنِي إِلَى مَا مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ) (٢).

كما نقرأ ايضا:

(لَكَ الْحَمْدُ أَنْ بَعَثْتَنِي مِنْ مَرْقَدِي، وَلَوْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ سَرْمَداً) (٣)، هذه هي الثقافة الدينية.

نحن لا نملك لانفسنا ضراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً.

^١ سورة الحج الاية ٥ و ٦

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء الصباح للامام أمير المؤمنين (عليه السلام)

^٣ الصحيفة السجادية للامام زين العابدين (عليه السلام) / دعاء يوم الاربعاء

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٤٧

نحن عملنا هو مجرد ان نوفر العوامل الاولية، نوفر المواد الخام، ولكن الذي يخلق، والذي يرزق، والذي يعطي الخير، هو الله تبارك وتعالى. قد يقوم البشر بوضع بويضة امرأة في انبوب وتخصيبها بحويمن الرجل، ومن ثم يصبح جنيناً، ولكن من الذي خلق هذا الجنين في هذه الانبوبة؟ ومن الذي أعطاه الحياة؟ ومن الذي صنع فيه ملايين التفاعلات الحية؟

الخالق هو الله تبارك وتعالى، اما انت ايها البشر، وايها الطبيب، وايها المختبر، فقد قمتم فقط بتوفير عوامل فيض الوجود، والله هو الذي افاض الوجود فصار انساناً، او حيواناً، وما شاكل ذلك.

فهذا الامر الذي حصل بالانبوب او بالاستنساخ الحيواني ليس هو من عمل الانسان، وانما هذا من خلق الله تبارك وتعالى، فانه تبارك وتعالى هو الخالق، وانت توفر العوامل الاولية ليس إلا، هكذا يقول القرآن الكريم: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (١)، فالفلاح مهمته ان يضع البذرة في الارض، والله تعالى هو الذي يزرع، بيده الخير. وكذلك يقول: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} (٢).

ولهذا يقول الدعاء :

(مِنْ أَيْنَ لِيَ الْخَيْرُ يَا رَبِّ وَ لَا يُوجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ ، وَ مِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجَاةُ وَ لَا تُسْتَطَاعُ إِلَّا بِكَ) (٣)، انا لا املك خيراً، ولا املك نجاة، وانما جميعها منك.

ويمضي الامام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء ابي حمزة الثماني فيقول: (وَقَدْ نَزَلْتُ مَنَزِلَةَ الْأَيْسِينَ مِنْ خَيْرِي) (٤).

^١ سورة الواقعة الاية ٦٣ و٦٤

^٢ سورة الواقعة الاية ٥٨ و٥٩

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي/ للامام زين العابدين (عليه السلام)

^٤ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء ابي حمزة الثمالي/ للامام زين العابدين (عليه السلام)

والامام الحسين عليه السلام يقول: (أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟!)(١)، اي نحن لا نملك لانفسنا نفعاً، ولا ضرراً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً.

نظرية الفاعل المطلق:

الله تعالى هو (الفاعل المطلق)، وتحدثنا سابقاً عن نظرية (المالك المطلق)، ونظرية (التدبير المطلق)، ونظرية (الخضوع المطلق). أما نظرية (الفاعل المطلق)، فهي تعني أن الله تعالى هو الفاعل المطلق في هذا الكون.

هذه النظرية كثيراً ما يؤكد عليها القرآن الكريم، وقد سبق أن استعرضناها لدى الحديث عن (يَخْلُقُ وَلَمْ يَخْلُقْ، وَيَرْزُقْ وَلَا يُرْزَقْ). جاء في الروايات الشريفة عن أهل البيت عليه السلام: (ان من قال بعد صلاة الفجر هذا التسبيح: ((لا اله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير))، عشر مرات كتب له بكل مرة عشر حسنات، ودفعت عنه عشر سيئات، ورفعت له عشر درجات)(٢). هذا هو تأكيد على الفاعلية المطلقة لله تبارك وتعالى، (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وهذه اخر فقرة.

القدرة المطلقة:

هنالك مسألة اعرضها عليكم، سؤال في البحوث الفلسفية، وعرض على أئمتنا عليه السلام كما في كتاب الاحتجاج(٣) للطبرسي(١)، ومبحوث فلسفياً، هل ان الله قادر على الممتنع؟

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٩ - الصفحة ٣٢٣ وكشف الغطاء - الشيخ جعفر كاشف الغطاء - ج ٢ - الصفحة ٣٠٦

^٣ الاحتجاج أو الأسم الآخر له الاحتجاج على أهل اللجاج كتاب كلامي عربي من تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء المذهب في القرن السادس الهجري. ألف الكتاب في جلدتين، يحتوي

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٤٩

مثلاً، الله قادر على ان يخلق شريك الباري؟ شريك له؟
لو قلت غير قادر، اذن كيف ان الله على كل شيء قدير.
ولو قلت ان الله قادر على ان يخلق له الشريك، اذن يمكن ان يكون هناك
شريك لله تبارك وتعالى .
وقد أجاب الامام الصادق عليه السلام عن مثل هذا السؤال حين ساله الديصاني،
هل أن الله قادر على أن يضع العالم في بيضة دون أن تكبر البيضة ، أو
يصغر العالم.
قال عليه السلام: نعم، الله قادر على كل شيء ولكن الذي سألته لا يكون^(١).
وقد شرحنا هذا الموضوع في المحاضرة الرابعة عشر فراجع.

على مناظرات النبي والائمة الاثنى عشر و بعض العلماء مع مخالفيهم و علماء الأديان غير الإسلامية في
شئى المجالات، أورد الطبرسي أكثر هذه المناظرات بدون ذكر أسانيدھا و هو من الأشكالات الواردة على
الكتاب. للكتاب قيمة علمية عند الشيعة. (المحقق)

^١ أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء الإمامية، فقيه ومحدث وثقة. توفي نحو
٥٦٠ للهجرة. له أقوال وفتاوى نقلها الفقهاء في كتبهم. عاصر الخواجة نصير الدين الطوسي، والفضل بن
الحسن الطبرسي، ومن أهم أساتذته مهدي بن أبي حرب المرعشي، والذي بواسطته روى الطبرسي عن
الشيخ الصدوق. ومن أشهر طلابه ابن شهر آشوب المازندراني. (المحقق)

^٢ الإمام الصادق عليه السلام المؤلف: الشيخ محمد حسين المظفر ص ٢٠٠

٢٥٠ شرح دعاء الافتتاح

الفصل الثاني

شرح دعاء الافتتاح	٢٥٢
-------------------------	-----

المحاضرة العشرون:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَآمِينَكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ،
وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ، وَمُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ،
وَاجْمَلَ وَآكَمَلَ، وَأَزْكَى وَأَنْمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ، وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ
مَا صَلَّيْتَ

وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ، وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ وَأَنْبِيَائِكَ
وَرُسُلِكَ، وَصِفْوَتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ).

*استحباب البدء بالصلاة على النبي واله

*رواية الشيخ الصدوق

*قصيدة في مدح النبي ﷺ

٢٥٤ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٥٥

الفصل الاول: من دعاء الافتتاح كان هو عبارة عن عرض محامد الله تبارك وتعالى.

ثم الفصل الثاني: الصلاة على النبي واله و عرض خصائصهم ومنزلتهم

ثم الفصل الثالث : هو المسألة والدعاء، وطلب الحاجات من الله تعالى.

الفصل الاول: كان يتضمن مجموعة محاور، كلها بلغة الحمد.

المحور الاول: كان الاشارة الى فقر الانسان، وضعفه، وحقارته، وقصوره،
(اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَسْأَلُكَ قَلِيْلًا مِنْ كَثِيْرٍ، مَعَ حَاجَةٍ بِيْ اِلَيْهِ عَظِيْمَةٍ وَغِنَاكَ عَنْهُ قَدِيْمٌ، وَهُوَ عِنْدِيْ كَثِيْرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَّسِيْرٌ).

ثم جاء قوله: (فَارْحَمْ عَبْدَكَ الْجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ اِحْسَانِكَ اِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيْمٌ)، وماشاكل ذلك من الاشارات الى فقر الانسان ولؤمه، (اِنَّكَ تَدْعُوْنِيْ فَاُوْلِيْ عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ اِلَيَّ فَاتَّبَعْضُ اِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ اِلَيَّ فَلَا اَقْبَلُ مِنْكَ)، هذه مقاطع المحور الاول.

المحور الثاني: من الفصل الاول هو(التعاطي الايجابي) من الله للانسان (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ يُجِيْبُنِيْ حِيْنَ اُنَادِيْهِ)،(وَاَدْنَتْ لِيْ فِيْ دُعَائِكَ وَمَسْأَلَتِكَ)، و(فَكَمْ مِنْ مَوْهَبَةٍ هَنِيْئَةٍ قَدْ اَعْطَانِيْ).

هذا استعراض لصور التعاطي الايجابي من الله تبارك وتعالى، وهذا هو المحور الثاني.

وكان المحور الثالث هو الاشارة الى(الملك المطلق)، (والتدبير المطلق) الالهي بالكون، (مَالِكِ الْمُلْكِ، مُجْرِي الْفُلْكِ، مُسَخِّرِ الرِّيَّاحِ، فَالِقِ الْاَصْبَاحِ، دَيَّانِ الدِّيْنِ، رَبِّ الْعَالَمِيْنَ).

وكان المحور الرابع هو الاشارة الى (الخضوع الكوني الواعي) لله وتعالى، (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ مِنْ حَشْنِيَّتِهِ تَرْعَدُ السَّمَاوَاتُ وَتَرْجَفُ الْاَرْضُ وَتَعْمَارُهَا، وَتَمُوجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِيْ غَمَرَاتِهَا)، هذا محور ان الكون كله خاضع بوحي الله تبارك وتعالى.

الان بعد هذه المحامد الالهية يبدأ الفصل الثاني من الدعاء، وهو الصلاة على النبي ﷺ فيقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مَنْ خَلَقَكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ، وَمُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ) الى آخر هذا المقطع.

استحباب البدء بالصلاة على النبي ﷺ واله ﷺ:

هنا الثقافة الدينية تقول يستحب البدء في الدعاء قبل المسألة بالحمد لله تعالى، والصلاة على نبيه ثم عرض الحاجات بعد ذلك وطلبها من الله تعالى.

في ثقافتنا الدينية بما هو ثابت في الروايات، ان الدعاء بدون الصلاة على النبي ﷺ واله ﷺ مردود، اي لا يقبل.

هذه روايات عديدة يرويها المحدثون مثل الشيخ الكليني في الكافي وغيره عن الامام الصادق عليه السلام وباقي الائمة الاطهار عليه السلام، انا اذكر لكم اثنين من تلك الروايات.

الامام الصادق عليه السلام يقول: (لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد) (١)، يعني أن الدعاء بدون الصلاة على محمد وآل محمد يكون محجوباً عن السماء، وربما يكون المقصود بذلك هو اتخاذ النبي ﷺ طريقاً الى الله تعالى وعدم التقاطع معهم عليهم السلام، فالصلاة على النبي واله على العموم – ليس في كل فقرة من فقرات الدعاء- هي شرط في الاستجابة.

رواية ثانية تقول ايضاً عن الامام الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: (من ذكرت عنده فنسي أن يصلي عليّ خطأً الله به طريق الجنة) (٢).

^١ أصول الكافي – الجزء الثاني- بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- الحديث الاول ص ٤٩٥

^٢ كتاب وسائل الشيعة ج ٧ ص ٢٠١ - ص ٢٢٥/الباب ٤٢ باب وجوب الصلاة على النبي ﷺ

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٥٧

يعني هناك مسار يؤدي الى الجنة، ولكن الله تعالى بدون الصلاة على النبي واله يغيّر هذا المسار، لانه لم يسر بالطريق الصحيح، لم يسر وفق الاشارات المرورية، وانوار مرورية، انوار الصراط المستقيم، وهي محمد ﷺ وال محمد ﷺ .

هذه اكثر من رواية تقول: (خطأ الله به طريق الجنة)، ولهذا فان ادعيتنا جميعاً ينبغي ان تبدأ بالحمد اولاً، وثانياً الصلاة على النبي واله، وليس المقصود هو الصلاة اللفظية فقط، بل بما تعنيه من ارتباط بهم عليهم السلام واتخاذهم الذريعة الى الله والوسيلة اليه. لاحظوا دعاء الافتتاح عشرات المحامد ذكرت لله تعالى، ثم بدأ الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ واله ﷺ.

ظاهرة في محافل الشيعة:

وهنا ملاحظة اذكرها لكم، وهي أن هناك ظاهرة في محافلنا ومجالسنا، ولدى شيعة اهل البيت خاصة وهي ظاهرة الاكثار من الصلاة على محمد ﷺ وال محمد ﷺ، هذه الظاهرة مفقودة عند غيرنا. انا اذكر بهذا الخصوص الشيخ محمد الغزالي^(١) من كبار علماء الاخوان المسلمين سابقاً، ثم انتقل للمملكة العربية السعودية، وتوفي هناك وله مؤلفات كثيرة.

جاء الى ايران في زيارة في أحد المؤتمرات فخرج وهو يقول: انا سجلت ملاحظة!!

ماهي تلك الملاحظة؟

يقول: عجبت لهؤلاء الناس في ايران انهم في محافلهم يكثرون من الصلاة على محمد ﷺ وال محمد ﷺ، هذه الظاهرة غير موجودة عندنا.

^١ محمد الغزالي عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين" كما يقول أبو العلا ماضي، كما عُرف بأسلوبه الأدبي في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في السعودية(المحقق).

٢٥٨ شرح دعاء الافتتاح

مبارك لشيعه اهل البيت هذه المحبة لنبيهم ﷺ واله الاطهار ﷺ.
والان يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَآمِينِكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ، وَمُبْلَغِ رِسَالَتِكَ).
لماذا أفضل الصلوات:

لكن الملاحظة أن الدعاء هنا يطلب أفضل الصلوات فيقول: (أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ، وَأَزْكَى وَأَنْمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ، وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ مَاصِلَيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ، وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وَصِفْوَتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ).
منزلة النبي ﷺ:

ما هي منزلة النبي ﷺ؟ بحيث نسال الله تعالى أن يصلي عليه اكثر مما صلى على جميع الانبياء والمرسلين (أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ).
لماذا؟

هنا يأتي الحديث الواسع جداً عن منزلة النبي ﷺ، في هذا الكون، منزلة النبي ﷺ في عالم الخلق.

هنا يوجد بحث تشير اليه روايات أهل البيت عليهم السلام ويذكره العرفاء، ممن يطلق عليهم (اهل الحق)، (اهل الذوق)، (اهل السلوك)، ويقولون هنا ان النبي الاكرم ﷺ الذي هو محمد بن عبد الله ﷺ، والذي ولد في عام الفيل، في مكة المكرمة، هذا الانسان له نشأتان، له نشأة اولى ما قبل الخلق، ونشأة ثانية في هذه الدنيا.

النشأة الاولى يسموها (الحقيقة المحمدية)، بمعنى أن اول ما خلق الله تبارك وتعالى، قبل ان يخلق آدم، وقبل ان يخلق السماء والارض، وهي اول تجلٍ لله تبارك وتعالى، تلك هي (الحقيقة المحمدية)، (الانسان الكامل) الذي أمرت الملائكة بالسجود اليه، ومن تلك الحقيقة امتد بساط الوجود على العالم، هذا الكلام طبعاً لا يمكن شرحه الان، ولا البرهنة عليه،

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٥٩

ونتركه الى العرفاء المختصين، ومراجعة المصادر المختصة في هذا المجال.

انا اذكر لكم هنا ان الامام الخميني^(١) قدس الله سره الشريف، له كتاب من أروع واعمق ما كتب في هذا الشأن، الكتاب اسمه (مصباح الهداية الى الخلافة والولاية)^(٢)، وربما بعض القراء حين يقرأ هذا الكتاب سوف لا يدرك اكثر معانيه، رغم روعة اسلوبه الادبي الرائع وباللغة العربية، ولكن هي مصطلحات غير مألوفة، وعلى طريقة اهل الذوق والعرفان. هذا الكتاب (مصباح الهداية الى الخلافة والولاية)، يتحدث عن ان ذاك الفيض الاول من الله تبارك وتعالى، هو (الحقيقة المحمدية)، ومنها امتدت الخلائق، تلك الحقيقة المحمدية في النشأة الاولى.

وهنا يذكر ان رسول الله ﷺ واهل بيته ﷺ، هم الواسطة في الفيض النازل، وهم الواسطة في الوصول الى الله تعالى في العروج الصاعد، يعني ان اول ما بدأ الفيض من الله تبارك وتعالى كان هو حقيقة رسول الله ﷺ، ونور الائمة ﷺ، ثم خلق الله السماوات والارض.

^١ السيد روح الله الموسوي الخميني (١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٠٢ - ١٩٨٩ م) الذي اشتهر بلقب الإمام الخميني. يُعدّ واحداً من كبار مراجع التقليد في القرن الرابع عشر والخامس عشر. انتصرت الثورة الإسلامية في إيران تحت قيادته سنة ١٩٧٩ م، فانهار الحكم البهلوي، وتم تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران. بدأ معارضته للحكم البهلوي سنة ١٣٤١ هـ ش، فنفى إلى تركيا، ثم إلى العراق، فكان ضمن التدريس والتأليف في حوزة النجف العلمية يقود الثائرين في إيران، وبعد أن شهدت البلاد احتجاجات شعبية واسعة نطاقاً ضد النظام الملكي عاد إلى إيران في مطلع شهر شباط ١٩٧٩ م. (١٢ بهمن ١٣٥٧ هـ ش). وبناتصار الثورة الإسلامية تصدى قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية حتى نهاية عمره. ومن أهم آرائه نظرية ولاية الفقيه، وهي نظرية فقهية وسياسية، وبناء عليها أسس نظام الجمهورية الإسلامية، وكتب الدستور الإيراني، وله أيضاً تأليفات متعددة في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان، كما كان من علماء الأخلاق في عصره، وكان يعيش عيشة زاهدة توفي يوم ٤ حزيران/يونيو سنة ١٩٨٩ م (١٤ خرداد سنة ١٣٦٨ هـ ش)، وصلى عليه المرجع الديني السيد الكلبايكاني بعد ما حضر تشييعه الملايين، وبعد تشييعه أكبر تشييع على مستوى العالم، وتقام ذكرى وفاته سنوياً عند مضجعه بحضور الشخصيات السياسية والدينية. وتم تعيين السيد علي خامنئي بعد وفاته قائدا للثورة الإسلامية وخلفاً له (المحقق).

^٢ هذا الكتاب هو عبارة عن بيان للحقيقة المحمدية والولاية العلوية، وقد طُبِع مع الترجمة الفارسية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. تم الانتهاء من تأليفه سنة ١٣٤٩ هـ، ولا يمكن مطالعة هذا الكتاب وكتاب شرح دعاء السحر إلا لمن له معرفة بالعرفان واصطلاحاته. (المحقق)

٢٦٠ شرح دعاء الافتتاح

والآن حينما نريد ان نصل الى الله، ونعرج اليه، يجب ان نمر عن طريق النبي ﷺ.

هذا بحث نتركه الى اهل العرفان، ولكن هذا البحث ايضاً تؤيده رواياتنا العديدة التي يذكرها مثل الشيخ الصدوق، في عيون اخبار الرضا، ويذكرها الشيخ الكليني في اصول الكافي، وغيرها كثير والتي تقول : (ان اول ما خلق الله تعالى قبل السماوات والارض، وقبل ادم خلق الله نور محمد وعلي)(١).

الروايات هنا تستطيع ان اقول هي روايات صحيحة ومتواترة، تؤكد ان اول ما تجلى الله تبارك وتعالى كان هو نور محمد ﷺ(٢).

هنا رواية يرويها الشيخ الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا، ومثلها طبعاً روايات كثيرة في هذا الشأن، لكنها رواية تشرح لنا منزلة النبي ﷺ.

الرواية تقول:

عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: (ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني).

قال علي ﷺ: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟

فقال ﷺ: يا علي أن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدى لك يا علي، وللأئمة من بعدك، وان الملائكة لخدامنا، وخدام محبيننا، يا

^١ بحار الانوار / المجلسي / ج ١٥ / ص ٢١

^٢ قال الصادق ﷺ: إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نورا قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا، فقيل له: يا ابن رسول الله ومن الاربعة عشر؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال، ويطهر الارض من كل جور وظلم (بحار الانوار / المجلسي / ج ١٥ / ص ٢١) (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٦١

علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي، لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام، ولا حواء، ولا الجنة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟! وقد سبقناهم إلى معرفه ربنا، وتسبيحه، وتهليله، وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده، وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا، استعظمت أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون، وانه منزله عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ونزله عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا، هللنا لتعلم الملائكة ان لا اله إلا الله وانا عبيد، ولسنا بآلهه، يجب ان نعبد معه، أو دونه.

فقالوا: لا اله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا، كبرنا لتعلم الملائكة ان الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة.

فقلنا: لا حول ولا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة انه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجه لنا من فرض الطاعة. قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يستحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه.

فقالت الملائكة: الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفه توحيد الله عز وجل، وتسبيحه وتهليله، وتحميده، وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له، تعظيما لنا، واکراما، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية، ولادم اكراما وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟ وقد سجدوا لادم كلهم أجمعون، وانه لما عرج بي السماء اذن جبرئيل مثني مثني وأقام مثني مثني ثم قال لي: تقدم يا محمد.

فقلت له: جبرئيل أتقدم عليك؟

٢٦٢ شرح دعاء الافتتاح

قال: نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه ملائكته أجمعين وفضلك خاصه.

قال: فتقدمت فصليت بهم ولا فخر فلما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدم يا محمد وتخلف عني .

فقلت له: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟!!

فقال: يا محمد انتهاء حدى الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربي جل جلاله فزخ بي النور زخة حتى انتهيت إلى ما شاء الله عز وجل من علو مكانه فنوديت فقلت: لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت.

فنوديت: يا محمد أنت عبد وانا ربك فايأي فأعبد وعلى فتوكل فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على برיתי لك ولمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟

فنوديت: يا محمد أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وانا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثنا عشر نورا في كل نور سطر اخضر عليه اسم وصى من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي أمتي فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي بعدى؟

فنوديت: يا محمد هؤلاء أوصيائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على برיתי وهم أوصياؤك وخلفاؤك، وخير خلقي بعدك، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلن بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض باخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي،

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٦٣

ولأمدنه ، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ،
ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة^(١).

طبعاً مثلها روايات كثيرة في ان اول ظهور للوجود هو نور محمد ﷺ،
ولهذا كان نبينا افضل الخلائق اجمعين من الاولين والآخرين، من
السموات والارضين، ولهذا نحن نقول: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ، أَفْضَلَ وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ وَأَكْمَلَ، وَأَرْكَى وَأَنْمَى، وَأَطْيَبَ وَأَطْهَرَ،
وَأَسْنَى وَأَكْثَرَ مَاصِلَيْتٍ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ، وَتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
عِبَادِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وَصِفَوْتِكَ وَأَهْلِ الْكِرَامَةِ عَلَيْكَ مِنْ خَلْقِكَ).

ايضاً نقرأ في زيارة الجامعة: (خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين
حتى من علينا بكم، فجعلكم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها
اسمه)^(٢)، وذلك هو مانقروه ايضاً في زيارة النبي ﷺ (أشهد انك كنت نوراً
في الاصلاب الشامخة)^(٣).

ايضاً نقرأ في الزيارة الجامعة: (بكم فتح الله وبكم يختم)، فتح الوجود
بنبينا ﷺ وبأهل البيت ﷺ.

قصيدة في مدح النبي ﷺ:

هنا اسمحوا لي ان انتقل معكم بعد الصلاة على محمد وال محمد، الى
مقطع من قصيدة الازري وهو شاعر رائع من شعراء اهل البيت ﷺ، وكان
معاصراً لمرجع الطائفة الشيخ الجواهري الكبير^(٤) صاحب كتاب جواهر

^١ عيون أخبار الرضا ﷺ - الشيخ الصدوق - ج ٢ - الصفحة ٢٣٧

^٢ للمزيد مراجعة كتاب شرح الزيارة الجامعة لمؤلفه السيد صدر الدين القبانجي مطبوع في اربعة مجلدات

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/زيارة النبي من البعد

^٤ محمد حسن النجفي المعروف بصاحب الجواهر، (١٢٠٢ - ١٢٦٦ هـ) من الفقهاء الأصوليين الشيعة في
القرن الثالث عشر، ولد في النجف واشتهر بها، وأهم أعماله هو كتاب جواهر الكلام؛ فعليه عرف بين أعلام
الطائفة الشيعية بصاحب الجواهر. كان من تلامذة السيد محمد جواد العاملي (صاحب مفتاح الكرامة)، كما أنه
تتلمذ على يد الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ولحقة درسه الحظ الأوفى في النجف الأشرف بعد شريف العلماء
المازندراني حتى حضرها الكثير من العلماء والفضلاء آنذاك، أوصى الشيخ بعده بالزعامة والمرجعية إلى
الشيخ الأنصاري. (المحقق)

الكلام^(١)، مرجع كبير من مراجع الطائفة، هذا الأزرى له قصيدة مطلعها
عن رسول الله ﷺ يختمها بالامام علي عليه السلام وانا اليوم اقرأ لكم بعضاً من ابياتها
عن النبي ﷺ .

هنا كان يقول صاحب الجواهر انا تمنى ان الأزرى يعطيني هذه
القصيدة وأضعها في صحيفة اعمالى، على أن اعطيه ثواب كتابي
(الجواهر) وهو موسوعة فقهية من اربعين مجلداً.
ماذا يقول فيها:

يقول:

ان تلك القلوب أفلقها الوجد	وأدمى تلك العيون بكاهها
كان أنكى الخطوب لم يبك منى	مقلة لكن الهوى أبكاهها
كل يوم للحادثات عواد	ليس يقوى رضوى على ملتقاهها
كيف يرجى (الخلاص) منهم إلا	بذمام من سيد الرسل (طه)
معقل الخائفين من كل خوف	أوفر العرب ذمة أوفاهها
مصدر العلم ليس إلا لديه	خبر الكائنات من مبتداهها
لاتجل في صفات احمد فكراً	فهو الغاية التي تراها
قلب الخافقين ظهراً لبطن	فراى ذات احمد فاجتباها ^(٢)

هذه هي منزلة وشخصية نبينا ﷺ .

^١ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام أو جواهر الكلام، مصنف استدلالى ضخم في الفقه الشيعي الإمامي، قام بتأليفه محمد حسن النجفي في شرحه لكتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي. يتميز الكتاب بتقديم موسع للأبحاث الفقهية، وعرض وافٍ ومُسَهَّب لمختلف آراء الفقهاء الماضين بما قد يُغني الباحث من مراجعة غيره من الكتب والمصادر، ليزوِّده بالأبحاث والتدقيقات التي لا مناص لها في عملية الاستنباط. ذاع صيت الكتاب بحيث غلب عنوانه على اسم مؤلفه، فبات يُعرَف شخصيته بصاحب الجواهر، كما صار اصطلاح الفقه الجواهري بين كبار الفقهاء عنواناً سائداً للتعبير عن النمط الذي يفرضه متطلبات الاجتهاد الحقيقي في عصر النهضة الإسلامية، حيث كان عليهم ملئ الفراغ الذي أحدثه الفكر الأخباري في الجمود على واقع انقضى أمده ليعطل من وجهة نظرهم كثيراً من الأحكام السياسية والاجتماعية للدين. (المحقق)

^٢ الأزرية - الشيخ الأزرى - الصفحة ١١٧

المحاضرة الحادية والعشرون:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَآمِينَكَ، وَصَفِيِّكَ،
وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ وَ مُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ)

*صفات النبي

*العبودية

*الرسولية

*الامانة

*الاصطفاء

*نظرية العصمة

*حبيب الله

*حافظ سر الله

*تبليغ الرسالة

*مهمتان للنبي

شرح دعاء الافتتاح	٢٦٦
-------------------------	-----

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٦٧

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ ، وَمُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ).

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن الحقيقة المحمدية، والنشأة الاولى لرسول الله ﷺ في عالم ما قبل الدنيا.

وهنا ذكرنا ان النبي ﷺ كان هو بداية قوس النزول من الله تبارك وتعالى الى تجلي المخلوقات، وهو الواسطة في قوس الصعود الى الله تبارك وتعالى.

وفي هذا المقطع من الدعاء نصل الى عرض ثمان صفات للنبي الاكرم ﷺ، رغم ان صفات نبينا كثيرة، واذا قرأنا زيارته ﷺ، كما هو موجود في (كتب الادعية والزيارات) نجد ان هناك اوصافاً كثيرة تطلق على النبي ﷺ.

مثل: شاهدًا، مبشراً، نذيراً، سراجاً، نجيباً، خليلاً، وغيرها، لكن الدعاء هنا ليس بصدد استعراضها جميعاً، وانما ذكر الدعاء بعض تلك الصفات ونحن نسير معها بالمقدار الذي يسمح به الوقت.

عبدك:

الصفة الاولى والاساسية هي العبودية لله تعالى (عبدك)، لاحظوا ذلك في تأكيدات القرآن الكريم على صفة العبودية لله تعالى، وكما في صلاتنا اليومية حين نقول في التشهد (واشهد ان محمداً عبده ورسوله)، وقد كان رسول الله ﷺ نفسه يقول:

(لاتطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، انما انا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله)(١).

^١ صحيح البخاري/ الصفحة أو الرقم: ٣٤٤٥

العبودية لله تعالى هي القضية الاساس، ومن أجل ان نحافظ على التوحيد، وحتى لا نصل لمرتبة الغلو والكفر بالله تبارك وتعالى، يبقى رسول الله ﷺ هو عبد الله تعالى ورسوله.

لنقف عند فقرة (عبدك)، كيف ذلك؟

العبودية لله تبارك وتعالى عبوديتان.

هناك عبودية قهرية مطلقة شاملة لكل الوجود، كما يقول القرآن الكريم: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (١)، كل الوجود هو عبد لله تبارك وتعالى.

اذن هنا حينما نصف النبي ﷺ بانه عبد لله فهذه صفة مشتركة مع كل المخلوقات.

ولكن هناك المرحلة الثانية من العبودية والتي يختص بها الانسان والمخلوقات العاقلة، وهي العبودية الارادية، وليست العبودية القهرية. العبودية الارادية التي يتحدث عنها القرآن: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٢)، يعبدون الله بارادتهم.

هنا كان رسول الله ﷺ سيد العابدين، حيث بلغ نهاية العبودية لله تبارك وتعالى، هذه هي العبودية التي كان امير المؤمنين عليه السلام يقول: (إِلَهِی كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا) (٣).

وليست تلك العبودية القهرية الموجودة حتى عند الكافر، وموجودة حتى عند الحيوان، وعند الجبل، وعند الشجر.

^١ سورة مريم الاية ٩٣

^٢ سورة الذاريات الاية ٥٦

^٣ الخصال ٤٥/٢ مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكرها الشيخ القمي ايضا في كتابه مفاتيح الجنان (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح.....٢٦٩

(كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا)، العبودية الارادية، بلغ فيها رسول الله ﷺ نهاية مرتبة العبودية حتى {كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} (١)، ومع ذلك كان يقول ﷺ: (ما عبدناك حق عبادتك) (٢).

هذه العبودية هي بداية الشرف ونهايته، ان يكون الانسان عبداً لله تعالى.

عيسى ﷺ ماذا قال؟

قال: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} (٣).

اول كلمة (انا عبد)، انا لست شيئاً، وبمقدار ما يفنى الانسان في الله تبارك وتعالى، يزداد كملاً.

الشيخ بهجت (٤) احد العلماء الفقهاء العرفاء وهو من علماء النجف الاشرف، توفي في قم المقدسة، ومن خيرة العرفاء الصالحين كان نقش خاتمه (العبد).

والان اذا ذهبتم الى قبره في جوار السيدة فاطمة المعصومة ﷺ تجدون مكتوباً على صخرة القبر (العبد)، الاقرار بالعبودية هو منتهى المعرفة بالله، ان يدرك الانسان انه عبد لله تعالى.

ورسولك:

اول ما نبدأ في وصف النبي ﷺ (عبدك)، ثم (رسولك).

بعد هذه العبودية التي وصل النبي ﷺ إلى منتهائها، تشرف ﷺ بالرسالة، فكان رسول الله، رسولاً من الله تعالى للإنسان، بل للثقلين الانس والجن.

^١ سورة النجم الاية ٩

^٢ إحقاق الحق (الأصل) - الشهيد نور الله التستري - الصفحة ٢٠٦

^٣ سورة مريم الاية ٢٩

^٤ محمد تقي بهجت (أو محمد تقي بهجة) (١٣٣٤ - ١٤٣٠ هـ) يعدّ من مراجع تقليد الشيعة في حوزة قم العلمية، واشتهر بالعرفان، والزهد والتقوى بين شيعة إيران. وكان يقصد مسجده الكثير للاقتداء به في صلاة الجماعة، كما وذاع صيت حالاته العرفانية وبكائه في الصلاة، بين الناس. توفي في مدينة قم، ودفن في حرم السيدة المعصومة ﷺ. (المحقق)

٢٧٠..... شرح دعاء الافتتاح

الفكرة معلومة عندكم وهي ان هناك فرق بين النبوة والرسالة، الرسالة أخص من النبوة، فليس كل الانبياء رسلاً، بعض الانبياء رُسل حملوا شرائع، بعضهم لم يحملوا شرائع.

امتيازات الرسالة المحمدية:

ولكن رسولية رسول الله ﷺ تمتاز بعدة امتيازات هي:

الامتياز الاول: انها للثقلين.

القرآن الكريم يقول ان هذا النبي هو رسول الى عالم آخر مثلكم، أمة من الامم. هو عالم الجن، {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا^(١)}. هذا القرآن اذن يهدي الانس والجن ورسوله ﷺ مبعوث للثقلين من عباده تعالى.

الامتياز الثاني: ان هذه الرسولية هي نهاية خط الرسالات.

نهاية خط الاتصال مع الله تبارك وتعالى، ورسوله الاكرم محمد ﷺ هو آخر الوسطاء، وخاتم الانبياء {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(٢)}.
الامتياز الثالث: انه صلى الله عليه واله رحمة للعالمين.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ^(٣)}، هذه الرسالة هي رسالة رحمة للناس، وليس تقييداً وتشديداً على الناس، وانما هي نور وسراج منير ورحمة للعالمين.

والامتياز الرابع: الهيمنة على جميع الرسالات السابقة، والنبوات السابقة.

فرسول الله ﷺ رغم انه آخر الرسل في النشأة الدنيوية، لكنه مهيمن على كل رسالات الانبياء قبله، رسالة موسى وعيسى وابراهيم ونوح ﷺ، ومهيمن على كل الانبياء.

^١ سورة الجن الاية ١ و ٢

^٢ سورة الاحزاب الاية ٤٠

^٣ سورة الانبياء الاية ١٠٧

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٧١

وهذا يعود بنا الى ما تحدثنا به حول (الحقيقة المحمدية) التي كانت قبل آدم، وقبل سائر الخلق.

هذه (الحقيقة المحمدية) تسير مع كل الانبياء، وهكذا (الحقيقة العلوية) التي تمشي مع كل الانبياء أيضاً كما سنقرأ ذلك في المحاضرات القادمة . نحن نبدأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بالسلام على رسول الله ﷺ أولاً فنقول:

(السلام على رسول الله أمين الله على وحيه وعزائم أمره الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله ورحمة الله وبركاته)(١).
نقرأ ذلك في الزيارة، لكن ربما لم يتوجه بعضنا لمعنى ذلك، ان رسالة النبي ﷺ هي رسالة مهيمنة على كل الرسالات، كما ان شخص النبي مهيمن على كل الرسل، وكل الانبياء، (وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ)(٢)، ومن هنا كان رسول الله ﷺ هو سيد الرسل كما نقرأ في دعاء شهر شعبان: (هذا شهر نبيك سيد رسلك شعبان)(٣).

أمينك:

(أَمِينَ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ)(٤)، رسول الله ﷺ هو (أمين الله على وحيه)، كما نقرأ ذلك في الزيارة: (السلام على رسول الله محمد بن عبد الله أمين الله على وحيه).
نذكر هنا مجموعة نقاط سنكتشفها من كلمة (امينك):

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / الاستئذان للدخول في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

^٣ مفاتيح الجنان للقمي / في اعمال شهر شعبان (كان علي بن الحسين عليه السلام يدعو عند كل زوال من أيام شعبان وفي ليلة النصف منه ويصلي على النبي ﷺ بهذه الصلوات: وهذا شهر نبيك سيد رسلك صلواتك عليه وآله، شعبان الذي حفته بالرحمة والرضوان) (إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس - ج ٣ - الصفحة ٣٠٠) (المحقق)

^٤ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / الزيارة عند الاستئذان للدخول من باب الرواق

٢٧٢ شرح دعاء الافتتاح

اولاً: ان هذا الامين على الوحي لا يتصرف من عنده ابدأ، حيث القرآن يقول:

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} (١).

فهو لا يتصرف من عنده، وانما هو أمين في إيصال الرسالة، هذا اولاً.

ثانياً: ولا يتلکأ في أداء هذه الرسالة، ابدأ لا يتثاقل ولا يتلکأ، ولا ينهار، ولا يضعف، ماذا كان يقول رسول الله، يوم اجتمعت عليه قریش؟

كان يقول لابي طالب عليه السلام: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر او اقتل دونه ما تركت) (٢).
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانبياء الخمسة واولوا العزم، بل هو اولهم، وهم يمتلكون العزم الكبير في أداء مهمتهم.

ولهذا سموا اولوا العزم، هذا امين ولكنه امين يمتلك عزمًا شديدًا، ولهذا نقول في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم: (أشهد انك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة) (٣).

ثالثاً: انه ليس مجرد أمين في إيصال الرسالة لنا، بل جسدها بسلوكه عملياً.

كان صلى الله عليه وسلم كما في الرواية: (كان خلقه القرآن)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

فَقَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَغْضَبُ لِعِصْيَانِهِ، وَيَرْضَى لِرِضَاةِ» (٤).

هذا هو الامين الحقيقي، فهناك أمين ومؤتمن لكنه لا يقدر أمانته، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو امين ويقدر أمانته {أَنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ} (٥) التزام

^١ سورة الحاقة الآية ٤٦، ٤٥، ٤٤

^٢ الغدير - الشيخ الأميني - ج ٧ - الصفحة ٣٥٩ / السيرة النبوية (ابن هشام) - مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم

^٣ مفاتيح الجنان / للقي زياره الرسول من البعد

^٤ رواه الطبراني، المعجم الأوسط، باب الألف من اسمه أحمد، حديث رقم ٧٢ .

^٥ سورة الانعام الآية ٥٠

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٧٣

اخلاق القرآن، اخلاق هذه الامانة وتجسيدها، حتى قال فيه تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (١).

نظرية العصمة:

ونصل الان الى نظرية العصمة، حيث اعتقاد شيعة اهل البيت عليهم السلام بعصمة النبي ﷺ، فطالما كان أميناً اذن هو معصوم عن الزلل {وما ينطق عن الهوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (٢)، معصوم في أداء الرسالة، ومعصوم في تطبيق الرسالة.

اذن هو تجسيد لهذه الرسالة الالهية، لا ذنب، ولا معصية، ولا نقصان في التبليغ ولا زيادة، هذه هي (نظرية العصمة).

طبعاً هنا نعتقد ان حمل هذه الامانة امتد في الائمة الاطهار ﷺ كما سنتحدث عن ذلك ان شاء الله في الفقرات اللاحقة، ولهذا نقرأ في الزيارة الجامعة للائمة الاطهار ﷺ: (وَأَبْوَابُ الْإِيمَانِ وَأُمْنَاءُ الرَّحْمَنِ) (٣). اذن النبي ﷺ أمين، والائمة عليهم افضل الصلاة والسلام، ايضا امناء على وحي الله تعالى.

صفيك:

هنا ايضا بشكل سريع ومختصر وموجز تأتي (نظرية الاصطفاء).

نظرية الاصطفاء:

وهي تعني ان النبوة ليست جهداً ذاتياً، ونبوغاً فكرياً، وقفزة روحية لدى شخص النبي ﷺ، كما يتحدث بذلك الحداثيون مع الاسف، وبعضهم من أبناء الاسلام، ولكنهم تأثروا وخُدعوا بالفكر الغربي.

النظرية الدينية تقول ان الله اصطفى الانبياء فهي عملية اصطفاء وعناية خاصة من الله تبارك وتعالى، وليست مجرد نبوغ ذاتي، وذكاء

^١ سورة القلم الآية ٤

^٢ سورة النجم الآية ٤

^٣ مفاتيح الجنان / للقمي / الزيارة الجامعة الكبيرة

٢٧٤ شرح دعاء الافتتاح

عقلي {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (١).

الملائكة ماذا نادى مريم؟

قالت: {يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} (٢).

هذه هي (نظرية الاصطفاء).

نظرية الاصطفاء، تعني في مدلول اخر ان مسيرة الدين هي مسيرة ما فوق بشرية متروكة للاصطفاء الالهي، والاختيار الالهي، وليس الى البشر.

الله تعالى وحده هو الذي يختار أن يبعث رسولاً، أو لا يبعث رسولاً، ينصر عباده أو لا ينصرهم، هناك فترة خمسمائة سنة بين رسول الله ﷺ وبين عيسى عليه السلام، وكذلك بين عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام اكثر من خمسمائة سنة ايضاً، لم يبعث الله فيها رسولاً، تلك هي مشيئة الله تعالى. العملية اذن هي عملية ما فوق بشرية، فليست نبوغاً فكرياً، ولا حركة الانبياء هي حركة عبر طاقات وخبرات سياسية.

نعم كل ذلك مطلوب، الخبرة والجهد الذاتي، والجهاد، وقد كان رسول الله ﷺ قمة في ذلك الجد والاجتهاد حتى نزل قوله تعالى: {طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (٣)، هذا كله مطلوب.

النبوة هي ما فوق ذلك هي عناية الله واختياره {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (٤) والتي سوف نتحدث بها ايضاً لدى عبارة (وخيرتك من

^١ سورة ال عمران الاية ٣٣

^٢ سورة ال عمران الاية ٤٦

^٣ سورة طه الاية ١ و٢

^٤ سورة الانعام الاية ١٢٤

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٧٥

خلقك)، النبوة اذن هي اختيار الهى، {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (١)
{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (٢)، {وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي} (٣).
لاحظوا هو اختيار ليس بارادة النبي ﷺ، {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ} هذا طبعاً مطلب
عظيم، نحن نعتقد فيه فى الامامة ايضاً.
حبيبك:

ننتقل للفقرة الخامسة (**وحبيبك**).

رسول الله ﷺ هو حبيب الله، لكنه اكثر من حبيب الله، هو حبيب الله
وهو خليل الله، وهو نجى الله، وهو نجيب الله، وهو سيد رسل الله.
نحن نقرأ باقى الاوصاف فى زيارته ﷺ:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا خليل الله، السلام عليك يا نبي
الله، السلام عليك يا صفى الله، السلام عليك يا رحمة الله، السلام عليك يا
خيرة الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نجيب الله، السلام
عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا قائماً
بالقسط السلام عليك يا فاتح الخير، السلام عليك يا معدن الوحي والتنزيل،
السلام عليك يا مبلغاً عن الله، السلام عليك أيتها السراج المنير، السلام
عليك يا مبشر السلام عليك يا منذر، السلام عليك يا نور الله الذي يستضاء
به (٤)

ايضاً فى زيارة اخرى للنبي ﷺ تقول الزيارة:

(محمد عبدك ورسولك وشاهدك ونبيك وامينك ومكينك ونجيك ونجيبك
وحبيبك و خليلك) (٥).

١ سورة طه الاية ١٣

٢ سورة طه الاية ٤١

٣ سورة طه الاية ٣٩

٤ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي / زيارة النبي من البعد

٥ المزار - الشهيد الأول - الصفحة ١٤

الحبيب والخليل:

هنالك كلام طويل في ان الحبيب أقرب منزلةً من الخليل، أو بالعكس، فقد كان ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن، فهل هو أقرب الى الله تعالى من نبينا ﷺ؟

الجواب: لا.

فان رسول الله ﷺ هو حبيب الله، وهو خليله أيضاً، فهو اعظم من كل الانبياء، واذا كانت الخلّة لإبراهيم عليه السلام فهي ايضاً لنبينا ﷺ، كما نقرأ في الزيارة: (وَحَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ وَصَفِيكَ وَصَفْوَتِكَ وَخَاصَّتِكَ)^(١). اذن رسول الله ﷺ هو الحبيب، وهو الخليل ايضاً لله تبارك وتعالى، ولم يتقدم ابراهيم عليه السلام على نبينا ﷺ في هذه الصفة، بل نبينا احتوى جميع صفات الانبياء. وما كان لديهم انما هو من نوره ﷺ.

وخيرتك من خلقك:

ننتقل للفقرة السادسة: (وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ)، هذا هو الذي سميناه (نظرية الاصطفاء والاختيار)، النبوة هي اختيار الهي {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (٢)، بل الدين والشريعة الالهية هي بالاساس اختيار الهي، ارسال الرسل اختيار الهي، كل هذا اختيار من الله تبارك وتعالى.

وَحَافِظُ سِرِّكَ:

وصلنا الى فقرة (وَحَافِظُ سِرِّكَ).

جملة (وَحَافِظُ سِرِّكَ)، ماذا تعني؟

تعني ان الله تبارك وتعالى له في هذا الوجود سرٌّ، وهذا السر لا يعلمه كمال المعرفة الا نبينا ﷺ، ماهو ذلك السر؟

^١ مفاتيح الجنان / للشيخ القمي/ زيارة النبي ﷺ

^٢ سورة طه الاية ١٣

الإمام علي عليه السلام يقول: (إن رسول الله ﷺ التقم أذني وعلمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فساق الله عز وجل ذلك إلي على لسان نبيه ﷺ)(١).
هنالك سرٌّ في صناعة هذا الكون (كل ما كان وما يكون)، هذا كله محفوظ عندهم، رغم أن قسماً من هذه الأسرار قد أذنوا بكشفها، مثل (قيام القائم)، و(قيام الدولة الإسلامية العادلة العالمية)، فهذا سرٌّ لكن كشفه باذن من الله تعالى، كما صرح به القرآن الكريم.

رسول الله ﷺ كان يقول: (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً)(٢).
هذا سرٌّ، ولكن كشفه رسول الله ﷺ، وهنالك أسرار غير مكشوفة، (علمني ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة)(٣).

طبعاً هذا القلب (حافظ سرّه)، موجود أيضاً للائمة ﷺ، كما نقرأ في زيارتهم ﷺ كما سيأتي (وَحَزَانُ عِلْمِكَ وَحَفْظَةُ سِرِّكَ وَتَرَاجِمَةُ وَحْيِكَ)(٤).
هنالك سرٌّ في هذا الوجود نحن لا نعلمه، لماذا؟ وإلى أين؟ وماذا سيكون؟ وما هي القوانين الحاكمة في هذا الوجود؟

قد نكتشف شيئاً يسيراً جداً في العلوم الطبيعية، لكن هنالك سر أعظم هو الاسم الأعظم، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِفَتْحِ الرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ،

^١ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ١٠ - ص ٦٤

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ - الصفحة ١٠٢

^٣ بصائر الدرجات: ١٢٧ / ١ عن أبي بصير، بحار الأنوار: ٢٦ / ١١٠ / ٦. (عن الإمام الباقر عليه السلام: سئل علي عليه السلام عن علم النبي ﷺ فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة. ثم قال: والذي نفسي بيده إنني لأعلم علم النبي ﷺ وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة)

^٤ مفاتيح الجنان للقمي/ زيارة النبي ﷺ (وَأَنْ الْأَيْمَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَوْلِيَاؤُكَ وَأَنْصَارُكَ وَحُجُجُكَ عَلَى خَلْقِكَ وَخُلَفَاؤُكَ فِي عِبَادِكَ وَأَعْلَامُكَ فِي بِلَادِكَ وَحَزَانُ عِلْمِكَ وَحَفْظَةُ سِرِّكَ وَتَرَاجِمَةُ وَحْيِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَبَلِّغْ رُوحَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي سَاعَتِي هَذِهِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَحْيَةً وَسَلَاماً، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ لَا جَعَلَ اللَّهُ آخِرَ تَسْلِيمِي عَلَيْكَ.)

وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَائِقِ أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ^(١).

هذا السر لا يعلمه البشر، إنما الأنبياء يعلمون شيئاً منه، هنالك فصول وابواب في كتاب الكافي وغير كتاب الكافي، في ان الائمة عليهم السلام لديهم علم ما كان وما يكون^(٢).

وهناك فصل فيه ان لديهم عدداً من حروف الاسم الاعظم، ويناسب ان اقرأ لكم هنا هذه الرواية:

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

(إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٣).

ولذا نقرأ في الدعاء:

(فَبِكُمْ يُجَبِّرُ الْمَهِيضُ ، وَيُشْفِي الْمَرِيضُ ، وَمَا تَزْدَادُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَغِيضُ إِنِّي بِسِرِّكُمْ مُؤْمِنٌ وَلِقَوْلِكُمْ مُسَلِّمٌ وَعَلَى اللَّهِ بِكُمْ مُقْسِمٌ فِي رَجْعِي بِحَوَائِجِي وَقَضَائِهَا وَإِمْضَائِهَا وَإِنْجَاحِهَا وَإِبْرَاحِهَا وَيَشْؤُونِي لَدَيْكُمْ وَصَلَاحِهَا)^(٤).
إذن هم يعرفون سر الحياة، وقوانين هذا الكون .

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء السمات

^٢ الإمام الباقر عليه السلام : سئل علي عليه السلام عن علم النبي ﷺ فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة.

ثم قال: والذي نفسي بيده إنني لأعلم علم النبي ﷺ وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة (بصائر الدرجات: ١٢٧ / ١ عن أبي بصير، بحار الأنوار: ٢٦ / ١١٠ / ٦) (المحقق)

^٣ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٢٣٠

^٤ مفاتيح الجنان للشيخ القمي الزيارة المشهورة الرجبية

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٧٩

ومبَّغ رسالاتك

ان رسول الله ﷺ هو مبَّغ الرسالة الالهية .
عقيدتنا ان رسول الله ﷺ بَلَّغ الرسالة الاسلامية بتمامها، كما نقرا في
الزيارة:
(اشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة)(١)، لا تقصير في ذلك ولا
خطأ.

مهمتان للنبي ﷺ

لكن الذي يجدر هنا ذكره ان النبي ﷺ له مهمتان:
المهمة الاولى: إبلاغ الرسالة.
المهمة الثانية: إقامة الرسالة.
الان هناك نظرية مطروحة عند الداعيين تقول: ان رسول الله ﷺ
ماهو الا واعظ، وليس هدفه اقامة الدولة الاسلامية، والحكومة الاسلامية،
وانما حدث ذلك كضرورة تاريخية، والاسلام هو مجرد ارشادات
ومواعظ، وهذا هو دور النبي ﷺ.
لكن هذه فكرة مغلوبة، فكرة رسخها الغربيون حينما عزلوا الكنيسة،
وارادوا اليوم في عالمنا الاسلامي ان يعزلوا الدين عن مجريات الحكم
والدولة.
في حين نحن نعتقد ان الانبياء ﷺ لديهم مهمتان: أولاً (إبلاغ الرسالة)،
وثانياً (إقامة الرسالة).

لاحظوا ماذا يقول القرآن الكريم:
{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}(٢).

^١ الغدير - الشيخ الأميني - ج ٥ - الصفحة ١٣٨

^٢ سورة الشورى الآية ١٤

ما هي الوصية التي أوصى الله بها الانبياء؟
 {أَقِيمُوا الدِّينَ}، هذه هي الوصية الالهية، وليس فقط اشرحوا الدين للناس،
 لا بل اقيموا الدين للناس، وحكم الناس بأحكام الدين، {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ} (١).
 النبي ﷺ هو الهادي، وهو الشاهد، والامام، والولي، والحاكم، والقائد الذي
 يجب طاعته.

اذن اصبح عندنا مهمتان للنبي ﷺ: إبلاغ الرسالة، ثم إقامتها على الارض
 ولهذا نحن نعتقد ان صاحب العصر والزمان سوف يقيم الدولة الاسلامية
 العالمية الكبرى، وذلك يعني اقامة الدين، كما قال تعالى:
 {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
 كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (٢).

القرآن الكريم يقول لاهل الكتاب: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ
 حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
 مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (٣).
 اذن المهم هو اقامة احكام الله، كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
 بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ
 فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ
 قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٤).

من هذه الآية يظهر بوضوح أن بعثة الانبياء إنما هي من أجل تحقيق
 العدالة واقامة القسط بين الناس، وقد يفرض عليهم ذلك استخدام القوة –
 الحديد فيه بأس شديد- كما تشير الآية- وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ- ولهذا

^١ سورة المائدة الآية ٤٩

^٢ سورة الصف الآية ٩

^٣ سورة المائدة الآية ٦٨

^٤ سورة الحديد الآية ٢٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٨١

فان النبي ﷺ كان قد تصدى لاقامة احكام الله وتطبيقها على الارض،
ودخل في معارك عديدة.

هذه كانت مهمة النبي ﷺ، ولهذا يقول القرآن الكريم : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} (١)،
اذن انت الداعي الى الله، وانت الهادي، وانت المبشر، هذه كلها ابلاغ
الرسالة، لكن فوق ذلك انت ايضاً الشاهد، القائد، الامام ، الولي الذي يجب
طاعته {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} (٢) هذا هو معتقدنا.

^١ سورة الاحزاب الاية ٤٥

^٢ سورة المائدة الاية ٥٥

شرح دعاء الافتتاح	٢٨٢
-------------------------	-----

المحاضرة الثانية والعشرون:

(اَللّٰهُمَّ وَ صَلِّ عَلٰى اَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ،
وَ وَصِيِّ رَسُوْلِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، عَبْدِكَ
وَ وَلِيِّكَ، وَ اَخِي رَسُوْلِكَ، وَ حُجَّتِكَ
عَلٰى خَلْقِكَ، وَ اَيَّتِكَ الْكُبْرٰى، وَ النَّبَا الْعَظِيْمِ).

*التوحيد والنبوة والامامة.

*الامامة في ثقافة الدعاء.

*ثمان صفات للامام علي عليه السلام

*السراقات الكبرى بعد وفاة النبي

*مكتوب على باب الجنة

*الترابط بين النبوة والامامة

*ضرورة الامامة

شرح دعاء الافتتاح	٢٨٤
-------------------------	-----

التوحيد والنبوة والامامة:

من روائع دعاء الافتتاح انه يحصي ويستعرض كبريات المعتقد الديني التوحيد، النبوة، الامامة، وهذه حالة نادرة في الادعية .
لاحظوا عندنا ادعية مثل دعاء (ابي حمزة الثمالي)، مثل (دعاء كميل)، مثل (دعاء الامام الحسين عليه السلام في عرفة)، مثل (دعاء الصباح)، كلها حول محور التوحيد، والارتباط بالله تبارك وتعالى والتضرع له وطلب العفو منه.

لكن من روائع دعاء الافتتاح انه يتضمن التوحيد، واستعراض محامد الله تعالى، ثم ينتقل للنبوة (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَمِينِكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبِيبِكَ، وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَحَافِظِ سِرِّكَ، وَمُبَلِّغِ رِسَالَتِكَ)، ثم يصل للامامة وذكر الائمة الاطهار عليهم السلام، (اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..)

ثم ينتقل للقائم من ال محمد عليه السلام، (وَالْخَلَفِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ)، ثم ينتقل في الختام الى الدعاء والتوسل لتحقيق الفرج والنصر العالمي للاسلام، ولعل هذا العرض مما ينفرد به دعاء الافتتاح.

الحقيقة ان الادعية بشكل عام هي ليست مجرد طلب حاجات من الله وتوسل اليه، ولعل اكثر الناس يتعاملون مع الدعاء على اساس انه طلب حاجة من الله.

اما في ثقافة اهل البيت عليهم السلام، فالدعاء هو منظومة فكرية، في الوقت الذي هو القرآن الصاعد، في الوقت الذي هو المناجاة مع الله، لكن هو منظومة فكرية تتأكد فيها العقيدة، وتلقين النفس بها.

لاحظوا مثلاً ما جاء في بعض الادعية حين يقول: (رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ كِتَابًا وَبِعَلِيِّ إِمَامًا)^(١)، هذا هو تسطير لمعتقداتنا، وتلقين النفس، وتأكيد لها في القلب.

هذا نمط آخر من الدعاء، هذا ليس فقط، اللهم ارزقني، وشافني، وعافني، هذا شيء آخر، هذا من روائع الادعية.

الان في دعاء الافتتاح بدأنا في الفصل الاول بمحمد الله تبارك وتعالى، والتوحيد، ثم وصلنا للفصل الثاني النبوة والامامة (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، ثم وصل على علي أمير المؤمنين ...)، هذا تأكيد لمعتقدنا في امامة اهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام.

ثمان صفات للامام علي عليه السلام:

هذا الدعاء يسجل للامام علي عليه السلام مجموعة صفات، أمير المؤمنين، وصي رسول رب العالمين، عبدك، وليك، اخي رسولك، حجتك على خلقك، إيتك الكبرى، والنبأ العظيم.

هذه ثمان صفات يسجلها الدعاء للامام علي عليه السلام، والان نمر عليها مروراً سريعاً، وبحثنا هنا ليس بحثاً عقائدياً، ودرساً عقائدياً، ولكن هو مرور وإستلهامات من هذا الدعاء العظيم.

أمير المؤمنين عليه السلام:

(وَصَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ)، هذا اول وصف للامام علي عليه السلام، حيث نحن الشيعة نعتقد ان هذا الوصف مما يختص به الامام علي عليه السلام. قيل للامام الصادق عليه السلام يا ابن رسول الله نقول للامام القائم يا أمير المؤمنين؟

قال: لا ذاك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر.

قلت جعلت فداك كيف نسلّم على الامام القائم؟

^١ مفاتيح الجنان للقمي الفصل الرابع في دعوات ماثورة قبل الصلاة وفي أدبارها

قال: تقولون: السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ: { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (١)(٢).

اذن أمير المؤمنين هو وصفٌ للامام علي عليه السلام فقط دون الائمة عليهم افضل الصلاة والسلام، هكذا اكدته الروايات كما في (كتاب الكافي)، وكما في (خصال الصدوق)، وكما في (وسائل الشيعة)، وتجده في مصادر كثيرة.

الامام علي عليه السلام يقول: ان رسول الله أمر أن أدعى بإمرة المؤمنين^(٣)، وكلكم تعرفون حديث الغدير^(٤) حينما نصب لرسول الله صلى الله عليه وآله خيمة، ونصب الى جانبها خيمة اخرى لعلي عليه السلام، وأمر المسلمين بالسلام على علي عليه السلام بلقب السلام عليك يا امير المؤمنين. وهنا الحديث المعروف الثابت عند السنة والشيعة، ان عمر بن الخطاب قال: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولى كل مؤمن و مؤمنة . وفي رواية: مولاي ومولى كل مؤمنة ومؤمن^(٥).

^١ سورة هود الآية ٨٨

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٤١٢

^٣ الخصال للشيخ الصدوق ص ٥٨٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج ٣ ص ١٨٤ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٤٥ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وج ٨ ص ٢٤٦. (عن علي عليه السلام): أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أن أدعى بإمرة المؤمنين في حياته وبعد موته، ولم يطلق ذاك لأحد غيري. (المحقق)

^٤ يُعتبر حديث الغدير من الأحاديث التاريخية الهامة و المصيرية التي أدلى بها رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الأخيرة من حياته المباركة ، و هي من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و توجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى و ولاية رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله بكل صراحة و وضوح . ثم إن حديث الغدير حديث متواتر رواه المحدثون عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و عن التابعين بصيغ مختلفة ، تؤكد جميعها على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، لكون الجوهر الأصلي فيه واحد و إن اختلفت بعض العبارات (المحقق)

^٥ آيات الغدير - مركز المصطفى صلى الله عليه وآله - الصفحة ٥٦

وهذه منزلة الولاية لم تكن إلا لله سبحانه وتعالى، ثم جعلها الله لرسوله ﷺ ولعلي عليه السلام بدليل قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (١). وكان ذلك هو علي عليه السلام حين تصدق بالخاتم في صلاته كما حدث في القصة المعروفة (٢).

اذن هذا من اختصاصات امير المؤمنين عليه السلام، لكن بطبيعة الحال فان الذين غصبوا الخلافة، ومن اجل ان يعفوا على اثار الجريمة، ولا يبقوا لها اوراق اثبات قاموا بعملية سرقة هذه الالقاب أيضاً. سرقة لقب (امير المؤمنين)، سرقة لقب (الفاروق)، سرقة لقب (الصديق)، وكلها من اختصاصات إمامنا امير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام.

وقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الرضا عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: (يا علي أنت الفاروق الاعظم، وانت الصديق الاكبر) (٣).

^١ سورة المائدة الآية ٥٥

^٢ (الأمالي للشيخ الصدوق : ١٨٥)

قصة التصديق: قال الإمام الباقر عليه السلام: إن رهطاً من اليهود أسلموا ، منهم : عبد الله بن سلام ، وأسد ، وثعلبة ، وابن يامين ، وابن صوريا ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا نبي الله ، إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون ، فمن وصيك يا رسول الله ؟ ومن ولينا بعدك ؟ فنزلت هذه الآية : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).

ثم قال رسول الله ﷺ : (قوموا) ، فقاموا فأتوا المسجد ، فإذا سائلٌ خارج ، فقال : (يا سائل ، أما أعطاك أحد شيئاً) ؟ قال : نعم ، هذا الخاتم .

قال ﷺ : (مَنْ أعطاك) ؟ قال : أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي ، قال : (على أي حال أعطاك) ؟ قال : كان راعياً ، فكبر النبي ﷺ ، وكبر أهل المسجد .

فقال ﷺ : (علي وليكم بعدي) ، قالوا : رضينا بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، وبعلي بن أبي طالب ولياً ، فأنزل الله عز وجل : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المحقق)

^٣ عيون اخبار الرضا عليه السلام / الصدوق / ج ١ / ص ٩

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٨٩

السراقات الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ:

لاحظوا يا سادتي الكرام هناك ثلاث سرقات كبرى، حدثت بعد رسول الله ﷺ، السرقة الاولى سرقة الحكم، السرقة الثانية سرقة الرسالة، السرقة الثالثة سرقة الامة^(١).

اول سرقة هي سرقة الحكم من أهله بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن بقي الامام علي عليه السلام لفترة طويلة هو الامام الديني لهم جميعاً. حتى قال قائلهم: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن)^(٢). هذه هي السرقة الاولى، سرقة الحكم. لكن السرقة الثانية هي سرقة الرسالة الاسلامية وتحريف الاسلام. الامام الحسين عليه السلام ماذا كان يقول؟

كان يقول: (أما السنة فقد أُميتت، وأما البدعة فقد أُحييت)^(٣)، هذه غير قضية الحكم، الحكم غصباً غصبوه، ثم الاسلام حرّفوه، ولم يبقَ من الاسلام شيء، لولا اهل البيت عليه السلام (سفن النجاة) وبدونهم لانتهى الاسلام. هذه هي السرقة الثانية، سرقة الرسالة الاسلامية. وبعدها كانت السرقة الثالثة، سرقة الامة واستعبادها، الامة صاروا عبيداً يسيرهم الحكام كما شاءوا حتى لحروب ضد المسلمين أنفسهم. حتى صرنا نشهد ممالك دول الخليج في عصرنا هذا، تتحالف مع الصهيونية ضد شعوب ودول اسلامية.

نستذكر هنا استنكار زيد بن ارقم^(٤)، الصحابي الكبير على ابن مرجانة لما رآه يضرب بقضيبه شفتي ریحانة رسول الله ﷺ، ورأسه في طشتٍ ماذا قال؟

^١ للمزيد من التفاصيل راجع كتاب (دور الشيعة في التاريخ) للسيد المؤلف

^٢ كان عمر يقول فيما يسأله عن علي عليه السلام فيفرج عنه: لا أبقاني الله بعدك، وفي تاريخ البلاذري: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن، وفي الإبانة والفائق: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٠ - الصفحة ١٤٩)

^٣ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام - الصفحة ٣٨٣

٢٩٠ شرح دعاء الافتتاح

قال زيد بن ارقم : (انتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم) (١).
ابن زياد يحكم هذه الامة المسكينة، استعبدتهم حتى وصلنا للحجاج
فبايعوه على الرق والعبودية علنا.
حتى من التابعين مثل عبد الله بن عمر (٢) وامثاله طبعاً، بايعوا الحجاج
على الرق والعبودية.
هذه ثلاث سرقات، كانت بعد رسول الله ﷺ، ومن اجل خلط الاوراق
يسرقون الالقاب ايضاً، وهكذا سرقوا لقب امير المؤمنين من الامام
عليه السلام.

حتى اني رايت في المملكة العربية السعودية كتاباً يدرسه في
المدارس، مكتوب عليه (امير المؤمنين يزيد بن معاوية)، وهم يعلمون
من هو يزيد، شارب الخمر، قاتل النفس، لاعب القردة، قاتل الحسين، هادم
الكعبة، كل ذلك يعرفونه ويلقبونه بأمره المؤمنين! ولا حول ولا قوة الا
بالله.
ليتهم قالوا انه فرض نفسه بالقوة، لكن دون أن يعطوه لقب أمير المؤمنين،
الا انهم يفعلون ذلك من اجل خلط الاوراق، حتى تضع اثار الجريمة..
وعلى كل حال (امير المؤمنين) لقب من اختصاصات الامام علي عليه
افضل الصلاة والسلام.

وصي الرسول ﷺ :

اللقب الثاني : (وَصِيَّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) كما جاء في الدعاء :

^١ أبو سعد، زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي. من أصحاب النبي ﷺ والإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين عليه السلام.

^٢ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام - ابن عساكر - الصفحة ٣٨٢

^٣ ذكر ذلك ابن حمدون في التذكرة الحمدونية ج ٩ ص ٢٢٥ حيث قال:
روي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استأذن علي الحجاج ليلا فقال الحجاج : إحدى حمقات أبي عبد
الرحمن . فدخل فقال له الحجاج : ما جاء بك ؟ قال : ذكرت قول النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم : من مات وليس
في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية . فمد إليه رجله فقال : خذ فبايع . أراد بذلك الغض منه

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٩١

(اَللّٰهُمَّ وَصَلْ عَلٰى عَلِيٍّ اَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَوَصِيِّ رَسُوْلِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ)،
ايضاً البحث هنا ليس بحثاً عقائدياً، ليس هنا محل الخوض في أدلته،
والروايات الدالة على امامة الامام علي عليه السلام.

لكن هذا الدعاء يسجل هذا اللقب للامام علي عليه السلام (وَصِيِّ رَسُوْلِ رَبِّ
اَلْعَالَمِيْنَ)، ليس هو الرسول، ولا نغالي انما هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
وهنا نجد كتب الفريقين السنة والشيعة مليئة بالدليل على هذه الوصية
من حديث الدار^(١) الذي ذكره كبار مؤرخي ومحدثي السنة، فضلاً عن
الشيعة، الى غيره من الاحاديث المتواترة.
حديث الدار:

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}^(٢)، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي، إن الله
يأمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين.

فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما
أكره، فصمت عليها، حتى جاءني جبرئيل فقال لي: يا محمد إلا تفعل ما
تؤمر يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة،
واملاً لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت
به.

ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون
رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب.

^١ حديث يوم الدار، من الأحاديث الدالة على خلافة علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد رواه الشيعة والسنة.
عندما أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإعلان دعوته لعشيرته الأقربين، جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني عبدالمطلب و أمر
عليّاً أن يصنع لهم طعاماً و شرباً، وبعد ذلك عرض عليهم الإسلام ونصب عليّاً وصياً وخليفة عليهم من
بعده.(المحقق)

^٢ سورة الشعراء الآية ٢١٤

فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعته، فجننتهم به، فلما وضعتهم، تناول رسول الله ﷺ جذبة من اللحم، فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشئ حاجة، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم. ثم قال: إسق القوم، فجننتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بדרه أبو لهب فقال: سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فقال في الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فأعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم، ففعلت ثم جمعت، فدعاني بالطعام فقربته، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا وشربوا، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب، إني قد جننتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازني على أمري هذا ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً.

فقلت وأنا أحدثهم سناً: يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. قال: فأخذ برقبتي، وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا^(١).

الرسول ﷺ طالما كان يقول لعلي: (يا علي انت أخي، ووصي، ووارثي)، وهذا نقرؤه في دعاء النذبة، الذي يستعرض اقوال رسول الله ﷺ في الامام علي ﷺ قائلاً^(٢):

^١ معالم التنزيل ٤ / ٢٧٨ - ٢٧٩ - طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ.
^٢ رواه السيد ابن طاووس في الإقبال، ومصباح الزائر، ورواه أيضاً ابن المشهدي في المزار الكبير. قال السيد ابن طاووس: ذكر بعض أصحابنا قال: قال محمد بن علي بن أبي قرّة، نقلت من كتاب محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري دعاء النذبة، وذكر أنه الدعاء لصاحب الزمان ﷺ. (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٩٣

(أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، لَحْمُكَ لَحْمِي، وَدَمُكَ دَمِي، وَسَلْمُكَ سَلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيمَانُ مُخَالِطُ لَحْمِكَ وَدَمِكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي)(١).
حديث المنزلة(٢):

قال رسول الله ﷺ:

(يا علي الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ الا انه لا نبي بعدي)(٣)، وذلك حين أستخلفه رسول الله ﷺ في المدينة لدى خروجه لغزوة تبوك فقال قائلهم أن رسول الله ﷺ قد هجر علياً، فاقبل علي ﷺ الى رسول الله ﷺ ونقل له مقالته فقال: يا علي الا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى)(٤).

اذن، الامام علي ﷺ هو الوصي؟ بلا شك ..

الان نسأل المذاهب الاخرى هل اوصى رسول الله ﷺ لأحد غير علي ﷺ؟
انهم لا يذكرون أنه اوصى لأحد الا الامام علي عليه افضل الصلاة والسلام.

وليّك:

هكذا يؤكد هذا المقطع من دعاء الافتتاح على عبودية الامام علي ﷺ لله أولاً، ثم الولاية لله تعالى، فالامام علي ﷺ هو عبد الله تبارك وتعالى، وهذا هو الشرف العظيم ونحن لا نغالي، ولا نكون مثل اولئك الغلاة (العلي

^١ إقبال الأعمال (الإقبال بالأعمال الحسنة) : ٢٩٥ ، للسيد رضي الدين بن طاووس ،

^٢ حديث المنزلة هو قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ : " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " وقد أدلى رسول الله ﷺ الحديث المذكور في المناسبات التالية :

١. يوم المؤاخاة ٢. يوم بدر ٣. يوم فتح خيبر ٤. غزوة تبوك ٥. يوم المباهلة ٦. حجة الوداع ٧. يوم غدیر خم (المحقق)

^٣ الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - الصفحة ١٦٢

^٤ الطبقات الكبرى : ٣ / ٢٤ ، أنساب الأشراف : ٢ / ٣٤٩ ، المعجم الكبير : ٥ / ٢٠٣ / ٥٠٩٤ نحوه

وراجع خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي : ١٠٦ / ٤٥ .

اللاهية)، ولا مثل النصارى الذين ألّوها عيسى ابن مريم عليه السلام، بل الامام علي عليه السلام هو قبل كل شيء عبد الله تبارك وتعالى.

مامعنى ولي الله؟

لاحظوا يا سادتنا الكرام، مرة نقول علي عليه السلام ولي المؤمنين، يعني له الولاية على الناس، هذا شيء، لكن الدعاء يذكر شيئاً آخر، هو (ولي الله)، وليس ولي المؤمنين، وهناك فرق بين المعنيين.

ولي المؤمنين، يعني ولي أمرهم، وهو ما يشير اليه قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (١)، الى سائر الاحاديث النبوية مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ان عليا مني وانا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي) (٢).

الى قوله صلى الله عليه وسلم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) (٣).

هذه هي الولاية على المؤمنين، لكن الدعاء الآن ماذا يقول؟ يقول هو (ولي الله)، يعني هذا الامام علي عليه السلام مرة ننظر اليه من ناحية المؤمنين فهو وليهم وسيدهم، ومرة من ناحية الله، فهو ولي الله وهو حبيب الله تعالى.

الان هذه القضية كيف نفهما؟ (علي ولي الله)، هذه الصفة ليست من اختصاصات الامام علي عليه السلام، وان كان قد بلغ قمته، لكن هي صفة ثابتة للائمة الاطهار عليهم السلام، والقرآن يثبتها لجميع اوليائه تعالى فيقول: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٤).

^١ سورة المائدة الآية ٥٥

^٢ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام النسائي ص ٩٨

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٧ - الصفحة ١٢٦

^٤ سورة يونس الآية ٦٢

ونقرأ هذه الصفة منسوبة للأئمة الاطهار عليهم السلام في زيارتهم حين نقول: (السلام على اولياء الله واصفيائه) (١). ونقرأ ايضاً في زيارة الامام علي عليه السلام: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ) (٢). هذه الروايات تؤكد على ان علياً عليه السلام هو قمة في الايمان، وليس مجرد حاكم وخليفة وولي امر المؤمنين.

الفكر الشيعي يقول ان الولي الحاكم والخليفة يجب ان يكون ولياً لله تبارك وتعالى قبل ان يكون ولياً على المسلمين ، لذا نقرأ في الزيارة: (السلام عليك يا ولي الله، يا حبيب الله، يا صفوة الله، يا حجة الله) (٣)، وهكذا نقرأ في زيارتهم عليهم افضل الصلاة والسلام.

الان ماهو الدليل على ان الامام علياً عليه السلام ولي الله؟

هنا الاحاديث ايضاً الثابتة في مصادر الحديث عند الفريقين السنة والشيعية، مثل كتاب (فرائد السمطين) وهو لمؤلفه الحموي.

وكتاب (احقاق الحق) (٤) لمؤلفه القاضي التستري- وله قصة عظيمة وهو شهيد فُرض بالمقاريض حينما ذهب الى بلاد الهند وكان ينشر هناك التشيع، وشوا به الى السلطان، ثم حكم عليه القاضي بان يقرض بالمقاريض.

^١ وردت هذه العبارة في الزيارة الجامعة لأئمة البقيع عليهم السلام وقد ذكرها الفقهاء ضمن مناسك الحج، كما وردت في زيارة الأئمة الجامعة وقد رواها الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه عن الامام الرضا عليه السلام (المحقق)

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المطلقة الخامسة

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ زيارة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام

^٤ إحقاق الحق وازهاق الباطل؛ المشهور بإحقاق الحق وهو كتاب كلامي صنفه الشهيد القاضي نور الله الشوشنري من أبرز علماء الشيعة والمتوفى سنة ١٠١٩ هـ. يحتوي على مباحث تعزز عقائد الشيعة وتثبت ما تذهب إليه في الكثير من المباحث. ويعدّ الكتاب ردّاً على كتاب إبطال نهج الباطل وإهمال كشف العاطل من تأليف فضل الله أمين بن روزبهان بن فضل الله الخنجي الشيرازي الأصفهاني من علماء الشافعية، صاحب المؤلفات الكثيرة ومن أشهرها كتاب إبطال نهج الباطل الذي صنفه ابن روزبهان ردّاً على كتاب العلامة الحلي الموسوم بنهج الحق الذي كتبه لاولجايتو سلطان محمد خدابنده يبين له فيه ملامح ومميزات المذهب الشيعي. (المحقق)

هذه المصادر تذكر هذه الرواية :

ان رسول الله ﷺ قال:

(لما اسري بي الى السماء رأيت مكتوباً على باب الجنة، لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام)^(١).

ثم أن ولاية الامام علي عليه السلام الله تبارك وتعالى لا يشك فيها احد، فمن لا يدري ان علياً كان اكثر الناس إخلاصاً؟ أولهم ايماناً؟ أكثرهم تضحية؟ قالع باب خبير^(٢)، باب مدينة علم النبي ﷺ^(٣)، حتى أولئك الذين يشكون في خلافته، فان احداً منهم لا يشك في ولايته الله تبارك وتعالى، ومع ذلك فان الادعية الشريفة تريد تأكيد ذلك في الفكر الشيعي والاسلامي بشكل عام ، تريد ان تؤكد هذه المعتقدات، الوصي، العبد، الولي، امير المؤمنين.

ولاية الله:

من اين جاءت الولاية؟

(علي ولي الله)، والشيعية يقولون في الاذان (اشهد ان علياً ولي الله)، بالامس ذكرنا رواية موجودة في مصادر السنة وموجودة في مصادر الشيعة ان رسول الله ﷺ عندما عرج به الى السماء رأى مكتوباً على باب الجنة (لا اله الا الله) (محمد رسول الله) (علي ولي الله)، هذه مصادر سنّية

^١ الخصال - الشيخ الصدوق - الصفحة ٦٣٨

^٢ عن أبي سعيد الخدري ، قال : أتت فاطمة عليها السلام النبي ﷺ فذكرت عنده ضعف الحال ، فقال لها : أما تدريين ما منزلة علي عندي ؟ كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشرة سنة ، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة ، وفرج همومي وهو ابن عشرين سنة ، ورفع باب خبير وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وكان لا يرفعه خمسون رجلاً ، قال : فأشرق لون فاطمة عليها السلام ولم تقر قدمها حتى أتت علياً عليها السلام فأخبرته ، فقال : كيف لو حدثك بفضل الله علي كله (الأمالي الصدوق ص ٤٨٢)

^٣ قال النبي ﷺ - بالاجماع - : أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب (بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٠ - الصفحة ٢٠٥)

تذكر هذه الرواية مثل ابن حجر^(١) والحموي^(٢) والطبراني^(٣) والحاكم^(٤) وغيرها.

انا هنا الفت نظركم الى ان اية الله المرحوم السيد هادي الميلاني^(٥) وهو من علماء النجف الاشرف وقد انتقل الى مشهد المشرفة فكان هناك مرجعاً من مراجع الدين في مشهد، وتوفي هناك ودفن في حرم الامام الرضا^(عليه السلام).

له كتاب رائع اسم الكتاب (قادتنا كيف نعرفهم) وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب يستخرج مصادر هذا الحديث من الكتب السنية، وليس فقط المصادر الشيعية، مصادر من امهات كتب الحديث عند اهل السنة، رضوان الله على علمائنا، وعلى اية الله السيد الميلاني اعلى الله شأنه في استعراض هذه المصادر.

^١ شهاب الدين أبو الفضل مُحَدَّث وعالم مسلم، شافعي المذهب، عمل بالحديث وشرح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري، فاشتهر اسمه، وله العديد من المصنفات الأخرى، عَدَّها السخاوي ٢٧٠ مصنفًا، وذكر السيوطي أنها ٢٠٠ مصنف. وقد تنوعت مصنفاته، فصنف في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك. (المحقق)

^٢ الطبراني إمامًا كبيرًا ثقة عارفًا بالعلل والرجال، وكان حافظ عصره بدأ رحلته في طلب الحديث في سنة ٢٧٣ هـ، وحينئذ كان عمره ثلاث عشرة سنة، فرحل إلى الشام وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان، والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة وغير ذلك، وأقام في رحلته ثلاثًا وثلاثين سنة، سمع خلالها الكثير من الشيوخ والعلماء حتى وصل عدد شيوخه إلى ألف شيخ، منهم: أبو زرعة الدمشقي والنسائي، وقد سئل الطبراني عن كثرة حديثه فقال: كنت أنام على البواري ثلاثين سنة. (المحقق)

^٣ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. من كبار المحدثين ومن أصحاب الصحاح. اشتهر بكتابه المستدرک على الصحيحين ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة ٣٥٩ هـ ولي قضاء نيسابور، ولُقِّب بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف، تولى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السامانيين فأحسن السفارة. (المحقق)

^٤ السيد محمد هادي الميلاني، عالم دين، ومرجع شيعي، ولد في النجف الأشرف في عام ١٣١٣ هـ. كان والده من مراجع الدين البارزين في القرن الرابع عشر الهجري، وينتسب من ناحية الأم لعائلة المامقاني، فجدّه هو المرجع محمد حسن المامقاني. بلغ مرحلة الاجتهاد في العقد الثالث من عمره. كان مشغولاً بالتدريس في النجف الأشرف، ثمّ هاجر إلى كربلاء، وفتح فيها باب التدريس أيضاً. وفي سنة ١٣٧٣ هـ تشرف بزيارة الإمام الرضا، ^(عليه السلام) وبقي فيها بعد طلب أهل المدينة ذلك، فأقام فيها وتزعم شؤون الحوزة وترأسها أصولاً وفقهاً. وله مؤلفات كثيرة وإنجازات كبيرة، كما كان له نشاط سياسي ضد النظام الملكي في إيران. وللميلاني أولاد، هم: نور الدين وعباس ومحمد علي. وتوفي الميلاني في آخر شهر رجب من عام ١٣٩٥ هـ، ودفن في الحضرة الرضوية المقدسة. (المحقق)

٢٩٨ شرح دعاء الافتتاح

اذن نحن امام حديث مرويٍّ بمصادر معتبرة عند السنة، وعند الشيعة.
مكتوب على باب الجنة:

السؤال الان مامعنى مكتوب على باب الجنة؟ هل هذا غلو عند الشيعة؟
قلنا: هذا الحديث موجود عند الشيعة وعند السنة.
هنالك روايات موجودة ايضاً عند الشيعة وعند السنة تقول:
(مكتوبٌ على باب الجنة، الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر)^(١)،
رغم ان قضية الصدقة والقرض هي قضية بسيطة بالنسبة للولاية، بالنسبة
الى (لا اله الا الله)، (محمد رسول الله)، (علي ولي الله)، نعم ان يضاعف
الصدقة بعشر اضاعفها، والقرض يضاعفه بثمانية عشر ضعفاً كما هو
ثابت في الروايات، لكن بدرجة من الاهمية والصدقية أنه مكتوب على
باب الجنة، واذا كان هذا مكتوباً على باب الجنة!!

اذن لماذا نستوحش اذا كتب على باب الجنة (علي ولي الله)، الولاية
أعظم من الصدقة واعظم من القرض، لكن تعال نسأل عن معنى ذلك.
نحن الان لا نستطيع ان ندخل في عمق المعنى، ونفلسف هذا
الموضوع، لكن بالتأكيد، الفكر الديني ماذا يقول؟
الفكر الديني يقول:

اولاً: ان الجنة قائمة بالفعل، ولهذا فان رسول الله ﷺ حين عرج به الى
السماء رأى الجنة وما فيها، ورأى النار وما فيها.
اذن الجنة قائمة بالفعل .

^١ الإمام الصادق عليه السلام: مكتوب على باب الجنة: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر (ميزان الحكمة - محمد
الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٥٤٨)
كما رواه اهل السنة أنس بن مالك - خلاصة الدرجة: - المحدث: الألباني - المصدر: ابن ماجه - الصفحة:
٤٧٨ (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا
جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من
حاجة)

شرح دعاء الافتتاح..... ٢٩٩

ثانياً: الجنة لها أبواب، والقرآن الكريم ايضاً يقول {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} (١) لا توجد مشكلة اذن.

كتابات على ابواب الجنة، وأسماء لأبواب الجنان، هذه احاديث متفق عليها عند السنة والشيعة ان للجنة باب يقال له المعروف (٢)، لا يدخله الا اهل المعروف، وباب اخر اسمه الريان (٣) وهكذا.

اذن هذه أبواب، وهذه أسماء وباب الجنة مكتوب عليه الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر.

كما نجد مكتوباً على ساق العرش، كما الرواية التي يرويها مصادر اهل السنة مثل الحمويني، تقول:

(مكتوبٌ على ساق العرش، الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة) (٤)، ماذا يعني ذلك؟

هل يعني القدرة؟ يعني مكتوب في عالم القدرة الالهية، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (٥) يعني استوى على النظام الكوني، في هذا النظام الكوني مكتوب (الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وهكذا الجنة مكتوب على بابها (علي ولي الله).

ان الجنة التي هي انعكاس لعالم الدنيا، والدنيا والآخرة وجهان لحقيقة واحدة، كما الولاية في الدنيا لها آثار تكوينية، الولاية هناك أيضاً على باب الجنة مكتوب (ليس بالضرورة ان يكون بمعنى الكتابة بالقلم كما نفعله في الدنيا، بل ربما بمعانٍ اخرى مثل كتب عليكم الصيام)، بمعنى أن هذا حق مفروض في عالم السماء.

^١ سورة الزمر الآية ٧٢

^٢ قال الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الْمَعْرُوفُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ" (الكافي: ٤ / ٣٠)

^٣ قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يَدْعَى "الريان" لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ (مِيزَانُ الْحِكْمَةِ - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٤٣١)

^٤ مدينة المعاجز - السيد هاشم البحراني - ج ٤ - الصفحة ٥٢

^٥ سورة الاعراف الآية ٥٤

عليّ ولي الله.

الافضل ان لا ندخل في فلسفة هذا الامر، فهو أمر لا نعلمه، لكن في الصحيح من الروايات ان باب الجنة مكتوب عليه لا اله الا الله، محمد رسول الله، عليّ ولي الله.

دعوني انقلكم الى حديث سبق ان اشرت اليه، فالنبي ﷺ، في النشأة الاولى، والحقيقة المحمدية كان نوراً قبل ان يخلق الله ادم، ومن ذاك النور انبعث كل الوجود الكوني، هذه ايضاً روايات مسلمة، نحن حقاً لا ندرك معناها، نحن اقل من ان ندرك ذلك، بل نحن لا ندرك ماهو المعراج؟ كيف عرج بالنبي ﷺ؟ هذه امور لا ندرك عمقها، لكن نحن نصدق بها.

كما نعتقد ان الحقيقة المحمدية هي نور في عالم النشأة الاولى نعتقد ان علياً ﷺ، (الحقيقة العلوية) هي نورٌ ايضاً في عالم ما قبل هذا الكون، ورسول الله ﷺ، وعلي ﷺ نورٌ واحد.

وهنا روايات عديدة حول هذا الموضوع في شخصية رسول الله ﷺ والامام علي ﷺ، انا اقرأ لكم واحدة من هذه الروايات في اصول الكافي للشيخ الكليني التي هي عن الامام الصادق ﷺ قال:

(إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدا وعلياً، فلم يزالا نورين أوليين، إذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب ﷺ)(١).

هذه الحقيقة المحمدية والعلوية في النشأة الاولى ما قبل هذه الدنيا، فلم يزالا نورين أوليين اذ لا شيء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين في

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٠١

الاصلاب الطاهرة حتى افترقا في اظهر طاهرين في عبد الله وابي طالب(١).

وايضاً الرواية الاخرى التي قرأنا لكم مطلعاً منها في(المحاضرة العشرين) ان رسول الله ﷺ لما عرج به الى السماء قال فيما قال: (حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه فنوديت: يا محمد، فقلت: لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت.

فنوديت: يا محمد أنت عبدي وأنا ربك فإياي فاعبد وعلي فتوكل، فإنك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي في بريتي، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت نارتي، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي.

فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟

فنوديت: يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي.

فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نورا في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي، أولهم علي بن أبي طالب، و آخرهم مهدي أمتي.

فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي؟

فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك.

وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلن بهم كلمتي ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولاسخرن لها الرياح ولأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب ولأنصرنه بجندي و لأمدنه بملائكتي حتى تعلو دعوتي وتجمع الخلق على توحيدتي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة(٢).

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٤٤٢

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٦ - الصفحة ٣٣٨

٣٠٢ شرح دعاء الافتتاح

اذن اليوم حينما نقرأ في الدعاء، وليك واخي رسولك، الولي هذه
الولاية الثابتة منذ خلق الله الخلق وقبل ان يخلقهم
الترابط بين النبوة والامامة:

الامام الخميني (قدس الله سره الشريف) تبعاً لعرفاء الاسلام يعتقدون
ان هناك ترابطاً وتكاملاً وتزواجاً بين النبوة والامامة، بين الخلافة
والولاية، الولاية هي باطن النبوة، الولاية هي عمق النبوة، كما في كتابه
مصباح الهداية الى الخلافة والولاية.

يقول (قدس سره): (الولاية باطن الخلافة والولاية المطلقة الكلية باطن
الخلافة الكذائية)(١).
ويقول قبل ذلك:

(وبما علمناك من البيان وآتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى
الموحدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى اله
اجمعين (كنت مع الانبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً، فانه صلوات الله
عليه صاحب الولاية المطلقة الكلية)(٢).

حجة الله:

وصلنا الى قوله: (وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ)، الامام علي عليه السلام هو حجة الله
على الخلق، وكل الائمة عليهم السلام هم حجج الله على خلقه.
ولهذا نقرأ في نفس دعاء الافتتاح بعد ما نصل لذكر الائمة عليهم السلام، (حُجَّتِكَ
عَلَى عِبَادِكَ، وَأَمْنَانِكَ فِي بِلَادِكَ).

مصادر السنة تذكر ان علياً عليه السلام هو الحجة على العباد، ومصادر الشيعة
ايضا تذكر ان علياً عليه السلام هو الحجة على العباد، رسول الله صلى الله عليه وآله، في مصادر
اهل السنة يقول: (انا وهذا —علي— حجة الله على أمتي يوم القيامة)(٣).

^١ مصباح الهداية الى الخلافة والولاية / ص ٨٤ / الطبعة الرابعة / مؤسسة تنظيم ونشر آراء الامام الخميني

^٢ مصباح الهداية الى الخلافة والولاية / ص ٨٤ / الطبعة الرابعة / مؤسسة تنظيم ونشر آراء الامام الخميني

^٣ العمدة - ابن البطريق - الصفحة ٣٦٤

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٠٣

الحجة يعني ماذا؟

يعني الدليل، يعني ما يحتج به الخصم على الخصم، الله يحاج الناس يوم القيامة، يحاجهم بعلي عليه السلام، اذا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اذا حرّف القرآن، اذا منعوا من تدوين السنّة، اذ كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن يبقى علي هو الحجة، علي وذرية علي الائمة الاطهار عليهم السلام (حُجَجِكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَ أَمَنَّاكَ فِي بِلَادِكَ).

الان قد يقول قائل لماذا لا يكون القرآن هو الحجة؟

نعم، القرآن هو الحجة ايضاً، رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: (اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض^(١))، ولكن القرآن وحده قابل لتحريف معانيه، القرآن نفسه يقول: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٢).

اذن، هذا القرآن فيه مجمل، وفيه واضح ماذا نعمل؟ وأين الحجة؟

يحتاج الى بيان، ذلك البيان هو الامام المعصوم عليه السلام، (لن يفترقا)، (حبلٌ ممدود من السماء الى الارض).

وعلى هذا الاساس رواياتنا كما في اصول الكافي تقول انه لا بد من حجة على الارض، والقرآن وحده لا يكفي بدليل ان هذا القرآن موجود بين المسلمين واختلفوا فيه.

اذن القرآن بحاجة الى بيان معانيه وتعريف مقاصده، (لن تضلوا بعدي ابدا) (٣)، متى يكون ذلك؟ اذا تمسكتم بالقرآن والعترّة.

^١ أخرجه الحاكم (٤٥٧٧)، والشجري في ((ترتيب الأمالي)) (٧١٢). ((ميزان الاعتدال)) للذهبي (٧٦٤).
(أيها الناس، إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي)

^٢ سورة آل عمران الآية ٧

^٣ الكافي، ج ١، ص ٢٩٤، سنن النسائي الحديث ٨١٤٨، مسند أحمد، ٥، ٤٩٢ رقم ١٨٧٨٠.

اذن الاحاديث تقول- كما في اصول الكافي، باب الاضطرار الى الحجة (ان الارض لا تخلو من حجة)^(١).
الامام الصادق عليه السلام يقول: (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم)^(٢).
ولهذا نحن نعتقد، ان الاسلام محفوظ ببركة القرآن، واهل البيت عليهم السلام، وامامنا صاحب العصر ارواحنا لمقدمه الفداء، حيٍّ، ناظر، وشاهد، وحجة على الخلق، (ما زالت الارض الا والله فيها حجة، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل)^(٣).
ضرورة الامامة:

هشام ابن الحكم^(٤) المتكلم العبقري تلميذ الامام الصادق عليه السلام يقول:
(ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتييت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة وإذا انا بعمر بن عبيد امام المعتزلة، وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف وشملة مرتد بها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتني ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب تأذن لي فأسألك عن مسأله؟

فقال نعم.

قلت له: أولك عين يا بني؟

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٧٨

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٧٨

^٣ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده. (الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٧٩)

^٤ هشام بن الحكم الكندي البغدادي أحد كبار الشيعة الإمامية ومن وجوه أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليه السلام في القرن الثاني الهجري، وأحد متكلمي الشيعة وبطانهم الذي فتق الكلام في الإمامة وذهب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه.

أثنى عليه وامتدح مكانته العلمية علماء الشيعة والكثير من علماء العامة. وعُدَّ من الملازمين ليجيى بن خالد البرمكي؛ إذ كان دائم الحضور في مجالس المناظرة التي يعقدها هذا الوزير في بغداد، وكان القيم بمجالس نظره وكلامه. وقد حظي بهبات كثيرة وجوائز سنّية من هارون الرشيد تكشف عن عظم مكانته العلمية. (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٠٥

أي شيء هذا من السؤال، وشيء تراه كيف تسأل عنه .
فقلت: هكذا مسألتني.

فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء.
قلت أجبني فيها.

قال: فقال لي سل.

قال: قلت ألك عين؟

قال: نعم.

قال: قلت فما ترى بها؟

قال أرى بها الألوان والاشخاص.

قال: قلت فلك أنف؟

قال نعم.

قلت فما تصنع به؟

قال: أشم به الرائحة.

قال: قلت ألك فم؟

قال: نعم.

قال: قلت فما تصنع به؟

قال: أعرف به المطاعم على اختلافها.

قال: قلت ألك لسان؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال أتكلم به.

قال: قلت ألك اذن؟

قال نعم.

قال: قلت فما تصنع بها؟

قال: اسمع بها الأصوات.

قال: قلت ألك يدان؟

قال: نعم.

قال: قلت فما تصنع بهما؟

قال: أبطش بهما، واعرف بهما اللين من الخشن.

قال: قلت ألك رجلان؟

قال: نعم.

قال: قلت فما تصنع بهما؟

قال: انتقل بهما من مكان إلى مكان.

قال: قلت ألك قلب؟

قال: نعم.

قال: قلت فما تصنع به؟

قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح .

قال: قلت أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

قال: لا.

قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة.

قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شئ شمتة، أو رأته، أو ذاقته، أو

سمعتة، ردتة إلى القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال: قلت فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح.

قال نعم.

قال: قلت فلا بد من القلب، وإلا لم تستيقن الجوارح.

قال: نعم.

قال: قلت له يا أبا مروان إن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما

يصحح لها الصحيح، وتتيقن به ما شككت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في

حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم،

ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك.

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٠٧

قال: فسكت، ولم يقل لي شيئاً.
قال ثم التفت إلي فقال: أنت هشام؟
فقلت: لا
فقال لي: بالله ألسنت هو؟
فقلت: لا
فقال: أمن جلسائه.
قلت: لا.
قال: فمن أين أنت؟
قلت: من أهل الكوفة.
قال: فإذا أنت هو.
قال: ثم ضممني إليه، واقعدني في مجلسه، وزال عن مجلسه، وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله ﷺ ثم قال: يا هشام من علمك هذا؟
قال: فقلت يا بن رسول الله جرى على لساني.
قال يا هشام هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى(١).
هذا هو الاستدلال العلمي على ضرورة الإمامة.
وقد جاء عن الإمام الرضا ﷺ: قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبا العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى، يا علي أنت إمام المسلمين، وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وسيد الصديقين، يا علي أنت الفاروق الأعظم، وأنت الصديق الأكبر، يا علي أنت خليفتي على أمتي، وأنت قاضي ديني، وأنت منجز عداوتي، يا علي أنت المظلوم بعدي، يا علي أنت المفارق بعدي، يا علي أنت المحجور بعدي، أشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي أن حزبك حزبي وحزبي حزب الله وان حزب أعدائك حزب الشيطان(٢).

^١ علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - الصفحة ١٩٥

^٢ عيون أخبار الرضا ﷺ - الشيخ الصدوق - ج ١ - الصفحة ٩

وَآيَتِكَ الْكُبْرَى، وَالنَّبَأِ الْعَظِيمِ:

آيتك الكبرى، نعم هو الآية الكبرى .
 قد تقول الأئمة عليهم السلام أيضاً هم آيات الله.
 نعم، مظاهر الكون كلها آيات أيضاً، نعم، {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} (١)، وشخص
 علي عليه السلام آية كبرى، والانبيااء كلهم آية كبرى.
معنى الآية:

الآية هي العلامة الدالة ، والامام علي عليه السلام هو من اكبر العلامات الدالة
 على الله تعالى.
 وحينما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم (قسيم الجنة والنار) (٢)، وحين قال فيه:
 (يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) (٣)، وحينما قال فيه: (علي
 مع الحق والحق مع علي) (٤).
 اذن فقد اضحى الامام علي عليه السلام هو اكبر آية في الدلالة على طريق الحق
 والهدى، وبعبه يعرف المؤمنون ، وببغضه يعرف المنافقون.
النبا العظيم:

نصل للفقرة الاخيرة في هذا المقطع من الدعاء، (وَآيَتِكَ الْكُبْرَى، وَالنَّبَأِ
 الْعَظِيمِ).

هنا عندنا روايات عديدة تقول في تفسير قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ*
 عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} (٥)، الامام علي عليه السلام يقول: (انا
 النبا العظيم) (٦).

^١ سورة ال عمران الآية ١٩٠

^٢ صحيفه الإمام الرضا عليه السلام ص ٥٦ و ٥٧.

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩ - الصفحة ٢٨٧

^٤ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٩٤؛ الخرازي القمي، كفاية الأثر، ص ٢٠؛ القاضي المغربي، شرح الأخبار،

ج ٢، ص ٦٠؛ المفيد، الفصول المختارة، ص ٩٧.

سورة النبا الايات ١ و ٢ و ٣

^٦ سورة النبا الآية ٢

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٠٩

ففي الرواية عن علقمة قال: خرج يوم صفين رجل من عسكر الشام وعليه سلاح وفوقه مصحف وهو يقرأ {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ}، فأردت البراز إليه .

فقال علي عليه السلام: مكانك، وخرج بنفسه، فقال له: أتعرف {النَّبَاِ الْعَظِيمِ*} الذي هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ؟^(١) قال: لا .

فقال عليه السلام: أنا والله النبأ العظيم الذي فيه اختلفتم، وعلى ولايتي تنازعتم، وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم، وببغيتكم هلكتم بعد ما بسيفي نجوتم، ويوم الغدير قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما عملتم، ثم علا بسيفه فرمى برأسه ويده^(٢).

الامام الباقر عليه السلام لما سئل عن هذه الآية، قال: هو علي لان رسول الله ليس فيه خلاف^(٣).

وتستمر الروايات العديدة عن الاصبع ابن نباتة أن علياً عليه السلام قال: (انا النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون)^(٤)، وهذه روايات مروية من طرق العامة والخاصة.

^١ سورة النبا الآية ٣

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ - الصفحة ٢

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ - الصفحة ٣

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ - الصفحة ٣

.....٣١٠ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الثالثة والعشرون:

(اللهم وصلّ على الصّديقة الطاهرة فاطمة سيّدة نساء العالمين،
وصلّ على سبطي الرّحمة وإمامي الهدى، الحسن والحسين سيّدي
شباب أهل الجنّة، وصلّ على أئمة المسلمين، عليّ بن الحسين،
ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى
ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ،
والخلف الهادي المهديّ)

*الصديقة الطاهرة ﷺ.

*سيد شباب أهل الجنة ﷺ.

*الأئمة الأطهار ﷺ.

*الولاية شرط قبول الأعمال.

*ثواب الموالاة.

.....٣١٢ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٣١٣

الصديقة الطاهرة (عليها السلام):

المحدثون من اهل السنة والشيعة يذكرون ان رسول الله ﷺ مراراً قال:
(فاطمة ابنتي سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين)(١).
وقال: (لو لم يخلق الله علياً لم يكن لفاطمة كفؤ)(٢)، او (كفؤ من آدم فما
دونه)، هذه منزلة الزهراء (عليها السلام)، ولهذا فان الدعاء يؤكد على شخصيتها.
قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (نحن حجج الله على خلقه وجدتنا
فاطمة حجة علينا)(٣).

سيد شباب اهل الجنة:

(وَصَلِّ عَلَى سِبْطِي الرَّحْمَةِ وَإِمَامِي الْهُدَى، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدِي
شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)

(وَصَلِّ عَلَى أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ،
وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ،
وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالْخَلْفِ الْهَادِي الْمُهْدِي)

هذه هي القضية التي افترق عندها المسلمون بين طائفة تسمى الشيعة
وطائفة تسمى أهل السنة، الاختلاف وقع في من هم الأئمة بعد رسول
الله ﷺ؟ ولمن الخلافة بعده؟

رسول الله ﷺ بعد الوصية لعلي (عليه السلام)، وبعد التنقيف العام على منزلة اهل
البيت (عليهم السلام)، حين قال: (اني تارك فيكم الثقلين)، و(مثل اهل بيتي فيكم كمثلي

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ١٧٢ كنز العمال: ٩٧ / ١٢، ومسنند أحمد: ٢٩٦ / ٦
و ٣٢٣، ومستدرك الصحيحين: ١٥٨ / ٣ - ١٨٥، وصحيح البخاري كتاب الاستئذان، وصحيح الترمذي ٥ /
الحديث ٣٨٦٩، وحلية الأولياء: ٤٢ / ٢، والاستيعاب: ٧٢٠ / ٢ و ٧٥٠.

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ١٠٧، مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ -
الصفحة ٢٩ وكنوز الحقائق للمناوي ج ٢ ص ٧٥

^٣ الأسرار الفاطمية - الشيخ محمد فاضل المسعودي - الصفحة ١٧

٣١٤ شرح دعاء الافتتاح

سفينة نوح)، كان يقول مقولة متفقاً عليها لدى السنة والشيعة، وهي (الائمة من بعدي اثنا عشر)^(١)، كلهم من قریش. من هؤلاء؟

يقول عليه السلام: من ولدي آخرهم المهدي، اذن اين هؤلاء الاثنى عشر؟ يطلق على الشيعة أنهم (الامامية الاثنا عشرية)، وهذا تبعاً لنص رسول الله ﷺ الذي عجز الآخرون عن كشفه، واما لدى الشيعة فالامر واضح عندهم وهم هؤلاء الائمة الاثنا عشر من آل بيت النبي ﷺ، واسماؤهم مكتوبة في عالم السماء، وقد ذكرنا في الرواية عندما عرج الرسول ﷺ رآها مكتوبة على ساق العرش، فالقضية واضحة وجلية عندنا في شخصية الائمة الاطهار الاثنا عشر عليهم السلام، وآخرهم المهدي عليه السلام.

دعاء الافتتاح هنا يثقفنا على ان امامة المسلمين لهؤلاء الائمة الاطهار، والصلاة عليهم شرط في صحة الاعمال، فلا تصح صلاة العبد الا اذا قال في التشهد (اللهم صل على محمد وال محمد)، ابداً لاينازع في ذلك احد. اذن حينما نقول (وَصَلِّ عَلَى أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ) هو التزام بمقالة رسول الله ﷺ: (لاتصلوا علي الصلاة البتراء)^(٢).

قالوا كيف نصلي عليك؟

قال: قولوا اللهم صل على محمد وال محمد عليهم السلام.

اذن هذا هو تأكيد لاعتقادنا بالولاية، كما ورد في روايات كثيرة متواترة ان جميع الاعمال لاتقبل الا بولايتهم عليهم افضل الصلاة والسلام.

كما ان جميع الاعمال لاتقبل الا بالايمان بنبوة نبينا ﷺ، كذلك لاتقبل الاعمال الا بولاية اهل البيت عليهم السلام.

^١ قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ خَلْفَانِي وَ أَوْصِيَانِي وَ حُجَّجَ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي الْإِثْنَا عَشَرَ، أُولَئِهِمْ عَلَيَّ، وَ آخِرُهُمْ وَلَدِي الْمَهْدِي (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج: ٣، الباب: السابع و السبعون، ص: ٤٤٧).
^٢ الكافي ٢ / ٤٩٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٣١٥

وفي كتاب وسائل الشيعة في الجزء الاول الباب التاسع والعشرون، يذكر روايات عديدة صحيحة السند في بطلان العبادة بدون ولاية الائمة الاطهار^(١)، واعتقاد امامته^(٢).

وهناك رواية يرويها الامام زين العابدين^(٣) والامام الباقر^(٤) والامام الصادق^(٥) بعدة اسانيد صحيحة تقول:

(كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شائن لا عماله)^(٦).

ورواية اخرى يقول بها أهل السنة ايضا: (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية)^(٧).

إمام المسلمين هو الامام المعين من الله تبارك وتعالى، وليس شارب الخمر والفاسق والفاجر مثل يزيد بن معاوية وائمة الجور، مثل هارون الرشيد، المنصور العباسي، المتوكل، وماشاكل ذلك.

هؤلاء ائمة جور وليسوا ائمة من الله، والروايات المتواترة تقول:

(أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الايمان).

ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته)^(٨).

رواية اخرى ثابتة في الفكر الديني تقول:

عن أبي عبد الله الصادق^(٩) قال:

^١ قال الامام الصادق^(٩): لو أن عبدا عبد الله مائة عام ما بين الركن والمقام، يصوم النهار، ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه، ويلتقى تراقيه هرما جاهلا بحقنا لم يكن له ثواب. وقال^(١٠) ايضا: من لا يعرف الله، وما يعرف الإمام منا أهل البيت، فإنما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالا. (وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١ - الصفحة ١٢١) (المحقق)

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٣٧٥

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٣ - الصفحة ٧٨، كما رواه أحمد في (مسنده ٤: ٩٦) وابن حبان في (صحيحه ٧: ٤٩) والأصفهاني في (حلية الأولياء ٣: ٢٢٤) قول النبي^(١١): (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية).

^٤ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٩

(والله لو أن إبليس سجد لله بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عز وجل منه ما لم يسجد لآدم كما أمره الله أن يسجد له)(١).

لأن الله كلفنا أن ندخل البيوت من ابوابها، من باب الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وقد قال رسول الله ﷺ : (أنا مدينة العلم وعلي بابها)(٢).
ثواب الموالاة:

جاء شخص للامام الجواد (عليه السلام) فقال له: ما لمواليكم في موالاتكم؟ فقال (عليه السلام): إن أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجد فبينما هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك، وأكون له مملوكا، وأجعل لك مالي كله؟ فإني كثير المال من جميع الصنوف، إذهب فاقبضه، وأنا أقيم معه مكانك. فقال: أسأله ذلك.

فدخل على الامام الصادق (عليه السلام) فقال: جعلت فداك تعرف خدمتي، وطول صحبتي، فإن ساق الله إلي خيرا تمنعني؟ قال: أعطيك من عندي، وأمنعك من غيري! فحكى له قول الرجل.

فقال: إن زهدت في خدمتنا، ورغب الرجل فينا قبلناه، وأرسلناك. فلما ولى عنه دعاه، فقال له: أنصحك لطول الصحبة، ولك الخيار، إذا كان يوم القيامة كان رسول الله ﷺ متعلقا بنور الله، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) متعلقا بنور رسول الله، وكان الأئمة متعلقين بأمر المؤمنين، وكان شيعتنا متعلقين بنا يدخلون مدخلنا، ويردون موردنا. فقال له الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا.

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٠ - الصفحة ١٩٨

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٠ - الصفحة ٢٠٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٣١٧

فخرج الغلام إلى الرجل، فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله ﷺ، وأدخله على الامام الصادق عليه السلام، فقبل ولأهه، وأمر للغلام بألف دينار، ثم قام إليه فودّعه، وسأله أن يدعو له، ففعل^(١).
اعرفوا يا شيعة اهل البيت ان موالاتكم لانتمكم عليهم السلام يعادل الدنيا ومافيها، كما قال رسول الله ﷺ: (يا علي أنت وشيعتك هم الفائزون)^(٢).

^١ بحار الأنوار - ط مؤسسة الوفاء المؤلف : العلامة المجلسي الجزء : ٥٠ : صفحة : ٨٨
^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧ - الصفحة ١٧٩

٣١٨ شرح دعاء الافتتاح

الفصل الثالث

..... ٣٢٠ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الرابعة والعشرون:

(اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ،
وَ الْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ، وَ حُقَّةَ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ،
وَ أَيْدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ)

*الدعاء لصاحب العصر عليه السلام.

*خصائص صاحب العصر عليه السلام.

*قصة (سيد العالم).

*هل يمكن اللقاء بصاحب العصر عليه السلام.

*عوامل النصر.

*مامعنى (روحُ القدس).

..... ٣٢٢ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٢٣

الدعاء لصاحب العصر عليه السلام:

في هذا المقطع نكون قد دخلنا في الفصل الثالث من دعاء الافتتاح، وهو الفصل الاخير الخاص بالدعاء لصاحب العصر عليه السلام.

الفصل الاول كان عبارة عن استعراض محامد الله، وذلك من آداب الدعاء.

الفصل الثاني الصلاة على النبي واله، وذلك من آداب الدعاء أيضاً، وقد استعرض هذا الفصل أسماء الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحداً وحتى انتهى الى الامام المنتظر عليه السلام (الخلف الهادي المَهْدِيّ) ثم يبدأ بالدعاء الخاص للامام المنتظر عليه السلام.

ما هو الدعاء؟ ماهو السؤال؟ ماذا نريد من الله تبارك وتعالى؟

هذا هو ما يذكره الفصل الثالث، بالحقيقة فان جوهر السؤال في دعاء الافتتاح، هذا هو الفصل الثالث، الذي يتمحور حول قضية الامام المهدي عليه السلام، ومستقبل البشرية، وانتظارنا لطلعته الرشيدة.

الحقيقة يستحب الدعاء لصاحب العصر والزمان عليه السلام، هكذا دائماً نقرأ كما يرويه الشيخ الكليني في الكافي، وكما يرويه الشيخ الطوسي في التهذيب^(١)، الدعاء المعروف عندكم وبخاصة في ليالي القدر من شهر رمضان.

(اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِهِ في هَذِهِ السَّاعَةِ وَفي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحَافِظاً وَقائِداً وَناصِراً وَدَليلاً وَعَيْناً حَتّى تُسْكِنَهُ اَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلاً)^(٢) وهكذا نقرأ في الادعية النهارية الصباحية:

^١ تهذيب الأحكام هو كتاب جامع للأحاديث، وأحد الكتب الأربعة الشيعية، من تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (متوفى ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) والمعروف بشيخ الطائفة، وقد ألفه قبل كتاب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. (المحقق)

^٢ كتاب الكافي ج ٤ ص ١٦٢

(اللهم بلغ مولاي صاحب الزمان صلوات الله عليه عن جميع المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها وسهلها وجبلها، حيهم وميتهم، وعن والدي وولدي، وعني، من الصلوات والتحيات زنة عرش الله، ومداد كلماته، ومنتهى رضاه، وعدد ما أحصاه كتابه، وأحاط به علمه به، اللهم أجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم، عهدا وعقدا وبيعة له في رقبتي)(١).

لاحظوا التركيز في ربطنا بصاحب العصر والزمان ﷺ، والدعاء له، ماذا يعني ذلك؟

هذه ثقافة عليا تقول: ايها المؤمنون، لا يكن همكم فقط حوائجكم الشخصية، صحيح عندنا حوائج شخصية نريدها من الله، ولكننا غافلون عن انه يجب توجيه النظر وتعلق القلب بالحاجات الكبرى التي تخص الاسلام والمسلمين وليس مصالحنا الشخصية فقط.

ولهذا تلاحظون ادعية شهر رمضان بالخصوص فيها مثل هذه الاطلالة على الهموم الكبرى، ليس انت لنفسك، وانما تقول :

(اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سد فقرنا بغناك، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، إنك على كل شئ قدير)(٢).

وكذلك دعاء(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَتَابِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالْخَيْرَاتِ)(٣)، الوارد في دعاء أبي حمزة الثمالي.

^١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٩ - الصفحة ١١٠

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٥ - الصفحة ١٢٠

^٣ مفاتيح الجنان للقمي/دعاء أبي حمزة الثمالي

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٢٥

ان يحمل الانسان المؤمن هموم العالم الاسلامي، ولهذا فان دعاء الافتتاح مركز بالخصوص لصاحب العصر والزمان عليه السلام وللفرج به عن المسلمين (اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا، وَطُمُوحَاتِنَا هِيَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعْزِ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

في هذا المقطع الاول من الفصل الثالث من الدعاء، هكذا يقول: (اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ، وَخُفِّهِ بِمَلَانِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ)، يبدأ بعرض صفات وخصائص صاحب العصر والزمان.

خصائص صاحب العصر عليه السلام:

وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ هذا اولاً، القائم ثانياً، المؤمل ثالثاً، والعَدْلُ المنتظر رابعاً، وخُفِّهِ بِمَلَانِكَ الْمُقَرَّبِينَ خامساً، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ سادساً.

هذه ستة محاور في هذا المقطع من الدعاء.

وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ:

وَلِيِّ أَمْرِكَ مامعناه؟

هناك ولايتان، ولاية أمر المسلمين والتي يقول فيها القرآن: {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (١).

هنا الاسلام يمتاز بنظرية ولاية الامر، ان الانبياء والائمة عليهم السلام لهم ولاية على الامة، هذه النظرية غير موجودة في العالم الغربي والنظرية العلمانية. النظرية الاسلامية هي (نظرية ولاية الامر)، {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} (١) هذه ولاية الامر، هذه ولاية امور المسلمين؟

^١ سورة النساء الآية ٥٩

لكن الدعاء ماذا يقول؟

الدعاء يقول: (اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ)، (ولي امر الله)، وليس ولي أمر المسلمين وانما ولي أمر الله، فان الله تعالى له أوامر، وله نواهي وله تقادير للكون، والولي عليها المتكفل بها من هو؟

هم الانبياء والائمة وامامنا صاحب العصر والزمان عليه السلام، لذا يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ).

في اعتقادنا نحن شيعة اهل البيت ان الائمة عليهم السلام هم ولاة أمر الله، كما هم ولاة أمور المسلمين.

نقرأ في دعاء النصف من شعبان في زيارة الامام صاحب العصر والزمان عليه السلام: (اللهم اسألك بحق هذه الليلة ومولودها)، الى ان يقول (وُؤَلَاةُ الْأَمْرِ، وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ مَا يَتَنَزَّلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، ثم يقول (تَرَاجِمَةً وَحْيِهِ، وَوُؤَلَاةُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ) ^(١).

اذن الائمة عليهم السلام ماذا اصبحوا؟ صاروا ولاة أمر الله، وهي غير ولاية امر المسلمين، الولي على الاوامر والنواهي الالهية المنصوب عليها من قبل الله تعالى من هو؟

هم الائمة عليهم افضل الصلاة والسلام، فإمامنا صاحب العصر والزمان عليه السلام هو ولي أمر الله، كما هو ولي أمر المسلمين أيضاً، (وَلِيِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنتَظَرِ).

القائم المؤمل :

القائم المؤمل، ماذا يعني؟

القائم له معنيان في الاصطلاح اللغوي

القائم بمعنى الثائر، لذا يقال فقهياً هل يجوز القيام على الحاكم الجائر؟

^١ سورة الاحزاب الاية ٦

^٢ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / اعمال ليلة النصف من شعبان / الدعاء المروي وهو بمثابة زيارة للامام الغائب عليه السلام (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٢٧

القيام بمعنى الثورة، ونحن نقول (حتى قيام القائم)، يعني الناهض الثائر لدين الله تبارك وتعالى، هذا هو التفسير الاول.

التفسير الثاني القائم بامر الله، يعني المطبق المنفذ لشرع الله تعالى، كما نقول فلان هو القيم على اليتامى، أو القيم على الوقف، أو القيم على المزار وهكذا؟ قيم يعني القائم على هذا الأمر والمشرف عليه والمدافع عنه.

إمامنا صاحب العصر والزمان (عج)، هو القيم على شريعة الله وعلى المسلمين، القيم على امر الله هو صاحب العصر والزمان (عج)، وهذه صفة أيضاً للأئمة كلهم ليس فقط لإمامنا صاحب الزمان، ولهذا نقرأ في زيارة الجامعة: (الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِ الْعَالَمِينَ بِإِزَادَتِهِ) (١).

اذن الأئمة (ع) كلهم وصاحب العصر والزمان (عج) خاتمهم هو (القائم) (المؤمل) على شريعة الله وعلى عباد الله.

مامعنى المؤمل؟

(القائم المؤمل، والعذل المنتظر)، أهمية الامل، أهمية الانتظار.

انظروا يا سادتنا لولا قضية الامام المهدي (عج) لمات الحراك الاسلامي ابدأ، لولا ان المسلمين الشيعة والسنة كلهم يعتقدون بقضية قيام الامام المهدي (عج)، وحكومة الارض عدلاً وقسطاً. وهذه قضية موجودة في مخيال المسلمين جميعاً

ولهذا كل الحراك من اجل الوصول الى ذلك اليوم، صدقوني لولا هذا الامل بان الدين سوف ينتصر {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (٢)، {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (٣)،

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ الزيارة الجامعة الكبيرة.

^٢ سورة الفتح الآية ٢٨

^٣ سورة القصص الآية ٥

لولا هذه الثقافة، ثقافة الامام المنتظر عليه السلام لالقي المسلمون السلاح على الارض، وتحولوا الى كميات لا حراك فيها لماذا نتحرك؟ اذا لم يكن امل بالانتصار، اذن فليبق الحكم الاموي، والمرواني، والعباسي، ظالم بعد ظالم، ولا امل في نصره الدين.

بينما نحن ببركة ثقافة الامام المهدي عليه السلام والقضية المهدوية، اليوم كل العالم الاسلامي ينتظر الطلعة الرشيدة، الشيعة يؤمنون بانه هو الامام الحجة عليه السلام ابن الحسن العسكري عليه السلام، وأما أهل السنة فبعضهم يرى ما يراه الشيعة، وبعضهم يرى أن المهدي عليه السلام شخصية غير محددة، ومهما يكن فان النتيجة واحدة، وهي الامل والثقة بالنصر الموعود..

(ابن خلدون)^(١) يسمي الامام المهدي عليه السلام بالفاطمي وذلك في الفصل (الثاني والخمسون) من كتابه (مقدمة ابن خلدون) تحت عنوان (في امر الفاطمي)، هو يؤكد انه ابن فاطمة الزهراء عليها السلام.

ان القضية المهدوية كانت مرافقة لحركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في عمق الحراك والمعارك وتأسيس الدولة، لكن كان يرسم افقاً بعيد المدى يعطيه للمسلمين، يقول: (لا تقوم الساعة ايها المسلمون، حتى يخرج رجل من ولد يواطئ اسمه اسمي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً)^(٢).

^١ ابن خلدون مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي حضرمي الأصل. عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال أفريقيا، حيث رحل إلى بسكرة وقرناتة وبجاية وتلمسان وفاس، كما توجه إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برفوق، وولي فيها قضاء المالكية، وظل بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨ هـ)، حيث توفي عام ١٤٠٦ عن عمر بلغ ثلاث وسبعين عاماً ودُفن قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركاً تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم ويعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الحديث ومن علماء التاريخ والاقتصاد (المحقق)

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ - الصفحة ٣٦٨

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٢٩

حتى يشحننا شحنة قوية بالأمل، والانتظار يقول: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله عزّوجلّ ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه يواطىء اسمي يملأ الأرض قسطاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً)(١).

هكذا الامام الحسين (عليه السلام) في عاشوراء حيث اصطفا الجيوش والعساكر، نعم وهنا النساء المرعوبة، وهنا الجيوش المجفلة، لكن الامام (عليه السلام) يتكلم مع اصحابه ويقول: (ابشروا بالجنة فوالله إنّنا نَمُكُثُ ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يُخرجنا الله وإياكم حتى يَظهر قائمنا فينتقم من الظالمين)(٢)، هذا ليلة عاشوراء حيث الاستعدادات للمعركة غداً صباحاً، ولكن الامام (عليه السلام) يبشر بظهور الامام المهدي (عليه السلام).

هذه هي القضية الاساسية، اليوم نحن اذا قُتلنا، لكن لا بد ان يأتي ذلك اليوم الذي ننصر فيه ونعود مرة اخرى، نمكث ما شاء الله حتى نخرج عند قيام قائمنا.

قيل ومن قائمكم؟

قال السابع من ولد ابني هذا محمد الباقر (عليه السلام)(٣).

هذا التثقيف هو تثقيف مقصود وممنهج في التربية الدينية، على ان نكون دائماً نمتلك شحنة انتظار، وشحنة أمل بظهوره (عليه السلام).

^١ المعجم الكبير ١٠ / ١٦٦ رقم ١٠٢٢٢ باختلاف، عقد الدرر في أخبار المنتظر : ٥٦ - انتشارات نصايح - قم - ١٤١٦ هـ، فرائد السمطين ٢ / ٣٢٥ رقم ٥٧٥ عن حذيفة بن اليمان - مؤسسة المحمودي - بيروت - ١٤٠٠ هـ، - الصواعق المحرقة : ٢٤٩ وما بعدها.(المحقق)

^٢ مقتل الحسين للمقرم : ص ٢١٥.

^٣ أن الحسين (عليه السلام) قال: يظهر الله قائمنا فينتقم من الظالمين.

فقيل له: يا ابن رسول الله! من قائمكم؟

قال: السابع من ولد ابني محمد بن علي، وهو الحجة بن الحسن بن علي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي (إبني، وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)(إثبات الهداة ٧: ١٣٨ ح ٦٨١، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) ٣: ١٨١ ح ٧٠٤.(المحقق)

قصة سيد العالم:

هذه القصة يرويها استاذنا السيد الخوئي رضوان الله عليه، ويرويها عنه استاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، والذي يرويها عن السيد محمد باقر الصدر هو الشهيد الصدر الثاني السيد محمد محمد صادق الصدر^(١) في كتابه (الغيبة الكبرى)، يروي هذه القصة بسنده مباشرة يعني السيد محمد الصدر عن محمد باقر الصدر عن السيد الخوئي رضوان الله عليه، والسيد الخوئي ينقلها عن شخص يوثقه ويزكيه لكنه لا يذكر اسمه لسبب من الاسباب، يقول السيد الخوئي:

(كان هذا الرجل في أحد الأيام عصراً في مسجد الكوفة، وبينما هو يمشي محاذياً لغرفه المنتشرة في حائط سوره، رأى في إيوان كائن أمام أحد الغرف فراشاً مفروشاً وقد استلقى عليه شخص مهيب جليل، وجلس بإزائه رجل آخر، قال: فتعجبت من وجودهما وسألت الرجل الجالس عن هذا المستلقي فأجاب: سيد العالم.

قال: فاستهونت بجوابه وحسبت أنه يريد كونه سيداً عالمياً، لأن العامة هناك ينطقون العالم بفتح اللام.

ثم أن هذا الرجل مضى للوضوء والاشتغال بصلاة المغرب والعشاء والتهجد في محراب أمير المؤمنين عليه السلام، حتى اجهدته التعب والنعاس، فاستلقى ونام، وحينما استيقظ وجد المسجد مضيئاً يقول: حتى أني أستطيع أن أقرأ الكتابة القرآنية المنقوشة في الطرف الآخر من المسجد، فظننت أن

^١ السيد محمد محمد صادق الصدر مرجع ديني، بدأ دراسته الحوزوية في سن مبكر، ودرس العلوم الدينية عند كبار علماء الحوزة العلمية في النجف، منهم: السيد محمد باقر الصدر، والسيد روح الله الخميني، والسيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي، وله إجازات في الرواية من عدة مشايخ، منهم: آغا بزرك الطهراني، ووالده السيد محمد صادق الصدر، وخاله الشيخ مرتضى آل ياسين، والسيد عبد الرزاق المقرم. بدأ بتدريس العلوم الدينية في الحوزة العلمية، وأجيز بالاجتهاد من قبل أستاذه الشهيد محمد باقر الصدر في سنة ١٣٩٨ هـ (وكان عمره آنذاك ٣٦ سنة). تصدى للمرجعية الدينية بعد وفاة السيد عبد الأعلى السبزواري، وذلك عام ١٩٩٣ م. له العديد من المؤلفات أبرزها: موسوعة الإمام المهدي، وما وراء الفقه، وفقه الأخلاق، وأضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، أسشهد هو ونجليه السيد مصطفى والسيد مؤمل، في يوم الجمعة ٤ ذي القعدة سنة ١٤١٩ هـ، على يد السلطة الحاكمة بالعراق (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٣١

الفجر قد بزغ ، بل مضى بعد الفجر زمان غير قليل، وأني تأخرت في النوم زائداً عن المعتاد .

فخرجت إلى الوضوء فوجدت في الدكة التي في وسط المسجد جماعة مقامة للصلاة، يؤمها "سيد العالم" ويأتم به أناس كثيرون بأزياء مختلفة وجنسيات فعجبت من وجود هؤلاء في المسجد على خلاف العادة .

ثم أني أسبغت الوضوء والتحقت بالجماعة، وصليت الصبح معهم ركعتين، وحين انتهت الصلاة، قام ذلك الرجل المشار إليه وتقدم إلى إمام الجماعة: سيد العالم، وسأله عني قائلاً: هل نأخذ هذا الرجل معنا ؟ فأجاب سيد العالم: كلا ، فإن عليه تمحيصين لا بد أن يمر بهما . وفجأة، اختفى هذا الجمع، وساد المسجد ظلام الليل، وإذا بالفجر لم يبرغ بعد، بل بقي إليه زمان ليس بالقليل(١).

هل يمكن اللقاء بصاحب العصر ﷺ؟

الجواب: نعم يمكن اللقاء، ولكن المنهي عنه في روايات أهل البيت عليه السلام هو ادعاء الرؤية، ان نتاجر بهذا الادعاء، هذا يدعي انه وكيل صاحب الزمان عليه السلام، وذاك يدعي انه ابنه، وهذا يدعي انه التقاه بالسر، هذا هو المنهي عنه.

اما أصل اللقاء فانه مفتوح ومسموح وممكن، وهناك لقاءات يرويها علماؤنا في كتبهم الشريفة مثل كتاب (جنة المأوى) للشيخ النوري(٢) الذي ينقل عشرات من هذه اللقاءات.

على كل حال نحن نسأل الله تعالى ان يرينا طلعه الرشيدة، ويجعلنا من انصاره والمستشهادين بين يديه.

^١ كتاب تاريخ الغيبة الكبرى لسماعة آية الله الشهيد محمد صادق الجزء ٢ . ص ١٣٣

^٢ الميرزا حسين بن محمد تقي بن علي محمد النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ) المعروف بالمحدث النوري من أبرز محدثي الشيعة في القرن الرابع عشر. أكثر شهرة المحدث النوري تعود إلى تأليف كتاب مستدرک الوسائل وبالخصوص إلى كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب. و جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة عليه السلام (المحقق)

وَحُفَّهُ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ:

(وَحُفَّهُ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ) الهي واجعل عليه طوق حماية من الملائكة المقربين، (وَحُفَّهُ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ).

هذه الفكرة ليست غريبة في منظومة الفكر الاسلامي، الفكر الاسلامي يعتقد بان الملائكة ينزلون ويقاتلون مع المسلمين، طبعاً هذا من عالم الغيب.

لكن نحن في القرآن الكريم وفي ثقافتنا الدينية نعتقد أن الملائكة لهم حضور مع الانسان، الملائكة يسجلون اعمالنا (رَقِيبٌ عَتِيدٌ)، كما يقول تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١).

القرآن الكريم يقول نزل ألفاً من الملائكة في معركة بدر، ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الآف، يقول تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} (٢). ثم يقول: {أَلَّنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ} (٣).

هنا صاروا ثلاثة الاف من الملائكة منزلين ثم يصعد الرقم الى خمسة الاف، يقول تعالى: {بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} (٤)، بمعنى أنهم يضعون علامات على جبين من يُقَتَّل من الكفار.

الامام الباقر عليه السلام يقول: هؤلاء الملائكة الذين نصرنا رسول الله ﷺ في بدر أنفسهم سينصرون صاحب العصر ﷺ.

^١ سورة ق الآية ١٨

^٢ سورة الانفال الآية ٩

^٣ سورة آل عمران الآية ١٢٤

^٤ سورة آل عمران الآية ١٢٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٣٣

يقول: ان الملائكة الذين نصرؤا محمداً ﷺ يوم بدرٍ في الارض ما صعدوا ولا يصعدون، ما زالوا في ارض الدنيا، حتى ينصروا صاحب هذا الامر وهم خمسة الاف(١)(٢).

عوامل النصر:

هنا اذكركم مرة اخرى ان انتصار صاحب العصر والزمان ﷺ يعتمد على عوامل غيبية وعوامل بشرية، عوامل ما فوق بشرية، وقد استعرضنا ذلك في كتابنا (الامام المهدي ﷺ في القرآن والسنة والعلم)، والملائكة هم عوامل ما فوق البشر.

عصى موسى ايضاً عند امام الزمان ﷺ، هذه عصا موسى ﷺ التي ضرب بها البحر فانفلق، ضرب بها الحجر فانبعثت منه اثنتا عشر عيناً، والقاهها فأكلت الثعابين، ثعابين السحرة، هذه ثلاث معاجز لعصا موسى ﷺ.

هذه العصا تقول روايات أهل البيت ﷺ ان إمام العصر ﷺ ينصره الله بالملائكة ، وعنده عصا موسى ﷺ، وعنده السحاب التي سخرها الله تعالى لسليمان ﷺ كما قال تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} (٣)، فكانت الريح تحمله وجيشه على السحاب وتجري به الى حيث يريد.

نعم هذه السحاب ايضاً مسخرة لامام زماننا ﷺ .

^١ معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ٥ - الصفحة ٦٣

^٢ العياشي : ج ١ ص ١٩٧ - ١٣٨ - عن ضريس بن عبد الملك ، عن أبي جعفر الباقر ﷺ

قال : - ان الملائكة الذين نصرؤا محمداً ﷺ يوم بدر في الأرض ، ما صعدوا بعد ، ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الامر ، وهم خمسة الاف

^٣ سورة ص الآية ٣٦

روح القدس:

يقول الدعاء: (وَإِيَّاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)، القرآن صريح في التأييد بروح القدس، حين يقول: {وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ * وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (١).

وجاءت قضية التأييد بـ(رُوح القدس) في تاريخنا الاسلامي بشكل مكرر.

رسول الله ﷺ قال لحسان ابن ثابت (٢) حينما هجت قريش رسول الله ﷺ.

قال له ﷺ: اهجهم يا حسان، فهجاهم حسان هجاءً قوياً.

رغم أن هجاء حسان لم يُذكر لنا في التاريخ مع الاسف، المؤرخون لم يذكروا لنا قصيدته التي هجى بها قريشاً، لكن رسول الله ﷺ حسب الرواية التاريخية قال له: (ما زلت مؤيداً بروح القدس ما دمت ناصرنا) (٣).

ومثل ذلك قال الامام الرضا ﷺ في قصة دعبل الخزاعي (٤) وقصيدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة *** ومهبط وحي مقفر العرصات

قال دعبل: ثم قرأت باقي القصيدة عنده، فلما انتهيت إلى قلبي:

فلولا الذي ارجوه في اليوم أو غدٍ *** تقطع نفسي اثرهم حسرات

^١ سورة البقرة الآية ٨٧

^٢ حسان بن ثابت الأنصاري، صحابي وشاعر النبي ﷺ عاش في الجاهلية والإسلام، مدح النبي ﷺ ودافع عن الإسلام بشعره وهجا المشركين وأعداء الإسلام، ومع ذلك لم يشارك في غزوات النبي ﷺ والحروب التي حدثت في صدر الإسلام، ولم يبايع الإمام علي ﷺ بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان. يحتوي ديوان حسان على قصائد عديدة رائعة وبلغية حتى قيل أنه أشعر العرب، كما أنه ذكر أحداث تاريخية عدة في شعره من أهمها واقعة الغدير وتنصيب الإمام علي ﷺ. (المحقق)

^٣ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٧ - الصفحة ٣٢٤

^٤ دعبل بن علي الخزاعي، (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) من أشهر شعراء الشيعة في القرن الثاني والثالث، كان من أصحاب الإمام الكاظم ﷺ والإمام الرضا ﷺ، وأدرك الإمام الجواد ﷺ أيضاً، وعندما كان الإمام الرضا ﷺ بمرور قصده، وقرأ قصيدته الثانية عنده، وآل على نفسه أن لا يسمعها قبل الإمام الرضا ﷺ أحداً. كان دعبل هجاءً حاد اللسان، الأمر الذي جعله لا يستقر بمكان، فكان دائماً يطارد من قبل الحكام، وكانت هذه الصفة من الأسباب التي أدت إلى مقتله. لدعبل مؤلفات، منها: "الواحدة في مناقب العرب ومثالبها"، و"طبقات الشعراء"، فضلاً عن ذلك فقد كان دعبل راوياً للحديث، فورد اسمه في كتب الحديث والروايات (المحقق)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٣٥

خروج إمام لا محالة خارج *** يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل *** ويجزي على النعماء والنقمات
بكى الإمام الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إلى دعبل، وقال له:
يا خزاعي.. نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين.. فهل تدري من
هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟
قلت: لا يامولاي.. إلا إنى سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من
الفساد ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.

فقال الإمام عليه السلام: يادعبل.. الإمام بعدي: محمد ابني، وبعد محمد: ابنه
علي، وبعد علي: ابنه الحسن، وبعد الحسن: ابنه الحجة القائم، وهو
المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد
لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت
جوراً وظلماً، وأما متى يقوم فأخبار عن الوقت، لقد حدثني أبي عن آبائه
عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مثله كمثل الساعة لا تأتاكم إلا بغتة (١).
ومثل ذلك كلام الامام الصادق عليه السلام مع الكميث (٢)، ايضاً حينما نظم القصيدة
الرائعة:

من القلب متيم مستهام غير ماصبوة ولا أحلام
ايضا قال له الامام عليه السلام: (نطق روح القدس على لسانك).

^١ كمال الدين ج ٢ ص ٣٧٢، إعلام الوري ص ٣١٨، منتخب الأثر ص ٢٢١، المهدي من المهد إلى الظهور ص ٨٤، ديوان دعبل الخزاعي الدجيلي ص ١٤٣، حوارات حول المنقذ

^٢ الكميث بن زيد الأسدي (٦٠ هـ - ١٢٦ هـ)، من أشهر شعراء أهل البيت عليه السلام في أيام الحكم الأموي، وأدرك الإمام السجاد والباقر والصادق عليه السلام فكان مخلصاً وصادقاً في قصائده المعروفة بالهاشميات تجاههم، كما كان متعصباً للمضربة مخالفاً الفحطانية، مما تسبب بتناقضات مع شعرائها. مدح بني أمية تقية وصوناً لدمه. (المحقق)

ما هو روح القدس:

توجد عدة تفاسير لروح القدس:

الاول: أن روح القدس هو جبرائيل عليه السلام، لان القرآن يقول: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} (١)، ويقول في موضع آخر: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (٢) والمقصود هو جبرائيل عليه السلام.

الثاني: ان (روح القدس) هو كائن عظيم آخر غير جبرائيل عليه السلام، بل هو غير الملائكة، حيث يقول القرآن في سورة القدر {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ} (٣)، فها هنا اذن ملائكة وروح، بما قد يظهر منه أن الروح شيء آخر غير الملائكة، ولذا قد يكون المقصود بروح القدس هو ملك أو كائن آخر غير جبرائيل عليه السلام، وربما أعظم منه، وهو الذي يؤيد الله به الانبياء عليهم السلام.

يقول العلامة الطباطبائي بعد أن ذكر قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} (٤).

قال (قدس سره): (فبين أن هذا النور روح عاقل فاهم من عالم الامر كما قال تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} (٥)). وعلى كل حال ومهما يكون المعنى بروح القدس فان الدعاء هنا يقول (وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) ويسأل الله تبارك وتعالى ان يؤيد امامنا عليه السلام (برُوح القدس).

ويناسب هنا أن أقرأ لكم هذه الرواية عن الامام الصادق قال:

^١ سورة النحل الاية ١٠٢

^٢ سورة الشعراء الاية ٩٣

^٣ سورة القدر الاية ٤

^٤ سورة الشورى الاية ٥٢

^٥ رسالة الولاية/ الطباطبائي/ ص ٦٧

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٣٧

(في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الايمان، وفي المؤمنين أربعة أرواح إنما فقدوا روح القدس، وروح البدن، وروح الشهوة، وروح الايمان، وفي الكفار ثلاثة أرواح روح البدن، وروح القوة، وروح الشهوة. ثم قال: روح الايمان يلزم الجسد مالم يعمل بكبيرة فاذا عمل كبيرة فارقه الروح وروح القدس من سكن فيه فانه لايعمل بكبيرة ابدا)(١).

^١ بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - الصفحة ٤٦٧

..... ٣٣٨ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة الخامسة والعشرون:

(اَللّٰهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ اِلَى كِتَابِكَ، وَ الْقَائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلَفَهُ فِي الْاَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكَّنْ لَهُ دِيْنَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، اَبْدِلْهُ
مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْنًا يَعْْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا. اَللّٰهُمَّ اَعِزَّهُ وَ اَعِزِّرْ بِهِ،
وَ اَنْصُرْهُ وَ اَنْتَصِرْ بِهِ، وَ اَنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيْزًا، وَ افْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيْرًا،
وَ اجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا. اَللّٰهُمَّ اَظْهَرْ بِهِ دِيْنَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتّٰى لَا يَسْتَخْفِيْ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ
مَخَافَةً اَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ).

*مهمتان لصاحب العصر .

*الخلافة في الارض.

*حاكمية الدين.

*صلاحية الشريعة الاسلامية.

*مفاهيم عن حركة الامام المهدي .

*قصة السيد المرعشي.

٣٤٠ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٤١

ما زال الفصل الثالث مستمراً في الدعاء للامام المهدي عليه السلام، وما نريده من الله تبارك وتعالى لامامنا، ولأمتنا، ولديننا.

مهمتان لصاحب العصر عليه السلام:

يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ).

هناك اولاً داعياً الى كتاب الله، ثم قائماً بدين الله، هذا مامعناه؟

معناه هو ما سبق ان اشرنا اليه وهو ان الانبياء والاولياء لديهم مهمتان:

المهمة الاولى هي الابلاغ، ابلاغ دين الله {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} (١)، لكن المهمة الثانية هي اقامة حدود الله، {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} (٢)، وليس مجرد تعظون وترشدون، فإمام المسجد قد يعظ ويرشد لكن هذا ليس كافياً.

مبدأ الكنيسة اليوم هو ان البابا والقساوسة شغلهم الوعظ والارشاد فقط، اما في نظرية اهل البيت عليهم السلام وشيعة اهل البيت، فان العالم الديني، وقبله

الامام والنبى مهمتهم:

ابلاغ رسالات الله اولاً.

وثانياً اقامة دين الله، {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} (٣)، ولهذا خاطب القرآن اهل الكتاب قائلاً: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} (٤).

اذن نحن ندعو الى امام زماننا عليه السلام ونقول: (اللهم اجعله) (اولاً) الداعي الى كتابك، (ثانياً) القائم بدينك، بمعنى الامام الحاكم على الناس بشريعة الله.

^١ سورة المائدة الآية ٦٧

^٢ سورة الشورى الآية ١٣

^٣ سورة الشورى الآية ١٣

^٤ سورة المائدة الآية ٦٨

الخلافة في الارض: (اسْتَخْلَفَهُ فِي الْأَرْضِ).

كما تعلمون هناك استخلافٌ عام لكل الانبياء والاولصياءؑ، فهم جميعاً خلفاء الله في ارضه، وحججه على عباده، كما نقرأ ذلك في زيارتهم (وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجًا عَلَى بَرِيَّتِهِ)^(١) هذا هو الاستخلاف العام.

لكن هناك استخلاف خاص، هناك استخلاف فعلي على الارض، بمعنى الحاكمية الفعلية القائمة على ارض الواقع كما في قوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} (٢)، انت ياداوود لست مثل بقية الانبياء، بل اعطيناك الحكم وجعلناك خليفة على ارض الواقع وببيدك حكومة الناس.

اذن هذه خلافة فعلية عملية على الارض.

نحن ندعو لصاحب العصر والزمانؑ ليس بالخلافة العامة، لان الخلافة العامة موجودة له من الله تبارك وتعالى وكل الائمة الاطهارؑ كذلك، (حجج الله على عباده وخلفاؤه في بلاده)^(٣).

انما ندعو له بالنصر، وان يكون الحاكم الفعلي والخليفة الوالي في الارض، (كَمَا اسْتَخْلَفْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ)، كما ان الله تبارك وتعالى استخلف داوود وسليمانؑ، واستخلف رسول الله ﷺ، واستخلف الامام علياًؑ، فحكموا، نحن نريد لامامنا صاحب العصر والزمانؑ، هذا الاستخلاف الموعود به المؤمنون، هذا وعد وسيتحقق باذن الله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ

^١ مفاتيح الجنان/ الشيخ القمي/ الزيارة الجامعة الكبيرة.

^٢ سورة ص الآية ٢٦

^٣ غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ١ - الصفحة ١٠٨

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٤٣

مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {١}.

ماذا يعني ليستخلفهم؟ يعني يجعلهم حكاماً، يعني تكون الارض ومن عليها للمؤمنين وحاكمية المؤمنين.

اذن هذا وعدٌ الهي لن يتخلف، ولهذا يقول الدعاء: (اسْتَخْلَفُهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ)، هذا استلهم من الآية الشريفة.

حاكمية الدين:

نحن نسأل الله تبارك وتعالى ان يمكّن امام زماننا عليه السلام من اقامة الدين، فنقول: (مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ).

والسؤال هنا ان بعض الروايات تقول: (اذا ظهر صاحب الزمان عليه السلام بأمرٍ جديد وكتاب جديد وسنة جديدة) (٢)، فهل يعني ذلك ديناً غير الاسلام؟
الجواب: لا، الروايات تقول: (يحكم بكتاب الله وسنة نبيه) (٣)، ولكن يأتي بأمرٍ جديد غريب على اهل ذاك الزمان، لانهم ابتعدوا عن الاسلام. ولهذا اصبح الاسلام عليهم غريباً، وكأن الامام صاحب العصر عليه السلام قد أتى بدينٍ جديد على العرب شديد) (٤).

الروايات يفسر بعضها بعضاً، ليس بمعنى أنه يأتي بدين غير الاسلام، وانما يحكم بالكتاب والسنة، لكن هذا الحكم يبدو جديداً على الناس لانه غير مألوف.

^١ سورة النور الآية ٥٥

^٢ بحار الأنوار ص ٣٥٤ / ح ١١٤ (عن الثمالي قال: سمعت أبا جعفر (محمّد بن عليّ): (يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة وقضاء جديد، على العرب شديد، وليس شأنه إلا القتل، ولا يستتيب أحداً ولا تأخذه في الله لومة لائم)) (المحقق)

^٣ كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ج ١ - الصفحة ١٦٦ (سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: في صاحب هذا الأمر ذا قام سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله) (المحقق)

^٤ الغيبة للنعماني: ٢٣٣. (عن الإمام الباقر عليه السلام: يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، لا يستتيب أحداً، ولا يأخذه في الله لومة لائم) (المحقق)

٣٤٤ شرح دعاء الافتتاح

الان يتحدث العالم عن الديمقراطية، وعن الحريات المطلقة وما شابه ذلك، لكن امام العصر والزمان ﷺ سوف يطبق احكام الله تبارك وتعالى وهي غريبة على الناس يومئذٍ.

صلاحية الشريعة الاسلامية:

طبعاً هنا ايها السادة الكرام في قصة حاكمية الدين، سوف ننتهي من الاجابة على سؤال هل ان الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان؟ اليوم يقول الحداثيون المتغربون مع الاسف، المتأثرون بالفكر الغربي، يقولون أن الشريعة الاسلامية ليست صالحة لهذا الزمان، هذا الزمان له مفاهيم جديدة، مثل حقوق الانسان، وحقوق المرأة، أما الشريعة الاسلامية فانها لا تتناسب مع عصرنا؟

الجواب: لا، الشريعة الاسلامية مطلقة لكل زمان ومكان، وقادرة على مواكبة تطور العصر، ومعالجة مشاكل الانسان حتى ظهور امامنا ﷺ، لانه الشريعة الالهية، والله تعالى أعرف بشؤون الانسان وحاجاته ومشاكله^(١).

نقرأ في الدعاء (اَسْتَخْلِفُهُ فِي الْأَرْضِ) و(مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ)، ودينه هو نفس الاسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، نفسه سيطبق عند امام زماننا. فلا يوجد مجال لشبهات الحداثيين.

هل توجد في هذا العصر مشاكل جديدة؟ لا، لا، لا، هي نفس مشاكل الانسان منذ اليوم الاول.

نعم الاشكال اختلفت، السفر اختلف، الاتصال اختلف، السلاح اختلف، الاعلام اختلف، لكن هي تبقى مشاكل ذاتية عند الانسان، نفس المشاكل، مشاكل الهوى، والجنس، والحسد، والهيمنة، والغصب، والسرقة وماشاكل ذلك.

^١ راجع للمزيد كتابنا (دفاع عن الشريعة)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٤٥

وعلى كل حال، فإن الاسلام قادر على معالجة مشاكل الانسان، وامام زماننا يطبق احكام الله، (حلال محمد حلال الى يوم القيامة، وحرامه محمد حرام الى يوم القيامة)(١).

الامن من الخوف:

(أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْنًا)، أَبْدِلْهُ، ماذا تعني؟

هل يعني ان الامام صاحب العصر والزمان ﷺ خائف؟

خائف، نعم، ليس بمعنى الخوف من منطلق الجبن، ولكن هو يعيش معركة حقيقية، والظروف والشروط للنصر الالهية غير محققة قبل ظهوره، ولا يوجد اذن من الله تبارك وتعالى بالنصر والظهور لعدم استحقاق البشرية.

اذن، الخوف بهذا المعنى، الخوف من فشل التجربة، الخوف على الدين، الخوف على أمته، كما في قوله تعالى في قصة موسى ﷺ حين خرج خائفاً يترقب {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢)، ان الظروف الان لا تسمح بظهوره، وانتصار ثورته، نعم هو خائف لاجل ذلك.

عندنا روايات تؤكد هذا المعنى، الامام الصادق ﷺ عن رسول الله ﷺ يقول:

قال رسول الله ﷺ: لا بد للغلام من غيبة.

فقليل له: ولم يا رسول الله؟

قال: يخاف القتل (لا بد للغلام يعني الامام المهدي) (٣).

اساساً ماهي فلسفة الغيبة؟

^١ علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن حريز عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجئ غيره (الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٥٨)

^٢ سورة القصص الآية ٢١

^٣ ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ١٨٤

٣٤٦ شرح دعاء الافتتاح

الغيبية خوفاً من القتل وبقاء الارض بلا حجة ، ان الامام صاحب العصر والزمان (ع) كان مطارداً، وما زال مطارداً.

امريكا تبحث عن صاحب الزمان (ع):

قد اخرج عن البحث العلمي، وقد ألفت نظركم الى شيء غريب بالنسبة لكم.

هل تعلمون ايها السادة الكرام كما يحدثني احد الاعزاء المشايخ في النجف الاشرف في بداية الاحتلال ودخول الامريكان للعراق، اعتقلوا هذا الشيخ وهو طالب العلم واخذوه الى معتقل في مطار بغداد، يحدثني يقول: في مطار بغداد كانوا يجمعون الاعراب الرعاة من اطراف سامراء والثرثار، ويأتون بهم الى المعتقل في مطار بغداد ويحققون معهم ويسألوهم من هذا محمد المهدي؟

من هو هذا الذي يؤذيكم؟

يبحثون عن محمد المهدي، طبعاً اولئك الناس لا يعرفون شيئاً كثيراً عن الامام المهدي (ع)، لكن الامريكان يحققون مع رعاة الغنم؟ يبحثون عن محمد المهدي.

اسمعوا يا شيعتنا، امريكا اليوم هي خائفة من ظهور الامام المهدي المنتظر (ع)، هناك قسم خاص في المخابرات الامريكية، للبحث عن الامام المهدي (ع)، لان قضية الامام المهدي (ع) موجودة عندهم ايضاً، عند علمائهم ايضاً.

يقول هذا الشيخ الفاضل الذي اعتقل هناك، وهو لايسمح لي ان اذكر اسمه، يقول في المعتقل كانوا يحققون معي يقولون هل ترى الامام المهدي او لاتراه؟.

السيد السيستاني هل يرى الامام المهدي ويلتقي معه؟

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٤٧

هذه الاحكام التي تصدر الفتاوى والبيانات، هل من عنده مباشرة؟ او هي من الامام المهدي؟

هذا الخمس الذي تعطوه للسيد السيستاني هل يعطيه للمهدي، او هو يتصرف به؟

انتم لماذا تعطون الخمس للمرجع؟ اعطوه الفقراء؟

يسألون سؤالاً سادساً: اذا ظهر الامام المهدي هل يستخدم الموبايلات؟ وهذه قنوات التواصل الحديثة أم لا؟

سؤال سابع: وهل يستخدم الطائرات؟ أو يأتي بسلاح جديد.

يقول الشيخ: وهذا المحقق معي كان قد وضع امامه كتاباً ويسأل ويكتب، والان هم يعيشون الرعب من ظهور الامام المهدي ﷺ ونزول عيسى المسيح ﷺ وصلاته خلف الامام المهدي ﷺ، الرعب حقيقي، نحن في معركة.

ولهذا فان الامام المنتظر ﷺ وحتى تنهياً له ظروف وشروط النصر الالهي، فهو خائف، الى ان تنهياً شروط نزول النصر الالهي، والاذن الالهي بالحركة..

ولهذا نحن نقول: اَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْنًا يَغْبُذُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا. اَللّٰهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعِزُّ بِهِ، وَاَنْصُرْهُ وَاَنْتَصِرْ بِهِ، وَاَنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَاَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاَجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا.

مفاهيم عن حركة الامام المهدي ﷺ: (١)

هنا مجموعة مفاهيم، اعرضها عليكم:

١- الحرب المسلحة:

الامام ﷺ يخوض حرباً مسلحة.

هل ينتصر الامام من خلال انقلاب عسكري؟ لا.

^١ راجع كتابنا (الامام المهدي ﷺ بين العلم والدين والعقل)

من خلال ثورات شعبية سلمية؟ ايضاً لا.
الجواب: بعد ان تمهد له الارض، وبعد دولة الموطنيين، كما تقول الروايات يعني دولة تمهد للامام المهدي عليه السلام، بعد ذلك يظهر صاحب العصر والزمان ويقود حرباً مسلحة، من مكة الى العراق، الى الروم، الى القسطنطينية، حتى الى فلسطين، وتحرير فلسطين. الرواية تقول: (حتى لا يبقى يهودي في فلسطين)^(١).
اليوم نبوءات الواقع الذي نعيشه كلها تبشر بهذا المستقبل القريب ان شاء الله.

هل ان عملية ظهور الامام المهدي عليه السلام واقامة الحكم العالمي، تتم عبر عملية رشد انساني، بشري عام، وتطور حضاري؟ أو لا؟
الجواب: لا. تبقى المعارك الطاحنة والآراء والمذاهب، والفساد يبقى موجوداً ويظهر صاحب العصر والزمان ليقوم من خلال ثورة وقوات وحروب مع السفيناني، وثورة وانقلابات داخلية، ويقتل واليه في الكوفة وفي المدينة وهكذا.

اذن عبر ماذا ينتصر الامام؟ عبر ثورة مسلحة.

٢- انتصار الاسلام عالمياً:

(اَللّٰهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعِزِّزْ بِهِ، وَاَنْصُرْهُ وَاَنْتَصِرْ بِهِ، وَاَنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا)، (اَللّٰهُمَّ اَظْهَرْ بِهِ دِيْنَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحَقِّ مَخَافَةً اَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ).

٣- المجتمع الرشيد:

المجتمع السعيد والرشيد العالمي متى سيكون؟
بعد ظهور صاحب العصر عليه السلام وبعد نجاحاته العسكرية، حينئذ تبدأ عملية الرشد الجماعي، يعني الرشد الجماعي لا يكون قبل ظهور القائم، وانما بعد ظهور القائم، ذلك تبدأ عملية الرشد العام للبشرية.

^١ راجع عصر الظهور - الشيخ علي الكوراني العاملي

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٤٩

يقول الامام الباقر (عليه السلام): (إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ، وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ)(١).

اليوم ما زال امام العصر ونحن الشعوب الاسلامية نعيش حرباً، نعيش تحديات، ولهذا فان الامام لا يظهر، الا ان تستكمل عناصر النصر العالمي.

٤- موجود معنا:

هل هو موجود معنا؟

الرواية التي يرويها النائب الثاني عن امام العصر (عليه السلام)، واسمه محمد بن عثمان العمري(٢) يقول: (والله ان صاحب هذا الامر يشهد الموسم)(٣).
يعني يحضر معكم في مكة المكرمة بالحج، ومعنى هذا انه يحضر سائر المواسم أيضاً، سائر المشاهد المشرفة، (ان صاحب هذا الامر يشهد الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه)(٤)، يعني انت قد تراه، ولكن لا تعرف انه صاحب الزمان (يرونه ولا يعرفونه).

^١ الكافي ج ١ ص ٢٥ ح ٢١، كمال الدين ج ٢ ص ٦٧٥ ب ٥٨ ح ٣٠

^٢ محمد بن عثمان بن سعيد العمري، (ت ٣٠٥ هـ) المعروف بالخلاني والمكشي بأبي جعفر، هو السفير أو النائب الثاني من النواب الأربعة للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام) .. مكث أبو جعفر الفترة الأطول من بين هؤلاء النواب في سفارته التي ناهزت الأربعين عاماً (٢٦٥ - ٣٠٥ هـ)، خلف فيها والده المكشي بأبي عمرو، بعد أن كان مساعداً له، في فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام) .. رغم التصريح الذي جاء في رواية الإمام العسكري (عليه السلام) وفي كتاب لصاحب العصر (عليه السلام) قد شكك بعض وكلاء الإمام في نيابته وبعض آخر ادعاه لنفسه. كان حوله مساعدون ويمدونه يد العون في إدارة الوكالة. وله مصنفات في الفقه ووردت عنه روايات حول المهدي (عليه السلام) كما نقلت عنه أدعية مشهورة نحو: السمات، والافتتاح، وزيارة آل ياسين. (المحقق)

^٣ كمال الدين ص ٣٥١ ح ٤٨ ، الكافي ج ١ ص ٢٧٢ ، دلائل الإمامة ص ٤٨٢

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ - الصفحة ١٥٢

قصة السيد المرعشي^(١) النجفي :

وهنا تأتي قصة السيد المرعشي النجفي وهو من كبار علماء النجف الأشرف، وهاجر الى قم وتوفي هناك بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وله أضخم مكتبة معروفة بمكتبة آية الله المرعشي النجفي، وهو قدس سره معروف بلقاءاته وله أكثر من لقاء مع صاحب العصر والزمان. هو يروي أعلى الله شأنه وزاد في شرفه:

(أيام تحصيلي للعلوم الدينية وفقه أهل البيت عليه السلام في النجف الأشرف، اشتقت كثيراً لرؤية جمال مولانا بقیة الله الأعظم عليه السلام ، وتعاهدت مع نفسي أنني أذهب ماشياً في كل ليلة أربعاء إلى مسجد السهلة ، وذلك لمدة أربعين مرة ، قاصداً زيارة مولانا صاحب الأمر لأفوز بذلك الفوز العظيم . أدمنت هذا العمل إلى ٣٦ أو ٣٥ ليلة أربعاء، ومن الصدفة أنني تأخرت في هذه الليلة في خروجي من النجف الأشرف، وكان الهواء سحابياً ممطراً، وكان بقرب مسجد السهلة خندق، وحين وصولي إليه في الليل المدلهم مع وحشة وخوف قطاع الطريق، وكانوا كثيرين آنذاك، سمعت صوت قدم من خلفي مما زاد في وحشتي ورعبي، فنظرت إلى الخلف، فرأيت سيّداً عربياً بزيّ أهل البادية، اقترب منّي وبلسان فصيح قال : يا سيّد، سلام عليكم، فشعرت بزوال الوحشة كلّاً من نفسي واطمأننت وسكنت النفس، والعجيب كيف التفت إلى أنني سيّد في مثل تلك الليلة المظلمة؟ وغفلت عن هذا، إنّه كيف يمكن التمييز في سواد الليل .

^١ السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (١٣١٥ - ١٤١١ هـ)، من مراجع التقليد في المدرسة الإمامية، وحصل على درجة الاجتهاد في السابعة والعشرين من عمره. تصدّى لمقام المرجعية بعد رحيل آية الله البروجردي. من أبرز الخدمات الثقافية التي قدّمها قدس سره تأسيس المكتبة العامّة المسماة باسمه والتي تحتوي على كم وافر من المخطوطات الإسلامية والكتب القيمة في شتى العلوم، وهي تتصدر قائمة المكتبات الإيرانية العامّة، وتقع في المرتبة الثالثة لأكبر المكتبات في العالم الإسلامي في هذا المجال، إضافة الى هذا فقد قام بتأسيس مدارس علمية كالمرعشيه والشهابية والمهدوية والمؤمنية، فيذل جميع ما بوسعه في سبيل العلم والاحتفاظ بالتراث الإسلامي حتى أصبح غير مستطيع لأداء فريضة الحج. له الكثير من المؤلفات، منها: تعليقات على كتاب إحقاق الحق، مشجرات آل الرسول، طبقات النسابين وحاشية على عمدة الطالب. وكان قد تحمّل عناء السفر والترحال إلى بعض البلدان واللقاء بعلمائها لأجل تدوين بعض مؤلفاته. (المحقق)

على كلِّ تحدّثنا وسرنا، فسألني : أين تقصد؟
قلت: مسجد السهلة .

فقال: بأيّ قصد؟

قلت: بقصد التشرف بزيارة وليّ العصر.

بعد أقدام وصلنا إلى مسجد زيد بن صوحان، وهو مسجد صغير يقرب عن مسجد السهلة، فقال السيّد العربي: حبّذا أن ندخل هذا المسجد ونصلّي فيه ونؤدّي تحيّة المسجد.

فدخلنا وصلّي، وبعد دعاء قرأه السيّد وكأنّه كانت تقرأ معه الجدران والأحجار، فشعرت وأحسست بثورة عجيبة في نفسي، أعجز عن وصفها. ثمّ بعد الدعاء قال السيّد العربي : يا سيّد أنت جوعان ، حبّذا لو تعشّيت .

فأخرج مائدة من تحت عباءته ، وكان فيها ثلاثة أقراص من الخبز واثنان أو ثلاثة خيرات خضراء طرية وكأنّها توّأ قُطفت من البستان، وكانت آنذاك - أربعينيّة الشتاء ذلك البرد القارص، ولم أنتقل إلى هذا المعنى أنّه من أين أتى بهذا الخيار الطري في هذا الفصل الشتوي؟ فتعشّينا كما أمر السيّد، ثمّ قال: قم لنذهب إلى مسجد السهلة .

فدخلنا المسجد، وكان السيّد العربي يأتي بالأعمال الواردة في المقامات، وأنا أتابعه، وصلّي المغرب والعشاء وكأني من دون اختيار اقتديت به، ولم ألتفت أنّه من هو هذا السيّد؟ وبعد الفراغ من الأعمال قال السيّد العربي: يا سيّد، هل تذهب مثل الآخرين بعد الأعمال إلى مسجد الكوفة، أو تبقى في مسجد السهلة ؟

فقلت : أبيت في المسجد.

فجلسنا في وسط المسجد في مقام الإمام الصادق (عليه السلام).

قلت للسيّد: هل تشتهي الشاي أو القهوة أو الدخانيّات حتّى أعدّه لكم؟

فأجاب بكلمة جامعة: «هذه الأمور من فضول المعاش، ونحن نتجنّب عن فضول المعاش».

٣٥٢ شرح دعاء الافتتاح

أثّرت هذه الكلمة في أعماق وجودي، كنت متى ما أشرب الشاي وأتذكّر ذلك الموقف وتلك الكلمة ترتعد فرائصي .

وعلى كلّ حال، طال المجلس بنا ما يقارب الساعتين، وفي هذه البرهة جرت ودُكرت بيننا مطالب أشير إلى بعضها :

١ - جرى حديث حول الاستخارة، فقال السيّد العربي: يا سيّد، كيف عمّلك للاستخارة بالسبحة ؟

فقلت: ثلاث مرّات صلوات وثلاث مرّات (أستخير الله برحمته خيرة في عافية) ثمّ أخذ قبضة من السبحة، وأعدّها، فإن بقي زوجٌ فغير جيّدة ، وإن بقي فردٌ فجيّدة .

فقال السيّد: لهذه الاستخارة تتمة لم تصل إليكم، وهي عندما يبقى الفرد لا يحكم فوراً أنّها جيّدة بل يتوقّف، ويؤخذ مرّة أخرى على ترك العمل فإن بقي زوج فيكشف أنّ الاستخارة الأولى كانت جيّدة، وإن بقي فرد فيكشف أنّ الاستخارة الأولى وسط.

وفي نفسي قلت: حسب القواعد العلميّة عليّ أن أطالبه بالدليل ، فأجاب : وصلنا من مكانٍ رفيع .

فوجدت بمجرد هذا القول التسليم والانقياد في نفسي ، ومع هذا لم أتوجّه أنّه من هو هذا السيّد؟

٢ - ومن مطالب تلك الجلسة تأكيد السيّد العربي على تلاوة هذه السور بعد الفرائض الخمس، فبعد صلاة الصبح(سورة يس)، وبعد الظهر(سورة عمّ)، وبعد العصر(نوح)، وبعد المغرب (الواقعة)، وبعد العشاء (الملك).

٣ - ومن المطالب تأكيده على ركعتين بين المغرب والعشاء، في الأولى تقرأ أيّ سورة شئت بعد الحمد، وفي الثانية تقرأ الواقعة، وقال : تكفي هذه عن قراءة سورة الواقعة بعد صلاة المغرب، كما مرّ.

شرح دعاء الافتتاح.....٣٥٣

٤ - ومن المطالب: تأكّيده على هذا الدعاء بعد الفرائض الخمس: «اللهم سرّحني من (عن) الهموم والغموم ووحشة الصدر ووسوسة الشيطان، برحمتك يا أرحم الراحمين».

٥ - ومن المطالب: التأكيد على قراءة هذا الدعاء بعد الركوع في الفرائض الخمس، سيّما الركعة الأخيرة: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وترحم على عجزنا، وأغننا بحقّهم».

٦ - لقد مجّد (شرائع الإسلام) للمحقّق الحليّ وقال: كلّها مطابقة للواقع إلّا عدّة مسائل .

٧ - التأكيد على تلاوة القرآن وهدية ثوابها للشيعّة الذين ليس لهم وارث، أو لهم ولكن لم يذكروا أمواتهم .

٨ - في الصلاة يوضع تحت الحنك كما عند علماء العرب، وهو امرار العمامة تحت الحنك وجعل طرفها في العمامة، وقال: هكذا ورد في الشرع.

٩ - التأكيد على زيارة سيّد الشهداء (عليه السلام) .

١٠ - دعا في حقّي ، فقال: جعلك الله من خدّمة الشرع .

١١ - قلت له: لا أدري هل عاقبة أمري بخير، وهل أنا مبيضّ الوجه عند صاحب الشرع المقدّس ؟

فقال: عاقبتك على خير، وسعيك مشكور، وأنت مبيضّ الوجه .

قلت: لا أدري هل أبوي وأساتذتي وذوي الحقوق راضون عنّي ؟

فقال: كلّهم راضون عنك ويدعون لك .

فاستدعيته أن يدعو لي أن أوفق للتأليف والتصنيف، فدعا لي .

وهناك مطالب أخرى لا مجال لتفصيلها.

فأردت الخروج من المسجد لحاجة، فأتيت الحوض وهو في وسط الطريق، وقبل أن أخرج من المسجد تبادر إلى ذهني أيّ ليلة هذه؟ ومن هذا السيّد العربي صاحب الفضائل؟ ربما هو مقصودي؟ فما أن خطر هذا

على بالي إلا ورجعت مضطرباً، فلم أجد أثراً لذلك السيّد، ولم يكن شخص في المسجد، فعلمت أنّي وجدت من أتحمّس عنه، ولكن أصابتنّي الغفلة، فبكيت ناحباً كالمجنون، ورحت أطوف أطراف المسجد حتّى الصباح كالعاشق الولهان الذي ابتلي بالهجران بعد الوصال، وكلّما تذكّرت تلك الليلة ذهلت عن نفسي، وهذا إجمال من تفصيل^(١).

هكذا نعتقد ان إمامنا عليه السلام يرانا، ويحضر الموسم، ويشارك معنا، مع أمته، مع جمهوره وشيعته، يرونه ولا يعرفونه، ولكن هو يراهم ويعرفهم .

(اللَّهُمَّ اعِزَّهُ وَاعْزِزْ بِهِ، وَانصُرْهُ وَاَنْتَصِرْ بِهِ، وَانصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا).

(اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةً أَحَدٍ مِنَ الْخُلُقِ).

^١ قيس من كرامات سيّدنا الأستاذ / السيّد عادل العلوي / ص ١١٧ (المحقق)

المحاضرة السادسة والعشرون:

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ،
و تُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَ أَهْلَهُ، وَ تَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ،
وَ الْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَ تَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ..
اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَاهُ، وَ مَا قَصَرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ).

*هل نحن معنيون بشان الدولة؟

*ضرورة الدولة.

*هوية الدولة التي نريدها.

*مسؤوليتنا تجاه دولة الحق.

*صفات الشخصية القيادية.

*معركة الوعي واللاوعي.

*الشريعة هم الاكثر وعياً.

٣٥٦ شرح دعاء الافتتاح

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٥٧

حديثنا هذه الليلة عن هذا المقطع من الدعاء، (اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة....)، عندنا هنا عدة محاور:

١- هل نحن معنيون بشأن الدولة:

يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعَزِّزُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ).

السؤال: هل الاسلام والفرد المسلم معني بأمر الدولة؟ او هو غير معني بذلك؟

هل الاسلام يهتم بشأن الدولة، او يهتم فقط بشأن الفرد، وبشأن الامة؟ انا وانت، الفرد المسلم، هل نحن معنيون مهتمون بأمر الدولة؟ أو لا يهمنا أمر الدولة؟

الجواب: الاسلام معنيّ بأمر الفرد والامة والدولة، والانسان المؤمن يجب أن يكون كذلك أيضاً.

لاحظ هذا الدعاء في ليالي شهر رمضان المباركة، لم يكن دعاءً شخصياً وعن هموم شخصية، (نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ). اذن الاسلام والمسلم أحد أمانيه في الدنيا ان يشهد الدولة الاسلامية الكريمة، هذه مهمة بالنسبة لنا.

نرغب اليك يا الهي، مثل ما نرغب اليك في سعادة دنيوية وآخروية، في جنة ونعيم، كذلك نرغب اليك في دولة كريمة، اذن الاسلام معنيّ بأمر الدولة.

نلاحظ ذلك في رسالة الامام زين العابدين (عليه السلام) في شأن حقوق الرعية، وحقوق الوالي، (حق سائسك بالسلطان)، وما هي مسؤولية السلطان تجاه الرعية؟ هذه في (رسالة الحقوق) (١) العظيمة للامام زين العابدين (عليه السلام).

^١ راجع شرح رسالة الحقوق/ للشهيد السيد حسن القبانجي

كما نلاحظ لدى الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشر حيث يتحدث عن (الراعي)، وعن (الرعية)، يقول:

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق)(١).

لاحظوا اهتمام الاسلام بشأن الدولة، نحن معنيون وكل الصالحين وقبلهم الانبياء بشأن الحكم والدولة، ولا يصح ان نقول ليس لنا علاقة بالأمر ودعوها لغيرنا.

كلا، اهل الله، واهل الدين هم أولى بحكومة الارض {الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(٢)، لاحظوا دعاء الامام المهدي عليه السلام المعروف (اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النَّيِّ وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ)(٣)، هذا دعاء صاحب الزمان عليه السلام، يقول بعد ذلك في هذا الدعاء: (اللهم وَ تَفَضَّلْ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَ الشَّفَقَةِ، وَ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِالْإِنصَافِ وَ حُسْنِ السَّيَرَةِ). اذن هذه نظرة ومسؤولية تجاه الدولة وكيف يجب أن تكون.

اذن الاسلام معني بشأن الدولة، والفقهاء وكتب الحديث يخصصون ابواباً عديدة في كيفية التعامل مع السلطان الجائر؟ هل يجوز ان نعمل معه، أو لا يجوز؟

هذا بحث، لاحظو ذلك في كتب الحديث مثل كتاب (وسائل الشيعة)(٤)، في (كتاب القضاء)، حيث يعقد الفقهاء باباً خاصاً في عدم جواز المعونة للسلطان الجائر.

^١ نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - الصفحة ٨٤

^٢ سورة الانبياء الآية ١٠٥

^٣ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء مروي عن الامام المهدي عليه السلام

^٤ وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٨ - الصفحة ٢/ باب القضاء/ ابواب صفات القاضي

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٥٩

اذن الفقهاء، الاحاديث، وكذا الادعية، كلها معنية بشأن الدولة، فلا يصح مفهوم اننا لا شأن لنا بالدولة، دعها للفسقة والفجرة، لا، المؤمن يحمل همّ ان تكون الدولة دولة كريمة، (نرغب اليك في دولة كريمة).

٢- ضرورة الدولة:

في ثقافتنا الاسلامية فان الدولة ضرورة، ولا يمكن للامة أن تعيش نظام العشائر أو فوضى وبدون دولة.

لا، الاسلام يرى ان الدولة ضرورة، ولا بد من دولة وحكومة، حين قال الخوارج(١): (لاحكم الا لله)، لتبقى الامة بدون دولة تحت شعار(لاحكم الا لله).

ماذا قال الامام علي(عليه السلام)؟(٢)

قال: (كلمة حق يراد بها باطل، نعم، لاحكم الا لله ولكن لا بد للناس من امير).

الله تعالى هو الحكم للدنيا والاخرة، السماوات والارض بيده، ولكن الأمرة في الناس لا بد منها، لا بد من دولة.

نظرية الخوارج تقول (لا ضرورة للدولة)، النظرية الشيوعية الماركسية تقول ايضاً تقول في نهاية البشرية (تسقط الدولة).

^١ الخوارج، هي فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وبالتحديد في حرب صفين التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين علي(عليه السلام) من جهة وبين معاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى. وكان ظهورهم العلني بعد رفع المصاحف في تلك الحرب من قبل جيش معاوية بمشورة من عمرو بن العاص بعد أن اتضحت هزيمة جيش الشام لو استمرت الحرب. لقد سُمي الخوارج بعدة تسميات، منها: الحرورية، والشرارة، والمارقة، وغيرها، ولهم عدة فرق، وهي: الأزارقة، والنجدية، والصفرية، والإباضية. (المحقق)

^٢ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢ - الصفحة ٣٠٧ (ومن كلام له(عليه السلام) للخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله قال: كلمه حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون:

لا إمرة (١). وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الاجل، ويجمع به الفئ، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوى، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر وفي رواية أخرى أنه(عليه السلام) لما سمع تحكيمهم قال: حكم الله أنتظر فيكم.

وقال: أما الأمرة البرة فيعمل فيها التقى، وأما الأمرة الفاجرة فيتمتع فيها (٢) الشقي، إلى أن تنقطع مدته، وتدركه منيته.. (المحقق))

٣٦٠ شرح دعاء الافتتاح

ولكن هذه النظرية يرفضها الاسلام، لا بد من دولة، وهذه الضرورة تستمر الى نهاية البشرية، ادارة الامور لا بد منها، لا بد من مدير، لا بد للناس من أمير، هذه هي النظرية الاسلامية.
ولهذا يقول الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعَزِّزُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ).

٣- هوية الدولة التي نريدها: (١)

هذه الدولة التي نرغب فيها ، ماهي هويتها؟
يوجد عندنا ثلاثة نماذج للدولة:

اولا: دولة ذات هوية دينية غير مدنية.

ثانيا/ دولة ذات هوية مدنية غير دينية.

ثالثاً / دولة ذات هوية دينية مدنية، بمعنى متمدنة ومتقدمة علمياً
وليس بالمعنى المصطلح للمدنية التي تتقاطع مع الدين.
ماذا يقول الاسلام؟

هنالك دولة ذات هوية دينية، ولكن متخلفة ليست مدنية، فيها ظلم وجور الطغاة، وسلب الحريات، الجبايرة الذين حكموا العالم الاسلامي، مروان وبنو امية والعباسيون والعثمانيون، كانت دولة باسم الدين، ولكنها غير مدنية متخلفة تماماً، بل هي بعيدة عن الدين أيضاً، هذا نموذج مرفوض في الاسلام.

يوجد نموذج آخر دولة ذات هوية مدنية ولكنها غير دينية، وهي ما يدعو لها العلمانيون الحداثيون، يقولون نحن نريد دولة غير متدينة، مدنية فقط لا دينية.

هذا النموذج ايضا مرفوض في الاسلام.

النموذج الصحيح في الاسلام والذي نستلهمه من هذا الدعاء هو دولة ذات هوية دينية مدنية، الاثنان معا، حيث لا منافاة بين الدين والعلم.

^١ راجع لمزيد الاطلاع كتابنا (دفاع عن الشريعة)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٦١

الصحيح دولة دينية ومدنية ايضاً، متقدمة علمياً وانسانياً، تشهد حرية الرأي.

الامام علي عليه السلام ماذا يقول؟

يقول: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ) (١).

(إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ) يعني (رئاسة الدولة)، (أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ) يعني (كفاءة مدنية)، (وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ) يعني (دينية).

اذن نحن نريد دولة دينية، ومدنية.

الإمام الحسين عليه السلام ماذا يقول؟

يقول: فَلَعَمْرِي مَا الْإِمَامُ إِلَّا الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ ، الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ، الدَّائِنُ بِدِينِ الْحَقِّ ، الْحَابِسُ نَفْسَهُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ» (٢).

دولة دينية ومدنية ايضاً فيها عدالة، فيها حق الشعب، فيها تقدم علمي، فيها رفاه معيشي.

الاسلام يدعو الى دولة ذات هوية، دينية مدنية، وليس فقط أمة متدينة. يوجد الان نماذج دول في الخليج باسم الدين، لكنها متخلفة علمياً، نحن نريد دولة دينية متطورة متمدنة عادلة، (انا نرغب اليك في دولة كريمة - مدنية ذات كرامة ذات عزة ذات تقدم، ولكنها دينية- تعز بها الاسلام واهله. وتذل بها النفاق واهله).

لاحظ الدعاء كيف ربطنا بنظرية دينية، في شأن الدولة، حقاً رائع هذا الدعاء.

٤-مسؤوليتنا تجاه دولة الحق:

(وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنْ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ).

^١ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٩ - الصفحة ٣٢٨

^٢ العوالم ، الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ عبد الله البحراني - الصفحة ١٨٤

الان نحن نريد هذه الدولة الدينية المدنية، انا كفرد وانت كفرد، ماهي مسؤوليتنا؟ وماذا نريد من الله؟

نحن حينما نطلب شيئاً من الله فذلك يعني انه مسؤولية علينا أيضاً باتجاه تحقيق مانرجوه من الله تعالى ومانصبو اليه، الطموح والمسؤولية، (وَتَجْعَلْنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ).

أمران مهمان: (دعاة الى الله)، و(قادة الى سبيل الله).

رغم انك فرد متواضع في الامة، لكن اعرف ايها الانسان المسلم ان الاسلام يريد قائداً في الساحة، لايمكن ان تكون مجرد متدين، يجب ان تكون متديناً وقائداً في أمتك، هذه هي مسؤوليتنا.

الافراد بالمجتمع على نوعين: هنالك فرد عادي، يقول انا اصلي، انا اصوم، ويوجد فرد قيادي.

الاسلام ماذا يريد؟ الاسلام يريد ان يربي افراداً قياديين.

الاسلام منذ اليوم الاول، ماذا يقول؟

يقول: (وَتَجْعَلْنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ).

الشباب المؤمن يجب ان يفكر في نفسه هل هو قائد؟

طبعاً القائد ليس معناه المتسلط، المتكبر، لا القائد بمعنى الهادي في بيته، مع اصدقائه، في صفه الدراسي، مع محلته، مع المعمل، اينما يكون.

ولهذا فان القرآن الكريم يقول:

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً} (١)، من هم؟ من سائر الناس المؤمنين، وليس الانبياء فقط، و{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (٢)، الدعاء في القرآن الكريم: {وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} (٣)، ليس

^١ سورة السجدة الآية ٢٤

^٢ سورة السجدة الآية ٢٤

^٣ سورة الفرقان الآية ٧٤

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٦٣

فقط الامام المعصوم، ولا المرجع الديني، ولا العالم الديني، كل فرد يقرأ القرآن يدعو هذا الدعاء {وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (١).

نعم، لابد ان تكون قائداً في امتك. ولكن هذه الشخصية القيادية مشروطة.

أولاً: بالصبر (لَمَّا صَبَرُوا)، الشخصية القيادية هي شخصية صبور، طويلة النفس (لَمَّا صَبَرُوا).

ثانياً: اليقين، {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (٢)، هؤلاء هم الشخصيات القيادية. نستطيع أن نستعرض صفات الشخصية القيادية حسبما جاء في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة، ارجوكم يا سادتنا يا شبابنا، فكروا بان تكونوا ائمة هدى، كل واحد بحجمه بمساحته، لا تقل انا لست مسؤولاً، لا تقل هذا شغل المرجع الديني والعالم الديني فقط، بل كل واحد منا يقول {وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (٣)، ولو على نفرين أو ثلاثة. تكون خادماً لهم، وليس مسلطاً عليهم، تفودهم الى الجنة؟

الدعاء يقول: (اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَا، وَمَا قَصَرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَا).

هذا معنى جديد، نحن في هذه الدولة التي نرغب فيها، ونكون فيها دعاة الى طاعتك، وقادة الى سبيلك، ايضاً يا الهنا نسألك ان (ما عرفتنا من الحق ان توفقنا لنتحمله)، انت عرفتنا الحق، الاسلام، القرآن، اهل البيت، هذه معاني عرفنا بها الله تعالى يجب ان نتحمل المسؤولية تجاهها {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٤).

^١ سورة الفرقان الآية ٧٤

^٢ سورة السجدة الآية ٢٤

^٣ سورة الفرقان الآية ٧٤

^٤ سورة الاحزاب الآية ٧٢

٣٦٤ شرح دعاء الافتتاح

الان نقول الهنا انت عرفتنا الدين، عرفتنا التشيع، اجعلنا ممن يحمل هذه المسؤولية، وليس فقط يقول انا مسلم وانا شيعي.
لا، يجب ان اتحمل مسؤولية ما اعتقد به من الحق وادافع عنه، هذه هي المسؤولية الاولى (الدفاع عن الحق).
والمسؤولية الثانية هي (وَمَا قَصَرْنَا عَنْهُ فَبَلَّغْنَاهُ)، الشيء الذي لا اعرفه
ياالهي عرفني اياه، فنحن أمام مسؤوليتين:
الاولى: الدفاع عن الحق الذي عرفناه.
الثانية: معرفة الحق الذي جهلناه.
حقاً انها مفاهيم رائعة.

صفات الشخصية القيادية:

القرآن الكريم ماذا يقول؟ يقول: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١).
هذه صفات الشخصية القيادية، لاحظ القرآن يستعرضها:
{فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ} (٢).
(وَعَزَّرُوهُ) بمعنى أيدوه.
(ونصروه) ،النصرة ليس فقط ان تقول أبايعك يا رسول الله، بل ابايعك على اعلاء كلمة الحق وابطال كلمة الباطل.
{وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ} .
هذه اربع صفات في الشخصية القيادية الذين امنوا به واحد، عزروه اثنين، نصروه ثلاثة، واتبعوا المنهج الديني رابعاً، (وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ)، هذه اربع صفات في الشخصية القيادية.
معركة الوعي واللاوعي..

هنا ياتي دور التفقه في الدين، حيث يقول الامام الصادق (عليه السلام):

^١ سورة الاعراف الاية ١٥٧

^٢ سورة الاعراف الاية ١٥٧

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٦٥

(لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا).^(١)
والتفقه في الدين ليس هو مجرد معرفة احكام الدين، بل هو الوعي بالدين
واحكام الدين، واستحقاقات الدين.
تاتي هنا قضية الوعي، البصيرة، لاحظوا احاديثنا الشريفة، لاحظوا
تربية اهل البيت ماذا تقول؟
تقول (حديثٌ تدريه خيرٌ من الفِ ترويه)^(٢)، ابو هريرة كان حافظاً
للاحاديث، لكن ماذا كان ابو هريرة؟ كان من انصار السلطان الظالم.
الائمة عليه السلام ماذا يقولون؟

يقولون حديثٌ واحد تعرف معناه وتتحمل مسؤوليته، خيرٌ من الف
حديثٍ ترويه مجرد رواية، مجرد حفظ واستنساخ ذهني دون ان تجسده
على الارض بشكل صحيح ، الامام يقول عن الخوارج (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا
يُجَاوِزُ ثَرَاقيَهُمْ)^(٣) لقلقة لسان لا يصل الى قلوبهم ووعدهم وعقولهم، يعني
ماذا؟

يعني لاوعي لهم، الاسلام يريد الوعي والبصيرة (واجعل النور في
بصري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والاخلاص في عملي)^(٤)،
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا يقول؟

يقول (نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها)^(٥) .
سلاطين الجور في السابق والحاضر، واليوم الاستكبار العالمي عملهم هو
سلب الوعي من الناس، نخترن معلومات لكن بدون وعي، حين تذهب الى
مكة المكرمة والمدينة المنورة تجد المسجد النبوي والمسجد الحرام مليئاً
بعشرات الاف من القرآن الكريم، اقرأ القرآن ماتشاء لكن بدون وعي،

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٣١

^٢ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ١٨٤

^٣ فتح الباري لابن حجر (ج ١٢ / ص ٢٨٩-٣٠١).

^٤ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٥٥٠

^٥ شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٧ - الصفحة ١٤

٣٦٦ شرح دعاء الافتتاح

اقرأ بدون وعي، هذا عمل الاستكبار العالمي يريد شعوباً ليس لها وعي،
بينما رسول الله ﷺ ماذا يقول؟ الامام علي عليه السلام ماذا يقول؟
رسول الله ﷺ يقول: (نَضَرَ الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها) (١).
الامام علي عليه السلام يقول: (يا كميل ان هذه القلوب او عية خيرا او عاها) (٢).
انهم سمعوا (من كنت مولاه فعلي مولاه) لكنهم غصبوا عليا وخرجوا
لحربه. هذا سمع بدون وعي، هذا كمثل الحمار يحمل اسفارا.
القران هكذا يعبر عنهم قائلًا: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} (٣)، المهم
اليوم ودائماً ان نركز في انفسنا المعلومة بوعي، والحديث المعروف لديكم
يقول: (ما اكثر الضجيج واقل الحجيج) (٤)، ضجيج كثير (لبيك اللهم لبيك)،
ولكن كم منهم هو بالفعل حاج الى الله تعالى؟
يا سادتنا الكرام معركتنا اليوم هي معركة الوعي واللاوعي، وسلاحنا
هو سلاح الوعي، ومن اليوم الاول حينما صار التآمر على رسول الله كان
سلاح المنافقين هو سلاح (سلب الوعي).
حين يقول القائل لا تؤتوه (حسبنا كتاب الله) بعد ان قال رسول الله ﷺ
(أتوني بدواة وكتب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابداً، فقال قائلهم حسبنا
كتاب الله) (٥)، لاحظ هذه المعركة لتسطيح الوعي؟

^١ شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني - ج ٧ - الصفحة ١٤

^٢ شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٨ - الصفحة ٣٤٦

^٣ سورة الجمعة الآية ٥

^٤ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٦ - الصفحة ٢٦١

^٥ نقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر هذا أحاديث مما رده عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، فقال عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله ﷺ ثم قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، ومن قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو واللغو والاختلاف غضب رسول الله ﷺ فقال: قوموا إنه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا، فقاموا فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ يعني الاختلاف واللغو.

شرح دعاء الافتتاح.....٣٦٧

(حسبنا كتاب الله)، معركة ضد الوعي، بينما رسول الله يتقلب على الفراش، يريد ان يوصي لكنهم تأمروا عليه، بحجة ماذا؟

بحجة، (حسبنا كتاب الله) ، والذين ليس لديهم وعي، صدّقوا بهذه الحجة وانطلت عليهم.

عمرو بن العاص هكذا ايضاً، معركة تستطیح الوعي، معاوية هكذا، معركة سلب وعي، على طول التاريخ، الان مثلاً هناك مفهوم اسمعه يتداول عند بعض الناس، يقولون (مأمور معذور)، هذا مفهوم خاطئ، يعني اخرج لحرب الحسين، انت مأمور معذور، هذا هل نقبله نحن في ثقافتنا الشيعية الإسلامية؟

لا، (لا يطاع الله من حيث يعصى)(١)، كيف تكون معذوراً وانت مأمور بقتل الحسين؟.

قصة المرأة ونزع الحجاب:

سنة ١٩٧٩ م، حينما هاجرت من العراق، بدأت هجرتي من بغداد الى تركيا، بجوازٍ عراقي ولكنه باسم اخر حذراً من الملاحقة الامنية، وهاجرت الى تركيا، من بغداد في المنشأة العامة لنقل الركاب، وكان هناك امرأة في المنشأة متبرجة غير محجبة.

وحينما دخلنا الحدود التركية ونجوت من نظام البعث والحمد لله التفت الى هذه المرأة وانا مازلت في المنشأة، قلت لها انت امرأة جليلة، من تكوني؟

قالت: انا استاذة علوم التاريخ في جامعة بغداد آتي من أنقرة اسبوعيا الى بغداد أدرس في جامعة بغداد بالاسبوع يومين، درس علوم التاريخ تاريخ اسلامي طبعاً، وارجع.

قال ابن أبي الحديد: قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما (١) واتفق المحدثون كافة على روايته. (غاية المرام - السيد هاشم البحراني - ج ٦ - الصفحة ٩٥)

^١ غَزَرَ الحكم و دُرُرُ الكلم أبي الفتح الأمدي الإمامي

٣٦٨ شرح دعاء الافتتاح

اذن هي امرأة لديها معلومات جيدة، شخصيتها ايضاً جيدة ولكنها متبرجة؟

جيد قلت لها انت مع هذا التخصص العلمي في التاريخ الاسلامي لماذا انت غير محبة؟

ماذا اجابتي؟ انظروا الى معركة الوعي واللاوعي (ان هذه القلوب اوعية خيرا أو عاها) وليس مجرد قراءة القرآن، والقرآن يقول: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ^(١)، ولكن انظروا الى هذه الاستاذة ماذا قالت؟. كأن هذه المرأة التي هي استاذة جامعية لم تقرا هذه الاية؟ ماذا قالت لي؟

قالت: والله انا كنت محبة، ولكن استخرتُ الله تعالى بالقرآن ان اترك الحجاب فطلعت الخيرة زينة!!؟

(طلعت الخيرة زينة) ونزعت الحجاب، هذا سلاح الجهل وتسطيع الوعي، هي استاذة جامعية وتقرأ القرآن الكريم وهو يقول: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ^(٢)، هذا كله تناسته؟ استخارت ان تترك الحجاب. طلعت الخيرة زينة!!؟

هل يمكن ان يستخير الانسان على معصية؟ هل يمكن لأحد ان يستخير الله مثلاً في شرب الخمر او السرقة او الزنا؟

اذن نحن نحتاج الى المزيد من الوعي الديني والوعي السياسي، لان عمرو بن العاص عندما تغلب، تغلب من خلال سلب الوعي السياسي، هكذا يزيد وابن زياد ايضاً، سلب الوعي السياسي والديني من الناس، والناس تركوا مسلم بن عقيل وحده وقالوا: (مالنا والدخول بين السلاطين).

^١ سورة النور الاية ٣١

^٢ سورة النور الاية ٣١

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٦٩

الشيعة هم الاكثر وعياً:

اليوم نحن بحاجة الى ترسيخ الوعي السياسي والديني في شعوبنا وامتنا، وانا اعتقد واقولها لكم بان اكثر الشعوب وعياً دينياً وسياسياً على طول التاريخ هم شيعة اهل البيت.

ولهذا سمّوهم بالرافضة، ولهذا قُتلوا، على طول التاريخ.

جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) عندما سأل أحد أصحابه كيف أنتم؟

قال: سيدي نحن شر الناس.

قال له: ماذا تقول؟

قال: والله نحن شر الناس عند الناس، قتلونا ذبحونا يسموننا رافضة.

هذا وعي سياسي رفض الخضوع لسلطان الجور.

قال له الامام (عليه السلام): والله هذا اسم نَحْلُكم الله اياه.

فان اصحاب موسى سموا رافضة لانهم رفضوا حكم فرعون ، وهو لقب ادخره الله لكم^(١) .

رافضة يعني الوعي السياسي ، هم شيعة اهل البيت (عليهم السلام).

ولهذا نقرا في دعاء الافتتاح: (اللَّهُمَّ مَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَا، وَمَا قَصَرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَا).

^١ المحاسن للبرقي ص ١٥٧/ح ٩٠

..... ٣٧٠ شرح دعاء الافتتاح

المحاضرة السابعة والعشرون:

(اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهٍ شَعْنَنَا، وَاشْعَبْ بِهٍ صَدْعَنَا، وَارْتُقْ بِهٍ فَتَقْنَا،
وَكَثِّرْ بِهٍ قِلَّتَنَا، وَأَعِزِّزْ بِهٍ ذِلَّتَنَا، وَأَغْنِ بِهٍ عَائِلَتَنَا، وَأَقْضِ بِهٍ
عَنْ مَغْرَمِنَا، وَاجْبُرْ بِهٍ فَقْرَنَا، وَسُدِّ بِهٍ خِلَّتَنَا، وَيَسِّرْ بِهٍ عُسْرَنَا،
وَبَيِّضْ بِهٍ وُجُوهَنَا، وَفُكِّ بِهٍ أَسْرَنَا، وَأَنْجِ بِهٍ طَلِبَتَنَا، وَأَنْجِزْ
بِهٍ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهٍ دَعْوَتَنَا وَأَعْطِنَا بِهٍ سُؤْلَنَا، وَبَلِّغْنَا
بِهٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا، وَأَعْطِنَا بِهٍ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ
الْمَسْئُولِينَ وَ أَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، اشْفِ بِهٍ صُدُورَنَا، وَأَذْهَبْ بِهٍ
غَيْظَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا بِهٍ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ
تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَ أَنْصُرْنَا بِهٍ عَلَى عَدُوِّكَ
وَعَدُونَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ).

*دعاء يجمع هموم المسلمين.

*التوسل بصاحب العصر عليه السلام.

*معاني التوسل به.

*هل يجوز التوسل بغير الله تعالى

شرح دعاء الافتتاح	٣٧٢
-------------------------	-----

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٧٣

اثنا عشر مسألة:

هذه اثنا عشر مسألة من الله تبارك وتعالى، في هذا المقطع من الدعاء في ختام دعاء الافتتاح.

ليس لدينا مشكلة في البحث اللغوي فالعبارات واضحة.

(اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهٍ شَعْنًا)، الشعث هو الفرقة.

فنحن نسال الله تعالى ان يجمع بصاحب العصر والزمان ﷺ شملنا،

(اشْعَبْ بِهٍ صَدْعًا) يعني إجمع؟ والشعب بمعنى الجمع، (اشعب به

صدعنا)، اجمع به هذه التصدعات.

(ارْتُقْ بِهٍ فَتَقْنَا) الفتق هو الانقسامات الداخلية الناعمة والتصدع اكبر

منها، انت الحمها يا الهي ببركة صاحب العصر والزمان ﷺ.

(وَكَثَّرْ بِهٍ قَلْتَنَا)، (وَأَعَزَّ بِهٍ ذَلْتَنَا)، العبارات واضحة لا تحتاج الى

شرح لغوي، لكن لدينا هنا اكثر من محور للحديث.

دعاء يجمع هموم المسلمين:

المحور الاول: ان هذه المسائل الاثني والعشرين هي مسائل

مجتمعية، وليست فردانية، (الْمُ بِهٍ شَعْنًا، اشعب به صدعنا، اغن به

عائلنا، اجبر به فقرنا، سد به خلتنا)، هي ادعية ومسائل من الله تعالى

للجميع، يمكن أن نسميها (مسائل مجتمعية) بعضها في الشأن الاقتصادي،

(أَغْنِ بِهٍ عَائِلَنَا)، (اجْبُرْ بِهٍ فَقْرَنَا)، بعضها في الشأن السياسي، (انْصُرْنَا

بِهٍ عَلَى عَدُوِّكَ وَ عَدُوَّنَا)، (اشْفِ بِهٍ صُدُورَنَا، وَأَذْهِبْ بِهٍ غَيْظَ قُلُوبِنَا)

(أَعَزِّزْ بِهٍ ذَلْتَنَا).

هذه ادعية مجتمعية في الشأن الاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي

والسياسي في اثني وعشرين سؤالاً من الله تبارك وتعالى في ختام هذا

الدعاء.

الملاحظة يا سادتنا الكرام انها جميعاً في اطار مجتمعي للامة،

للمجتمع، لمستقبلنا، مستقبل امتنا.

٣٧٤ شرح دعاء الافتتاح

هذا هو الدعاء الرائع، بعيداً عن القضايا الشخصية، وتلك أيضاً مطلوبة، (ربنا آتينا في الدنيا حسنة)، ولكن الدعاء الآن يسلط الضوء على الهموم المشتركة اقتصادية، اجتماعية، سياسية كما قرأتم النصوص الواضحة عندكم.

حينما نقول (أَنْصُرْنَا بِهِ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا)، حينما يقول (وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا)، فإن الله تبارك وتعالى قال: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} (١).

هذا هو الوعد الالهي للامة الاسلامية، النصر العالمي.

اذن نحن امام نمط خاص من الدعاء، في تربيتنا، كيف نحمل هموم العالم الاسلامي، وهذه قضية جداً مهمة يا ساداتنا الكرام، ان الانسان بدل همه الشخصي الذاتي الاناني يتحول الى (الدُّعَاءُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَ الْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ)، قائداً يحمل همَّ أمته، هكذا يجب ان يكون كل واحد منا.

التوسل بصاحب العصر ﷺ:

المحور الثاني الذي سوف أسلط الضوء عليه وأقف عنده هو قضية (به).

هذه اثنان وعشرون مسألة كلها نتوسل الى الله تعالى (به) اَللّهُمَّ الْمُمْ (به) شَعْنَنَا، وَ اشْعَبْ (به) صَدْعَنَا، وَ ارْتُقْ (به) فَتَقْنَا وهكذا...، هذا أمر ملفت للنظر، واكثر من تفسير يمكن ان نقدمه لهذه الظاهرة، ظاهرة التوسل (به) عجل الله تعالى فرجه الشريف.

التوسل (له) والتوسل (به):

مرة نتوسل للامام صاحب الزمان ﷺ، ومرة نتوسل بالامام صاحب الزمان ﷺ.

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٧٥

نحن في المقاطع السابقة كنا نتوسل لصاحب الزمان عليه السلام عندما نقول: (وَانْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا)، (وَأَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا)، (وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)، (وَحُفَّهُ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ)، (وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ).

أما الآن فنحن نتوسل به لصالح الأمة الإسلامية وتحقيق أمانيتها، فتحولت القضية من نتوسل له عليه السلام الى نتوسل به عليه السلام، هذه ظاهرة جديدة ، ظاهرة التوسل بامام العصر والزمان عليه السلام الى الله في هذه المطالب المجتمعية.

معاني التوسل به:

هذا التوسل بامام زماننا عليه السلام كيف نفسره؟

له ثلاثة معاني وهي ليست مانعة الجمع، بل كلها في وقت واحد قد تكون صحيحة.

المعنى الاول: (بظهوره) حينما نقول (اللَّهُمَّ اَلْمُمْ بِهِ شَعْنًا)، اي ياإلهي بظهور صاحب العصر اجمع به شملنا وانصرنا على عدونا، وبظهوره اجبر به فقرنا وهكذا، لماذا؟

لان كل الروايات الثابتة تقول ان عصر الظهور هو عصر مليء بالبركات والامان، والمليء بالعدالة والايمان، وعصر ظهوره هو عصر الامان المطلق (حتى تمشي المرأة من العراق الى الشام لاتخاف احدا)^(١)،

^١ الخصال : ص٦٢٦ علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب ما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ، وتحف العقول : ص١١٥ أدابه عليه السلام لأصحابه وهي أربعمئة باب للدين والدني (ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ، وأخرجت الأرض نباتها ، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد ، واصطلحت السباع والبهائم ، حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات ، وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه) (المحقق)

٣٧٦ شرح دعاء الافتتاح

وتذكر الروايات قضايا عجيبة تقول حتى (تصطلح السباع)(١)، وهو تصوير على مدى عمق الامان الذي سيكون في العالم.

وهكذا الرفاه الاقتصادي الهائل، حيث تظهر بركات السماء والارض (حتى تقدم البضائع والمؤن ويقال خذوا، فلاأحد يأخذ لعدم وجود الفقراء)، الرفاه الاقتصادي، الامن، العز الاسلامي، {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (٢)، الدين الاسلامي هو الحاكم في العالم يومئذ.

اذن نحن الان نتوسل الى الله تبارك وتعالى نقول: الهي(بظهور) صاحب العصر حقق لنا هذه الاماني، الامن، والثراء، فنحن الان بدون ظهوره علينا ذل، وهوان، وحرب، ولكن بظهوره سنكون اعزاء، سنكون نحن الاقوياء، ونحن المنصورون.

اذن المعنى الاول (به) معناه بظهوره، (المم به فرقنا واجمع به شملنا)

كيف يجتمع الشمل؟

حينما يحدد الامام الحجة المسار الذي لا يختلف به اثنان، الذي يسير به الجميع على سكة واحدة، هناك سوف يجتمع الشمل وتنعدم الفرقة. فالدعاء الان هو الدعاء بالتعجيل بظهوره ﷺ.

الى ان يقول: (وَإِهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ)، فلاتوجد يومئذ خلافات مذهبية، او طائفية، او دينية، ويكون الدين لله، {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} (٢).

^١ بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٩. (قال الامام ﷺ: «لو قد قام قائمنا... و لذهبت الشحنة من قلوب العباد، و اصطلحت السباع و البهائم)(المحقق)

دعاء الامام السيد محسن الحكيم:

عندما يقول (اَهْدِنَا بِهٖ لِمَا اخْتُلِفَ) ذكرني بقصة عن الامام السيد محسن الحكيم رضوان الله تعالى عليه كان يقول، انا عندما ابحت مسألة فقهية واتطلع الى الاراء واريد ان اصل الى الراي الصحيح، ادعو بهذا الدعاء : (اللهم اهدنا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ اِنَّكَ تهدي من تشاء الى صراط مستقيم)، هو فقيه ولكن يطلب من الله السداد، وانتم ايضا عندما تمررون في اي موقف لاتخاذ قرار مغيب أو مسألة علمية إقرأوا هذا الدعاء (اللهم اهدنا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ اِنَّكَ تهدي من تشاء الى صراط مستقيم).

تحقيق الاماني بظهوره:

متى تشفي صدورنا؟

بظهوره، (اِشْفِ بِهٖ صُدُورَنَا)، ولهذا نقرا في دعاء الندبة: (مَتَى تَرَانَا وَتَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِيَوَاءِ النَّصْرِ تُرَى، اَتَرَانَا نَحْفُ بِكَ وَأَنْتَ تَأُمُّ الْمَلَأَ)^(١). اذن كل هذا بظهوره (اِشْفِ بِهٖ صُدُورَنَا، وَأَذْهَبْ بِهٖ غَيْظَ قُلُوبِنَا)، هذا المعنى الاول.

المعنى الثاني (ببركات وجوده) ليس بظهوره، وانما ونحن الان وقبل ظهوره نتوسل الى الله تبارك وتعالى بالامام عليه السلام، وببركات وجوده الشريف وبمنزلته عند الله تعالى ان يلم شملنا ويوحد كلمتنا وينصرنا. نتوسل الان بامام العصر والزمان ﷺ بوجوده، ليس بمعنى بانتظار الظهور فقط، بل الان نسال الله تعالى، كما ندعوا في دعاء التوسل ونقول: (يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا إِمَامَ الرَّحْمَةِ يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَاتِنَا يَا وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ اِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.....)^(٢).

^١ مفاتيح الجنان للقي/ دعاء الندبة

^٢ مفاتيح الجنان للقي/ دعاء التوسل

هو لاء أعطاهم الله كرامة عنده .

التوسل ليس بظهوره وانما به وقبل ظهوره، هناك اشخاص مكرمون، وهناك أماكن مكرمة ، نحن نتوسل الى الله تعالى بالكرامة التي لهؤلاء.

في زيارة أمين الله ماذا نقراء، نقول:

(بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِغْفِرْ لِأَوْلِيَانِنَا وَكُفِّ عَنَّا أَعْدَانِنَا وَاشْغَلْهُمْ عَنَّا أَذَانِنَا وَأَظْهِرْ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَاجْعَلْهَا الْعُلْيَا وَأَنْحِضْ كَلِمَةَ الْبَاطِلِ وَاجْعَلْهَا السُّفْلَى إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١).

هل يجوز التوسل بغير الله تعالى:

هنا يأتي بحث عقائدي فقهي، هل يجوز التوسل بغير الله تعالى؟

نعم، العبادة لله تعالى وحده، لكن ماهو الطريق الى الله تعالى؟
لاشك أن الانبياء والرسل هم طريقنا الى الله تعالى هذه من البديهيات القرآنية ولا يحتاج الى بحث فيها.

اخوة يوسف عليه السلام ماذا قالوا: {يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}(٢)، نريد ان

نتوسل الى الله بك، قال يعقوب عليه السلام : {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي}(٣).

اذن لامانع من التشفع بالمخلوقين أصحاب الكرامة عند الله تعالى ، وهكذا القران الكريم حينما يقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً}(٤)، يارسول الله لو ان المذنبين الذين ظلموا انفسهم جاؤوك لتستغفر لهم، هنا الرسول وسيط، الرسول شفيع، وحينئذ فان الله تعالى تواب رحيم باستغفار الرسول {لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً}(٥)، والقضية لا تحتاج الى جدل كثير .

^١ مفاتيح الجنان للقمي/ زيارة امير المؤمنين عليه السلام المعروفة بزيارة امين الله

^٢ سورة يوسف الاية ٩٧

^٣ سورة يوسف الاية ٩٩

^٤ سورة النساء الاية ٦٤

^٥ سورة النساء الاية ٦٤

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٧٩

كل البشرية وكل الاديان الالهية تؤمن بهذا، مبدأ التشفع الى الله تعالى وطلب رضائه من خلال اوليائه واحبائه، حتى النواصب الوهابيين ايضا يتوسلون الى الله تبارك وتعالى بالكعبة ويتمسحون بجدار الكعبة والحجر الاسود .

ورد عن الامام الصادق (عليه السلام):

(مرَّ عمر بن الخطاب على الحجر الأسود، فقال: والله يا حجر! إنا لنعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع! إلا أنا رأينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبك، فنحن نحبك).

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): كيف يا بن الخطاب؟ فوالله، ليبعثه الله يوم القيامة، وله لسان وشفتان، فيشهد لمن وافاه، وهو يمين الله في أرضه، يبايع بها خلقه.

فقال عمر: لا أبقانا الله في بلد لا يكون فيه علي بن أبي طالب^(١).
هذا الحجر اذن له عند الله تبارك وتعالى منزلة لا نعلمها، ولهذا يعتقد جميع المسلمين باستحباب تقبيله والتمسح به وتقول (تشهد لي بالموافاة غداً^(٢)، هذا ليس عبادة للحجر.

المعنى الثالث: واسطة الفيض

ما زال البحث في معنى (به) التي جاءت في هذا المقطع من الدعاء وقد ذكرنا لها معنيان فيما سبق .

والان لنبدأ بشرح المعنى الثالث.

العرفاء واصحاب السير والسلوك هؤلاء يتحدثون بلغة اخرى، هؤلاء يقولون ان الائمة الاطهار (عليهم السلام) بدءاً من النبي (صلى الله عليه وآله) ثم الائمة (عليهم السلام) ثم امامنا صاحب العصر والزمان (عليه السلام) هؤلاء هم واسطة في الفيض.

^٢ علل الشرائع: ٤٢٦ / ٨

^٢ الدعاء عند تقبيل الحجر

الفيض الالهي يعني انتشار الوجود والرحمات والتكامل الوجودي، كل ذلك بواسطة النبي الاكرم ﷺ، بواسطة وجوده الشريف في عالم الحقيقة المحمدية الكبرى قبل هذا الخلق. كل انكشاف وجودي، وكل ظهور، وكل تجلٍ لله تبارك وتعالى في خلقه، انما كان من خلال نور نبينا O والائمة الاطهار ﷺ، هذا يسموه (واسطة في الفيض)، ويستندون في ذلك الى روايات سبق استعراض بعضها، تقول:

(اول ما خلق الله نوري فسبحنا فسبحت الملائكة، وهللناه فهللت الملائكة)^(١)، وانه قد انبثق من ذاك النور سائر الموجودات كلها من السماوات والارضين.

هذه اسمها نظرية (الواسطة في الفيض).

ويقول عرفاء الاسلام:

(الحقيقة المحمدية هي التي تجلّت في صورة العالم، والعالم من الذرة الى الدرة ظهورها وتجليها)^(٢)، ولهذا نقرأ الان في زيارة الجامعة الكبيرة: (بكم فتح الله. وبكم يختم. وبكم ينزل الغيث).

وكما نقرأ في القرآن {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ^(٣)، فالماء هو الواسطة في حياة الارض، هكذا النبي ﷺ واله ﷺ واسطة في ظهور التجليات الالهية.

(بكم ينزل الغيث)، (وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض)، يعني بوجودهم الله تبارك وتعالى يُمطر السماء، ويُمسك السماء ان تقع الارض وهكذا حركة الافلاك وحركة المجرات كل هذا انما هو بواسطة نور النبي الاول (اول ما خلق الله).

^١ راجع المحاضرة العشرون

^٢ مصباح الهداية/ الامام الخميني/ ص ٥٧ نقلا عن شيخ مشايخنا آقا محمد رضا القمشه اي

^٣ سورة فصلت الآية ٣٧

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٨١

ونقرأ في ادعية شهر رجب، (بكم يجبر المهيض ويشفي المريض، وما تزداد الارحام وما تغيض)، ومعنى ذلك انهم الواسطة في الفيض الالهي (بكم يجبر المريض، ويشفي المريض)، (وما تزداد الارحام وما تغيض) من خلال نورهم في اعلى عليين.

فنحن الآن في هذا المقطع من الدعاء نتوسل الى الله تعالى بصاحب العصر والزمان عليه السلام أن يفيض علينا من خلال وجوده الشريف تلك المسائل.

شرح دعاء الافتتاح	٣٨٢
-------------------------	-----

المحاضرة الثامنة والعشرون:

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ غَيْبَةَ وَلِيِّنَا،
وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَ قَلَّةَ عَدَدِنَا، وَ شِدَّةَ الْفِتَنِ بَيْنَا، وَ تَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا،
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ،
وَ بَصَرٍ تُكْشِفُهُ، وَ نَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَ سُلْطَانٍ حَقٌّ تَظْهَرُهُ،
وَ رَحْمَةٍ مِنْكَ تَجْلِلُنَاهَا، وَ عَافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُنَاهَا،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

*ثقافة الشكوى الى الله تعالى.

*الخسارة الكبرى.

*لماذا الغيبة؟

*الفتح العاجل.

*علاقتنا مع الامام (عليه السلام).

*نهاية المطاف.

..... ٣٨٤ شرح دعاء الافتتاح

اليوم نحن في المقطع الاخير من دعاء الافتتاح، يتلخص هذا المقطع في الشكوى الى الله تبارك وتعالى، وبيان ما هي اعظم همومنا، هذا التلخيص لحياة الانسان وعلاقته مع الله تعالى وما هي اهدافه القصوى، حيث توجد للانسان اهداف شخصية ذاتية ، ولكن الاهداف الكبرى هي التي يحددها لنا اليوم دعاء الافتتاح بطريقة الشكوى الى الله تعالى.

الله تعالى يسمع الشكوى وهو قريب من المؤمن، حيث يقول: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} (١)، كم هو جميل!؟ الله يقول: يا محمد هذه المرأة التي جاءتك تشتكي، انا قد سمعت الشكوى، فالشكوى الى الله تعالى إذن هي شكوى مسموعة.

ثقافة الشكوى الى الله:

لاحظوا ثقافة الدعاء الجميلة. يقول الامام زين العابدين (عليه السلام) في المناجاة: الهي اليك اشكو، ماذا يشكو؟ لا يشكو فقراً، لا يشكو مرضاً، (اليك اشكو نفساً بالسوء اماره، وبالخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة تسرع بي الى الحوبة، وتسوف لي التوبة، كثيرة العلل، طويلة الامل، ان مسّها الخير تمنع، وان مسّها الشر تجزع) (٢)، هذه شكوى جميلة الى الله تبارك وتعالى. الادعية هكذا تتقننا، ان نشكو الى الله، الشكوى هي علامة محبة وعشق وتواصل، مع الله تبارك وتعالى.

ماذا قال يعقوب (عليه السلام) عند فقد يوسف (عليه السلام)؟ لجأ الى الله تعالى وقال: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣).

ثقافة الشكوى هذه هي التي يتحدث عنها الامام الحسين (عليه السلام) حين يقول: (اشكو اليك غربتي وبعد داري وهواني على من ملكته امري) (الهي إلى مَنْ تَكَلَّنِي، إِلَى قَرِيبٍ يَقْطَعُنِي، أَمْ إِلَى أَبْعَدٍ فَيَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ

^١ سورة المجادلة الآية ١

^٢ الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين (عليه السلام) - الصفحة ٤٠٣

^٣ سورة يوسف الآية ٨٦

لِي وَ أَنْتَ رَبِّي وَ مَلِيكُ أَمْرِي، أَشْكُو إِلَيْكَ غُرْبَتِي وَبُعْدَ دَارِي وَهَوَانِي عَلَى مَنْ مَلَكَتَهُ أَمْرِي(١).

هذا شعور عظيم ان يشعر الانسان بالغربة والوحشة والفقر والضعف حتى وهو في أعز احواله، حتى وهو سلطان، حتى وهو خليفة، هذه الثقافة هي ثقافة الائمة الاطهار عليهم السلام، ثقافة دعاء الامام زين العابدين عليه السلام (ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي، وَفِي الْقَبْرِ وَحْدَتِي، وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي ، وَإِذَا نُشِرْتُ لِلْحِسَابِ بَيِّنٌ يَدِيكَ ذُلٌّ مَوْفِي(٢)).

(ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي)، نستشعر دائماً اننا في هذه الدنيا غرباء، مهما ملك الانسان وهو في اسعد الحالات لكن يقول: (ارْحَمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غُرْبَتِي)، المؤمن في الدنيا غريب، لان الآخرة هي دار القرار، انما نحن الان في سفر، نحن مفارقون، نحن راحلون، هناك ملتقانا، ولهذا يجب ان نستشعر دائماً الغربة، والوحدة والضعف في هذه الدنيا، الضعف الشخصي فضلاً عن الضعف العام.

الخسارة الكبرى:

(اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبِينَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةً وَلِينًا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهُرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا).

علينا ان ندرك ونعرف ان من اعظم الخسائر هي غيبة ولينا وامامنا عنا.

هذه خسارة ولا أكبر منها؟ بعد فقد نبينا عليه السلام.

تصوروا امة انسانية كاملة بلا امام، هذه خسارة كبرى، نحن رعية بلا راعي، راعينا غائب. امامنا غائب. (نشكو اليك غيبة ولينا)، طبعاً هنا لن نبحت بحثاً عقائدياً حول غيبة الامام المهدي عليه السلام، والتي تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة الاطهار عليهم السلام.

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي / دعاء عرفة

^٢ مفاتيح الجنان للقمي/دعاء ابي حمزة الثمالي عن الامام السجاد عليه السلام

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٨٧

رسول الله ﷺ يقول: (المهدي من ولدي تكون له غيبة تضل فيها الامم)(١).

الامام الصادق عليه السلام يقول فيما روي عنه: (والله ليغيبن امامكم سنيماً من دهركم، حتى يقال مات او هلك في اي وادٍ سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفؤن كما تكفأ السفن في امواج البحر، فلا ينجو الا من اخذ الله ميثاقه، وثبت في قلبه الايمان وايدّه بروح القدس)(٢).

هذا هو مفهوم الغيبة، رسول الله ﷺ تنبأ به، الائمة الاطهار حدثونا عنه حتى يقال (مات او هلك في اي وادٍ سلك).

لماذا الغيبة:

يوجد هنا بحث عقائدي اشير له اشارة سريعة.
(دونالستون) وهو أحد الكتاب الغربيين لديه كتاب اسمه (عقيدة الشيعة)، يستعرض فيه عقائد الشيعة ويناقشها، ومن جملة ما يستعرضه قضية الامام المهدي عليه السلام ثم يناقشها ويقول: لماذا لا يظهر اذا كان موجوداً لا في سراء الشيعة ظهر، ولا في ضرائهم، لا في سراء المسلمين وانتصاراتهم، ولا في مشاكلهم، وما جرى عليهم من بلاء!!!

اذن ما معنى ادخار الامام المهدي وغيبته؟ ومفائدة وجوده؟ لا في انتصاراتهم حضر ليشاركهم، ولا في هزائمهم حضر لينصرهم!!

لاحظوا هذه علامة استفهام، اذن لا وجود للامام المهدي عليه السلام، هذه هي شبهة يذكرها المستشرقون، لكن هي شبهة غير صحيحة.

جوابنا عليها بشكل موجز، اولاً وثانياً.

^١ حياة الإمام المهدي عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي - ج ١ - الصفحة ١٧٤

^٢ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٣٣٦

الجواب الاول: نعتقد ان هذه اسرار الهيّة، الغيبة سرّ الهي، الظهور سرّ الهي، النبوة سرّ الهي، لا نستطيع نحن ان نضع بوصلة لهذه الاسرار الالهية، متى يبعث الله نبياً؟

احياناً وخلال خمسمئة عاماً لم يبعث الله نبيا، ما بين عيسى ﷺ ونبينا ﷺ، وما بين موسى ﷺ وعيسى ﷺ ما بعث الله انبياء، لماذا؟

لا ندري، هذه اسرار في النبوة وهكذا الامامة، حمل الامانة الالهية سرّ من اسرار الله تعالى (امناء الله على ارضه)، كيف يتحركون؟ ومتى؟ هذه اسرار، ليس بالضروري ان نعرف تفاصيلها، وخطوطها التفصيلية، لا ليس بالضرورة، مثل النبوة ايضاً، الان يعتقد الجميع ان عيسى بن مريم حي في عالم السماء، كما يقول القرآن: (بل رفعه الله اليه)، جيد كيف نفسر ذلك؟ المسيحي او المسلم؟ كيف يفسر (بل رفعه الله اليه)؟ وان عيسى ﷺ حي في السماء؟ وسينزل الى الارض؟ وهذا هو ما يعتقد به النصاري والغريبيون عموماً كيف نفسر ذلك؟ {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} (١) كيف نفسرها؟ هذه اسرار لا نعلمها، اساساً، فان الدين قائم على أساس الايمان بالغيب، الايمان بالاسرار الالهية، وهي المحركات الاساسية، نحن انما نعيش في المظهر. هذا هو الجواب الاول.

الجواب الثاني: عدم توفر شروط النصر العالمي.

الامام صاحب العصر والزمان ﷺ انما يظهر عند توفر شروط النصر العالمي.

كيف ستكون المعركة؟ كيف تدار؟ ما هي الاليات؟ لا نعلمها، لكن بلا شك لابد من توفر شروط النصر العالمي التي في ضوئها يأذن الله تبارك وتعالى لوليه بالفرج.

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٨٩

صور من الشكوى:

نرجع الى الشكوى الى الله تعالى.

الامام امير المؤمنين عليه السلام يشكو الى الله تبارك وتعالى كما في دعاء كميل:
(يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكْوَتُ أَحْوَالِي، يَا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنتِي، يَا خَبِيراً بِفَقْرِي
وَفَاقَتِي) (١)، هذا من جمال العلاقة مع الله.

الشكوى تعني ماذا؟

الشكوى تعني بث الهم لمن تحب، ولمن تثق به، ولمن نأمل منه المساعدة.

انت تتكلم مع من يعلم مافي قلبك؟ في نفس الوقت الثقة بان هذا
المشتكى اليه قادر على ان يعالج موقفك.

الامام علي عليه السلام في شدة المعارك يرفع يده بالدعاء فيقول: (يا من اليه
شكوت احوالي، يا عليما بضري ومسكنتي).

الشكوى تمثل جمال العلاقة والتواصل مع الله تبارك وتعالى، حينئذ
ماذا يقول دعاء الافتتاح؟

يقول: (نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا صَلَوَاتَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا، وَكَثْرَةَ
عُدُونَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا).

الفتح العاجل:

والان بعد هذه الشكوى ماذا نريد من الله؟

نريد منك ياإلهنا: (فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ
تُعَجِّلُهُ)، همنا الكبير الذي نشكوه الى الله تبارك وتعالى هو هم الدين، هذا
ما يثقفنا عليه دعاء الافتتاح، ان همكم ايها المسلمون المؤمنون لا يكون
هو الهم الشخصي بل هو هم الدين والاسلام والمسلمين.
لاحظوا ماذا يقول الحديث الشريف؟

^١ مفاتيح الجنان للشيخ القمي/ دعاء كميل المروي عن امير المؤمنين عليه السلام

٣٩٠ شرح دعاء الافتتاح

يقول الامام الصادق عليه السلام : (نَفْسُ المَهموم لظلمنا تسبيح)^(١).
ان الانسان يهتم لمصيبة اهل البيت عليهم السلام، يعني لمصيبة ائمة المسلمين، يعني لمصيبة الامة الاسلامية التي ضيعت حظها، (نَفْسُ المَهموم لظلمنا تسبيح)، ماذا يعني ذلك؟
يعني يجب ان نحمل همّ مظلومية الدين، ومظلومية ائمة الدين، هذا هو همنا الكبير، وهذا هو الادب الذي يؤدبنا عليه ائمتنا عليهم السلام.
الان بعد هذه الشكوى، ماذا نريد منك يا الهنا؟
نريد منك (بِفَتْحِ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ)، الفتح من الله تعالى، الهي نحن غير قادرين، (شِدَّةُ الْفِتَنِ بِنَا، وَكَثْرَةُ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةُ عَدَدِنَا).
الان يا شبابنا لاحظوا ماذا يفعل الاستكبار العالمي خلال الحرب الصلبة والحرب الناعمة؟
قد نكون الآن في العراق احسن حالاً من كثير من الشعوب في فقرها، في الحصار عليها، في ذبحها.
ماذا يجري على المسلمين؟
بالامس ماذا جرى في مدينة من مدن افغانستان، حيث قتل وجرح مئات من البنات الصغيرات في مدرسة، وكان ذنبهم أنها مدرسة تحمل اسم (سيد الشهداء)، زاد القتل على تسعين والجرحى على اكثر من ذلك، ما ذنب هؤلاء؟^(٢)
في فلسطين ماذا يجري من الهجوم على المسجد الاقصى؟ في اليمن ماذا يجري؟

^١ الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ٢٢٦

^٢ الحادثة وقعت بتاريخ ٢٠٢١/٥/٩ حيث وقع الحادث أثناء مغادرة الطلاب المدرسة راح ضحيته ٥٠ قتيلاً، معظمهم فتيات، وأكثر من ١٠٠ مصاب (نقلاً عن الوكالات الاخبارية في المواقع الالكترونية)

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩١

العالم الاسلامي يعيش (وَكثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا، وَتَظَاهَرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا)، يا الهنا نريد منك (فَتِّحْ مِنْكَ تُعَجِّلْهُ)، الفتح والنصر العاجل من الله تعالى.

هذه هي الحقيقة التي يجب ان نستلهمها دائماً، الفتح ليس ببدينا، وانما هو من الله تبارك وتعالى، النصر من الله، {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} (١). اذكر اني في مثل هذه الايام من شهر رمضان عام ١٩٧٩م كنت في السجن في بغداد ومحكوم عليّ بالاعدام في غرفة صغيرة انظر من نافذة صغيرة في أعلى الغرفة ويظهر لي من هذه النافذة أبراج مديرية الامن العامة في بغداد، يومئذ كان صدام في عفوانه وانا سجين وحيد وغريب، كنت انظر هذه الابراج العملاقة وهذه القدرات الامنية، واقول: كيف نستطيع ان نسقط هؤلاء؟ نحن نريد ان نسقط هذا النظام، ونخلص الشعب العراقي منه، لكن كيف ذلك؟

هنا تأتي قصة الثقة بنصر الله تبارك وتعالى (بِفَتْحِ مِنْكَ تُعَجِّلْهُ)، وليس منا، نحن لانستطيع، الفتح هو من عند الله تعالى (وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحِ مِنْكَ تُعَجِّلْهُ)، وما النصر الا من عند الله، هذه ايضا معالجة نفسية لنا، هذه ايضا ثقافة لنا، نحن دائماً يجب ان نشكو الى الله، نلجأ الى الله، لا نشق ولا نعتز بانفسنا ولا بقوانا، نحن غير قادرين ابدأً، (وما ألنصر الا من عند الله).

في معركة (حنين) يحدثنا القرآن الكريم أنه كان عدد المسلمين اثني عشر الف مقاتل، وأمامهم قبيلة هوازن وثقيف زاعدادهم أقل من عدد المسلمين، لكن القرآن يقول : {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} (٢). حيث قال جمع من المسلمين (انا لا نُغْلِبُ اليوم من قِلَّة)، نحن اثنا عشر الف، وعدونا أقل من عندنا، {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

^١ سورة ال عمران الآية ١٢٦

^٢ سورة التوبة الآية ٢٥

شَيْئاً} (١)، فقد هُزِمَ المسلمون {وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} (٢).

بعد ذلك نادى العباس وكان مع النبي ﷺ، (يا اهل بيعة العقبة يا أصحاب بيعة الشجرة)، جاؤوا حينئذٍ حيث يقول القرآن الكريم: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا} (٣).
ماذا كانت مشكلة المسلمين هنا؟ المشكلة هي اصابتهم بالغرور، قالوا (لن نُغْلَبَ من قَلَّةٍ)، نحن كثرة ولن نُغْلَبَ، لكنهم غلبوا وولّوا مدبرين !!
لهذا يقول الدعاء: (وَأَعِزَّنَا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحِ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضَرْ تُكْشِفُهُ، وَنُصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطَانٍ حَقٌّ تُظْهِرُهُ)، فلا بد من العون الالهي لان النصر منه تعالى لامن غيره.

نحن ننتظر سلطان الحق، ننتظر قيام الامام الحجة ﷺ، وقيام الدولة الاسلامية العالمية.

هذا تلخيص لهمومنا، وهكذا يجب ان يكون المؤمن حاملاً اللهم الاكبر .

علاقتنا العاطفية مع الامام؟

هل من معينٍ فاطيل معه البكاء؟

علاقتنا مع الامام المهدي ﷺ ليست علاقة نظرية، يجب ان تكون علاقة قلبية وجدانية، علاقة حب، علاقة عشق، علاقة تواصل مستمر، (لَيْتَ شِعْرِي اِنْ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى بَلْ اَيُّ اَرْضٍ تُقَالُكَ اَوْ تُرَى؟ عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ اَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى)، عزيز علينا ان نعيش وإمامنا غائب لا نراه (عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ اَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيساً وَلَا نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلْوَى وَلَا يَنَالُكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى)، (عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ اُجَابَ دُونَكَ وَأَنَاغَى)، (عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ اُبْكِيكَ وَيَخْذُلَكَ الْوَرَى)، (عَزِيزٌ عَلَيَّ اَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى)، (هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ

^١ سورة التوبة الاية ٢٥

^٢ سورة التوبة الاية ٢٥

^٣ سورة التوبة الاية ٢٥

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩٣

وَالْبُكَاءُ)، (هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا)، (هَلْ قَذِيتَ عَيْنٌ
فَسَاعَدَتْهَا عَيْنِي عَلَى الْقَذَى)، (هَلْ إِلَيْكَ يَا بَنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى؟)
هذا هو التواصل الحي والساخن مع صاحب العصر عليه السلام، هذا الاستشعار
الحزين لغيبه امامنا، واننا نبحت عنه ونريد لقاءه، (مَتَى تَرَانَا وَتَرَكَ وَقَدْ
نَشَرْتَ لَوَاءَ النَّصْرِ؟) يا ابن رسول الله يا صاحب الامر انظر حالنا، انظر
شدة الفتن بنا، انظر تظاهر الزمان علينا.
(مَتَى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذَابِ مَاثُكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى)، هذا هو نمط التعامل الذي
يعلمنا عليه الدعاء وثقافة الدعاء.

(اللهم فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ،
وَبِضْرٍ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطَانٍ حَقٌّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تَجَلِّلُنَاها،
وَعَافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُنَاها، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

الان نحن نكون قد اتينا على نهاية دعاء الافتتاح، ونكون قد وقفنا على
ابواب توديع شهر رمضان المبارك.
نهاية المطاف:

انا هنا لدي وصية لكم وعندي توديع لشهر رمضان المبارك.
اما الوصية، فهي وصية امير المؤمنين عليه السلام، حيث كان عليه السلام يقول:
(ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما
بنون، فكن من ابناء الآخرة، ولا تكونوا من ابناء الدنيا، فان اليوم عمل ولا
حساب، وغداً حساب ولا عمل).
وصيتي لكم ايها السادة والسيدات، الشباب بالخصوص، (كونوا من
اهل الآخرة)، (اللهم واذا جمعت الاولين والآخرين يوم القيامة فارحمنا)،
هذا هو همنا، هذا هو هدفنا، (وفي النار على وجوهنا فلا تكبنا ومع
الشياطين فلا تغلنا).

كونوا من ابناء الآخرة، هذه وصية الامام علي عليه السلام، ارفعها اليكم يا
سادتنا الكرام، كل واحد يفكر بنفسه انامن اهل الدنيا؟ همومي دنيوية؟ ام
همومي اخروية؟

٣٩٤ شرح دعاء الافتتاح

مقياس واضح كل واحد يعرف نفسه ان همّ دنيوي، أو همّ اخروي،
ليكن ههنا هو همّ الآخرة، كونوا من ابناء الآخرة، ولا تكونوا من ابناء
الدنيا.

أما توديع شهر رمضان المبارك
الامام السجاد عليه السلام يقول:

(السلام عليك يا شهر الله الاكبر، ويا عيد اوليائه).
انت راحل، سلامّ عليك يا شهر رمضان، سلامّ عليك ايها الشهر الحبيب،
سلامّ عليك يا شهر اللقاء مع الله، سلامّ عليك يا شهر الضيافة عند ارحم
الراحمين، نودعك الى السنة القادمة، ونلتقي ان شاء الله، سلامّ عليك من
شهر كريم رحيم، سلامّ عليك من شهر هو عند الله افضل الشهور، ايامه
افضل الايام، رحلت عنا، وهذه المائدة لُفّت ، هنيئاً لمن استطعم من هذه
المائدة.

(السلام عليك يا اكرم مصحوبٍ من الاوقات، ويا خير شهرٍ في الايام
والساعات).

(السلام عليك من مجاورٍ رقت فيه القلوب)، ايُّ مجاور كريم انت؟
اي مجاور طيب انت ؟

ايها الشهر يا شهر رمضان، (السلام عليك من مجاورٍ رقت فيه القلوب
وقلت فيه الذنوب) (السلام عليك من ناصرٍ اعان على الشيطان، وصاحبٍ
سهلٍ سُبُل الاحسان)، اللهم انا اهل هذا الشهر، وقد مضى وانتهى، فاجعلنا
ممن فاز بضيافتك، يا ارحم الراحمين، واجعلنا ممن اعتقته من النار،
ورزقته الجنة، اجعلنا ممن قبلته ضيفاً عندك، يا صاحب المضيف الكبير،
لا تردنا خائبين، يا من لا يرد سائله، ولا يخيب آمله، يا اكرم من سئل،
ويا أجود من أعطى، ارحمنا برحمتك وفرج عنا، وفرج عن امام زماننا،
واجعلنا من انصاره واشياعه والمستشهادين بين يديه، ولا تحرمنا ما
سألناك، بلطفك يا لطيف، بجودك يا جواد، بكرمك يا كريم، (يا من أمر
بالعفو والتجاوز، يا من ضمّن نفسه العفو والتجاوز، يا من عفا وتجاوز

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩٥

اعف عنا وتجاوز)، واعطنا حاجتنا، حاجتنا قليلة، وهي عندك يسيرة، يا
ارحم الراحمين، وصل اللهم على محمدٍ واله الطيبين الطاهرين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٩٦ شرح دعاء الافتتاح

مصادر التحقيق

القران الكريم	
نهج البلاغة	
الاحتجاج	 الطبرسي
الاسرار الفاطمية	 محمد فاضل المسعودي
الاقبال بالاعمال الحسنة	 ابن طاووس
٣٠٠ قصة تربوية	 حسناء القبانجي
امالي	 الطوسي
الامام الصادق (عليه السلام)	 محمد حسن المظفر
الامام المهدي (عليه السلام) في العلم والقرآن والسنة	 صدر الدين القبانجي
انساب الاشراف	 البلاذري
بحار الانوار	 محمد باقر المجلسي
البرهان في تفسير القران	 هاشم البحراني
بلاغة الامام علي (عليه السلام)	 جعفر الحائري
ترجمة الامام الحسين (عليه السلام)	 ابن عساكر
تفسير	 البغوي
تفسير	 القرطبي
تهذيب الاحكام	 الطوسي
ثواب الاعمال وعقاب الاعمال	 الصدوق
جامع السعادات	 محمد مهدي النراقي
حياة الامام المهدي (عليه السلام)	 باقر شريف القرشي
الخصال	 الصدوق
خصائص امير المؤمنين (عليه السلام)	 النسائي
دفاع عن الشريعة	 صدر الدين القبانجي

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩٧

دفاع عن العقيدة.....	صدر الدين القبانجي
رسالة الولاية.....	محمد حسين الطباطبائي
الرسائل التوحيدية.....	محمد حسين الطباطبائي
الروضة في فضائل امير المؤمنين (عليه السلام).....	ابي الفضل شاذان القمي
رياض الصالحين.....	يحي النوري
شجرة طوبى.....	محمد مهدي الحائري
شرح احقاق الحق.....	المرعشي
شرح اصول الكافي.....	محمد صالح المازندراني
شرح النهج.....	ابن ابي الحديد
شرح دعاء ابي حمزة.....	صدر الدين القبانجي
شرح دعاء السحر.....	الامام الخميني
شرح رسالة الحقوق.....	الشهيد السيد حسن القبانجي
الطرف.....	بن طاووس
عدة الداعي.....	ابن فهد الحلي
عصر الظهور.....	الكوراني
العمدة.....	ابن البطريق
العوالم.....	الشيخ عبد الله البحراني
عيون اخبار الرضا.....	الصدوق
الغدير.....	الاميني
فتح الباري.....	لابن حجر
قصص الانبياء.....	بن كثير
الكافي.....	الكليني
اللهفوف في قتلى الطفوف.....	ابن طاووس
المحاسن.....	احمد البرقي
مستدرك سفينة البحار.....	الشيخ علي النمازي

٣٩٨ شرح دعاء الافتتاح

مسند الامام علي (عليه السلام) الشهيد السيد حسن القبانجي
مصباح المتعبد الطوسي
مصباح الهداية الى الخلافة والولاية الامام الخميني
معجم احايث المهدي (عليه السلام) الكوراني
مفتاح الفلاح البهائي

شرح دعاء الافتتاح..... ٣٩٩

الفهرس

٣	المقدمة.....
٧	النص الكامل لدعاء الافتتاح.....
١٣	الفصل الاول
١٥	المحاضرة الاولى / اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَفْتَتِحُ الثَّنَاءَ بِحَمْدِكَ.....
١٧	فصول الدعاء.....
١٧	الفصل الاول.....
١٧	الفصل الثاني.....
١٨	الفصل الثالث.....
١٨	سبب تسمية الدعاء.....
١٩	مصدر الدعاء.....
٢٣	معنى الحمد وفضله.....
٢٣	المفردة الاولى.....
٢٣	المفردة الثانية.....
٢٤	المفردة الاخرى.....
٢٤	رواية في فضل الحمد لله تعالى.....
٢٤	رواية في فضل الثناء.....
٢٥	رواية في فضل الشكر.....
٢٥	يا بار يا وصول.....
٢٧	المحاضرة الثانية، وَ اَنْتَ مُسَدِّدٌ لِلصَّوَابِ بِمَنْكَ.....
٣١	نموذج التسديد الالهي.....
٣١	نموذج الخذلان الالهي.....
٣٢	فضل اليقين.....
٣٤	قصة ابراهيم الخليل عليه السلام.....
٣٤	ثلاث صفات الهية.....

٤٠٠ شرح دعاء الافتتاح

- ٣٦ قصة داود عليه السلام والشاب وملك الموت
- ٣٨ لماذا يعذب الله البشر
- ٣٩ مشكلة وجود الشر في العالم
- ٣٩ رواية التسليم الى الله تعالى
- ٤٠ دعاء يوسف عليه السلام في البئر
- ٤١ المحاضرة الثالثة / اللَّهُمَّ أَذِنْتَ لِي فِي دُعَائِكَ وَ مَسْأَلَتِكَ
- ٤٣ شرف الاذن الالهي بمخاطبته
- ٤٥ فضل التواصل مع الله تعالى
- ٤٧ أقسام الاذن
- ٤٧ الاذن التكويني
- ٤٨ الاذن التشريعي
- ٤٨ الاذن التعاطفي
- ٤٩ رباعية الامام علي عليه السلام
- ٥٠ أنواع المغفرة
- ٥١ قصة السيد الخوئي واستجابة الدعاء
- ٥٢ قصة السجين عبد الخالق العوادي
- ٥٢ ثلاث دعوات ذهبت هباءً
- ٥٣ ثقافة الامل بالله تعالى
- ٥٥ المحاضرة الرابعة/ فَاسْمَعْ يَا سَمِيعُ مِدْحَتِي
- ٥٧ ثلاثة أمور في الدعاء
- ٥٩ سؤال وجواب
- ٦١ الدعاء لتعجيل الفرج
- ٦١ الرسول الاكرم عليه السلام والاعرابي
- ٦٢ قصة عجوز بني اسرائيل
- ٦٢ نظرية البداء

٤٠١	شرح دعاء الافتتاح
٦٤	قصة المرأة العقيم
٦٥	من آداب الدعاء
٦٧	المحاضرة الخامسة/ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا،
٦٩	الوحدانية ومضاداتها
٦٩	الوجود المطلق
٧٠	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا
٧١	الحمد من آداب الدعاء
٧٢	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
٧٣	الملكية الالهية
٧٣	ولم يكن له ولي من الذل
٧٥	المحاضرة السادسة/ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ
٧٧	لَا مُضَادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ
٧٧	العداء بين ابليس والله تعالى
٧٩	ماهي فلسفة خلق ابليس
٧٩	استحقاق نظام الارادة
٨١	القوانين الطبيعية خاضعة
٨١	ماهو الامر
٨٢	لاشريك له في خلقه
٨٢	الخلق الحقيقي والخلق المجازي
٨٣	عظمة الله تعالى
٨٤	الاسماء الالهية
٨٤	نموذج من عظمة الخلق الالهي
٨٥	نظرية الوعي الكوني
٨٧	المحاضرة السابعة/ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وَ حَمْدُهُ
٨٩	الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ

٤٠٢ شرح دعاء الافتتاح

٨٩	الخزائن الالهية
٩٠	الذي لا تنقص خزائنه
٩٠	ماهي خزائن الله
٩٠	التفسير الاول
٩٠	التفسير الاخر
٩٢	نظرية الفيض الالهي
٩٣	نظرية الخلق المستمر
٩٤	يعقوب عليه السلام وملك الموت
٩٤	الرزق نوعان
٩٥	قصة الرسول عليه السلام مع الرجل المستعطي
٩٧	المحاضرة الثامنة/ اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَسْأَلُكَ قَلِيْلًا مِنْ كَثِيْرٍ
٩٩	لماذا السؤال من الله
٩٩	العامل الاول
١٠٠	العامل الثاني
١٠٠	انا جليس من جالسيني
١٠٠	مستويات السؤال
١٠١	المستوى الاول/ السؤال باللسان
١٠٢	المستوى الثاني / السؤال بالحال
١٠٢	المستوى الثالث/ لسان الاستعداد
١٠٤	قصة الاعرابي والاسم الاعظم
١٠٥	رؤية الامام المهدي عليه السلام
١٠٧	المحاضرة التاسعة/ اَللّٰهُمَّ اِنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِيْ
١٠٩	المحور الاول: ماهي المبررات التي تسمح لنا بالدعاء
١١١	قصة الاعرابي
١١١	المحور الثاني:لذة المناجاة

٤٠٣	شرح دعاء الافتتاح
١١٢	ماهي فلسفة الامان؟
١١٢	جدلية الـ(الانا) والـ(انت)
١١٤	مدلا عليك
١١٥	المحور الثالث/ نظرية عدم الاستحقاق على الله
١١٥	ايوب عليه السلام يحاكم الله
١١٦	عتب الله على يوسف عليه السلام
١١٧	قصة ذي النمرة
١١٩	المحاضرة العاشرة/ فَلَمْ أَرْ مَوْلاً كَرِيماً يَا رَبِّ
١٢١	المحور الاول / الكرم الالهي واللؤم البشري
١٢٢	منشأ اللؤم الانساني
١٢٥	الرحمة الالهية وموانعها
١٢٦	فارحم عبد الجاهل
١٢٧	قصة مع الامام الجواد عليه السلام
١٢٧	اسرار الذات الانسانية
١٢٨	اسرار الذات الالهية
١٣١	المحاضرة الحادية عشر/ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ
١٣٣	الملك الالهي
١٣٤	خصائص الملك الالهي
١٣٥	كيف اصبح ملك الله ملكا حقيقيا؟
١٣٦	التدبير الالهي
١٣٧	تفسير القوانين الطبيعية
١٣٧	التفسير الاول / التفسير الالحادي
١٣٧	التفسير الثاني/ التفسير الايماني
١٣٨	الرؤية الدينية للقوانين الطبيعية
١٤٠	عيسى والمشي على الماء

٤٠٤ شرح دعاء الافتتاح

١٤١	معجزة النبي الاكرم.....
١٤٣	المحاضرة الثانية عشر/ دَيَّانِ الدِّينِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ.....
١٤٥	دَيَّانِ الدِّينِ.....
١٤٦	خصائص الشريعة الالهية.....
١٤٧	لماذا الشريعة الالهية.....
١٤٩	رَبِّ الْعَالَمِينَ.....
١٤٩	التربية الالهية.....
١٥١	الله مع الانسان.....
١٥٣	اسلوب التربية الالهية للانسان.....
١٥٣	علم الامام باوصافه تعالى.....
١٥٤	مرتبة قرب النوافل.....
١٥٥	يقول الامام الخميني.....
١٥٧	المحاضرة الثالثة عشر/ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ الْخَلْقِ.....
١٥٩	كيفية العلاقة مع الله.....
١٦٠	من خلق الله؟.....
١٦١	الرؤية الدينية.....
١٦٢	فرضيتان في تفسير الكون.....
١٦٢	الفرضية الاولى.....
١٦٢	الفرضية الثانية.....
١٦٣	التعاطي العاطفي مع الله.....
١٦٣	مناجاة الامام زين العابدين (عليه السلام).....
١٦٥	باسط الرزق.....
١٦٦	فالق الاصباح.....
١٦٧	ذي الجلال والاکرام.....
١٦٨	القرب والبعد الالهي.....

٤٠٥	شرح دعاء الافتتاح
١٦٩	هل رايت ربك؟
١٧٠	روية الله
١٧٣	المحاضرة الرابعة عشر / الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ
١٧٥	معطيات الوجدانية
١٧٥	لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ يُعَادِلُهُ
١٧٦	وَلَا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ
١٧٨	وَلَا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ،
١٧٩	فَهَرَّ بِعِزَّتِهِ الْأَعْرَاءَ
١٨٠	شرف المؤمن وعزه
١٨١	وَتَوَاضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَمَاءُ
١٨٢	القدرة على الممتنع
١٨٣	امتداد العزة والعظمة
١٨٥	المحاضرة الخامسة عشر / الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُجِيبُنِي حِينَ أُنَادِيهِ،
١٨٧	العلاقة التبادلية
١٨٩	شروط الاستجابة
١٩٠	الاجابة والاستجابة
١٩٠	الاستجابة التقبلية والتنفيذية
١٩٠	المستوى الاول
١٩١	المستوى الثاني
١٩٤	قصة في السجن
١٩٤	قصة في استحقاق الاجابة
١٩٧	الستر الالهي
١٩٩	المحاضرة السادسة عشر / الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ
٢٠١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُهْتَكُ حِجَابُهُ
٢٠٢	حجاب فاطمة

٤٠٦ شرح دعاء الافتتاح

- ٢٠٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُغْلَقُ بَابُهُ
- ٢٠٣ وَلَا يَرُدُّ سَائِلُهُ
- ٢٠٤ اللَّهُ خَيْرُ الْمَسْئُولِينَ
- ٢٠٦ دعاء سرسع الاستجابة
- ٢٠٦ امان الخائفين
- ٢٠٩ المحاضرة السابعة عشر / وَ يَرْفَعُ الْمُسْتَضْعِفِينَ
- ٢١١ ويرفع المستضعفين ويضع المستكبرين
- ٢١١ التقسيم المجتمعي
- ٢١٣ ثلاث مهمات في الاسلام
- ٢١٤ الاهتمام بشؤون المجتمع
- ٢١٥ واجب الضعفاء
- ٢١٦ الملائكة تسلم على علي
- ٢١٧ قصيدة السيد الحميري
- ٢١٨ قصة المعسكر والانوار الاربعة
- ٢١٩ ظلمات الشيعة ونضالهم
- ٢١٩ قصة حميد بن قحطبة
- ٢٢٣ المحاضرة الثامنة عشر / الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجَبَّارِينَ
- ٢٢٥ اشكال التدخل الالهي
- ٢٢٥ التدخل النبوي
- ٢٢٦ التدخل التشريعي
- ٢٢٧ التدخل الميداني
- ٢٣١ مدرك الهاربيين
- ٢٣٢ نظرية الوعي الكوني
- ٢٣٤ نظرية الهدى والضلال
- ٢٣٤ هدية شيعة اهل البيت

٤٠٧	شرح دعاء الافتتاح
٢٣٧	المحاضرة التاسعة عشر / اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يَخْلُقُ وَ لَمْ يَخْلُقْ
٢٣٩	نظرية الفاعل المطلق
٢٤٠	قصة الحلق
٢٤٠	الفرضية الاولى
٢٤٠	الفرضية الثانية
٢٤٠	الفرضية الثالثة
٢٤١	نشوء الكون
٢٤٢	وَ يَرْزُقُ وَ لَا يَرْزَقُ، وَ يُطْعِمُ وَ لَا يُطْعَمُ
٢٤٣	وَ يُمِيتُ الْاَحْيَاءَ وَ يُحْيِي الْمَوْتَى
٢٤٣	الظلام والنور
٢٤٦	بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
٢٤٨	نظرية الفاعل المطلق
٢٥١	الفصل الثاني
٢٥٣	المحاضرة العشرون / اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُوْلِكَ،
٢٥٦	استحباب البدء بالصلاة على النبي واله
٢٥٧	ظاهرة في محافل الشيعة
٢٥٨	لماذا أفضل الصلوات
٢٦٣	قصيدة في مدح النبي ﷺ
٢٦٥	المحاضرة الحادية والعشرون / اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ
٢٦٧	عبدك
٢٦٩	ورسولك
٢٧٠	امتيازات الرسالة المحمدية
٢٧١	أمينك
٢٧٣	نظرية العصمة
٢٧٣	صفيك

٤٠٨ شرح دعاء الافتتاح

- ٢٧٣ نظرية الاصطفاء
- ٢٧٥ حبيبك
- ٢٧٦ الحبيب والخليل
- ٢٧٦ وخيرتك من خلقك
- ٢٧٦ وحافظ شرك
- ٢٧٩ ومبلغ رسالاتك
- ٢٧٩ مهمتان للنبي ﷺ
- ٢٨٣ المحاضرة الثانية والعشرون/اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ...
- ٢٨٥ التوحيد والنبوة والامامة
- ٢٨٦ ثمان صفات للامام علي ﷺ
- ٢٨٦ أمير المؤمنين
- ٢٨٩ السرقات الكبرى بعد وفاة النبي ﷺ
- ٢٩٠ وصي الرسول ﷺ
- ٢٩١ حديث الدار
- ٢٩٣ حديث المنزلة
- ٢٩٣ وليك
- ٢٩٤ مامعنى ولي الله؟
- ٢٩٦ ولاية الله
- ٢٩٨ مكتوب على باب الجنة
- ٣٠٠ علي ولي الله
- ٣٠٢ الترابط بين النبوة والامامة
- ٣٠٢ حجة الله
- ٣٠٤ ضرورة الامامة
- ٣٠٨ وايتك الكبرى
- ٣٠٨ معنى الاية

شرح دعاء الافتتاح.....	٤٠٩
النبأ العظيم.....	٣٠٨
المحاضرة الثالثة والعشرون/ وَصَلْ عَلَى الصَّديقَةِ الطَّاهِرَةِ.....	٣١١
الصديقة الطاهرة.....	٣١٣
سيدا شباب اهل الجنة.....	٣١٣
ثواب الموالاة.....	٣١٦
الفصل الثالث.....	٣١٩
المحاضرة الرابعة والعشرون/ اَللّهُمَّ وَصَلْ عَلَى وَلِيِّ اَمْرِكَ الْقَائِمِ.....	٣٢١
الدعاء لصاحب العصر ؑ.....	٣٢٣
خصائص صاحب العصر ؑ.....	٣٢٤
وَ صَلِّ عَلَى وَلِيِّ اَمْرِكَ.....	٣٢٥
القائم المؤمل.....	٣٢٦
مامعنى المؤمل.....	٣٢٦
قصة سيد العالم.....	٣٣٠
هل يمكن اللقاء بصاحب العصر ؑ.....	٣٣١
وحفته بملائكتك المقربين.....	٣٣٢
عوامل النصر.....	٣٣٣
روح القدس.....	٣٣٤
ماهو روح القدس.....	٣٣٦
المحاضرة الخامسة والعشرون/ اَللّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ اِلَى كِتَابِكَ.....	٣٣٦
مهمتان لصاحب العصر ؑ.....	٣٤١
المهمة الاولى.....	٣٤١
المهمة الثانية.....	٣٤١
الخلافة في الارض.....	٣٤٢
حاكمية الدين.....	٣٤٣
صلاحية الشريعة الاسلامية.....	٣٤٤

٤١٠..... شرح دعاء الافتتاح

- الامن من الخوف..... ٣٤٥
- امريكا تبحث عن صاحب الزمان ..... ٣٤٦
- مفاهيم عن حركة الامام المهدي ..... ٣٤٧
- الحرب المسلحة..... ٣٤٧
- انتصار الاسلام عالميا..... ٣٤٨
- المجتمع الرشيد..... ٣٤٨
- موجود معنا..... ٣٤٩
- قصة السيد المرعشي..... ٣٥٠
- المحاضرة السادسة والعشرون/ اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَرْغِبُ اِلَيْكَ..... ٣٥٥
- هل نحن معنيون بشأن الدولة..... ٣٥٧
- ضرورة الدولة..... ٣٥٩
- هوية الدولة التي نريدها..... ٣٦٠
- مسؤوليتنا تجاه دولة الحق..... ٣٦١
- صفات الشخصية القيادية..... ٣٦٤
- معركة الوعي واللاوعي..... ٣٦٤
- قصة المرأة ونزع الحجاب..... ٣٦٧
- الشيعة هم الاكثر وعيا..... ٣٦٩
- المحاضرة السابعة والعشرون/ اَللّٰهُمَّ اَلْمُمْ بِهٖ شَعَثْنَا..... ٣٧١
- اثنتان وعشرون مسألة..... ٣٧٣
- دعاء يجمع هموم المسلمين..... ٣٧٣
- التوسل بصاحب العصر ..... ٣٧٤
- التوسل له والتوسل به..... ٣٧٤
- معاني التوسل به..... ٣٧٥
- المعنى الاول..... ٣٧٥
- دعاء السيد محسن الحكيم..... ٣٧٧

شرح دعاء الافتتاح.....	٤١١
تحقيق الاماني بظهوره.....	٣٧٧
هل يجوز التوسل بغير الله تعالى.....	٣٧٨
المحاضرة الثامنة والعشرون / اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَشْكُو اِلَيْكَ فَقَدْ نَبَّيْنَا.....	٣٨٣
ثقافة الشكوى الى الله.....	٣٨٥
الخسارة الكبرى.....	٣٨٦
لماذا الغيبة؟.....	٣٨٧
صور من الشكوى.....	٣٨٩
الفتح العاجل.....	٣٨٩
علاقتنا العاطفية مع الامام.....	٣٩٢
نهاية المطاف.....	٣٩٣
توديع شهر رمضان.....	٣٩٤
مصادر التحقيق.....	٣٩٥
الفهرس.....	٣٩٩

